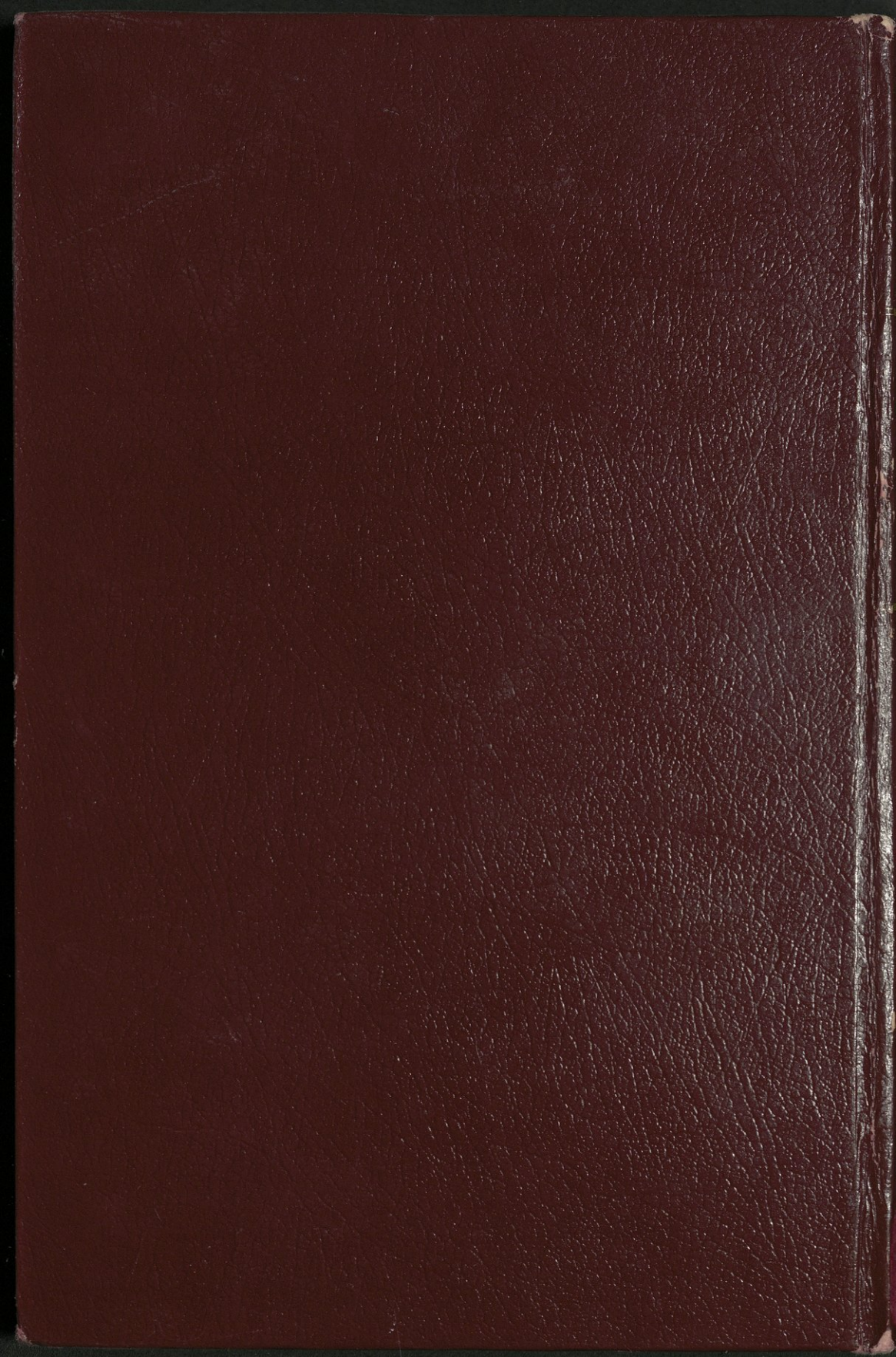
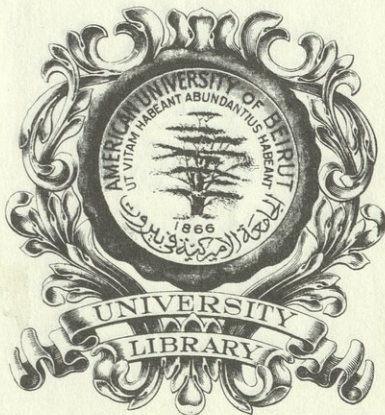


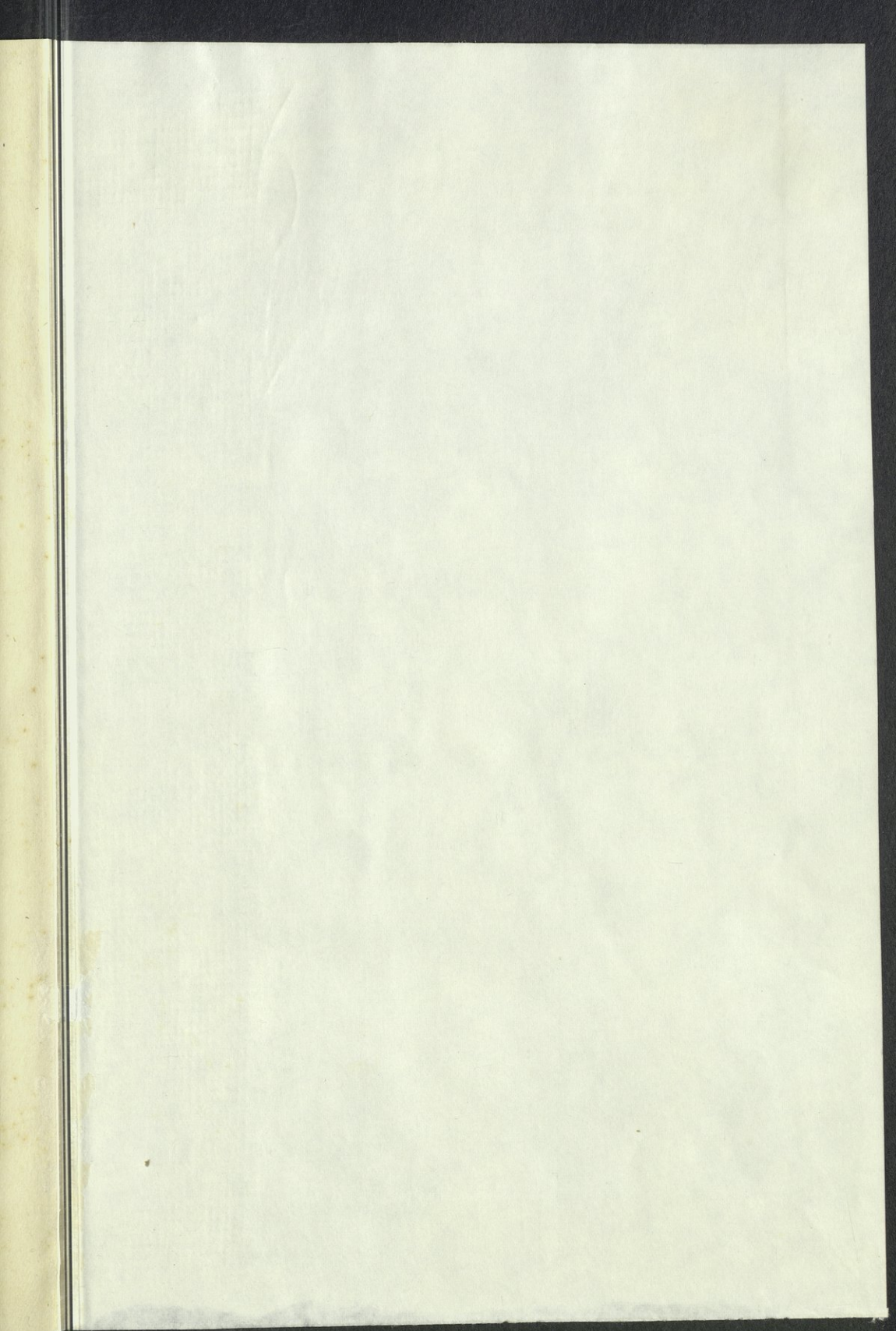


A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



MATTA AKRAWI COLLECTION



مستحق
 بيروت - اونس
 ٤٢ / ١٤ / ١٠
 صدقة دارالكتب

كتاب العدد

سفارة الملكة في القاهرة

لبنان والحقائق في

سفارة الملكة في

SAID TARY DEEN

Manila

Philippine Islands

كتاب العدد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
في سائر اقطار الدنيا

عنوان المؤلف

SAID TAKY DEEN

Manila

Philippine Islands

سَيِّدُ تَقِيٍّ الذِّينِ

مؤلف مسرحيتي

« لولا المحامي » و « قضى الامر »

892.78

T1753 nA

C-2

نخب العدو

درامة في ثلاثة فصول

الشجاع الأسود

وقصص أخرى

اشهر حكايات المؤلف

155-16024

تم تأليف هذه المسرحية في مانيلا - عاصمة جزائر الفلبين
في العام ١٩٣٧

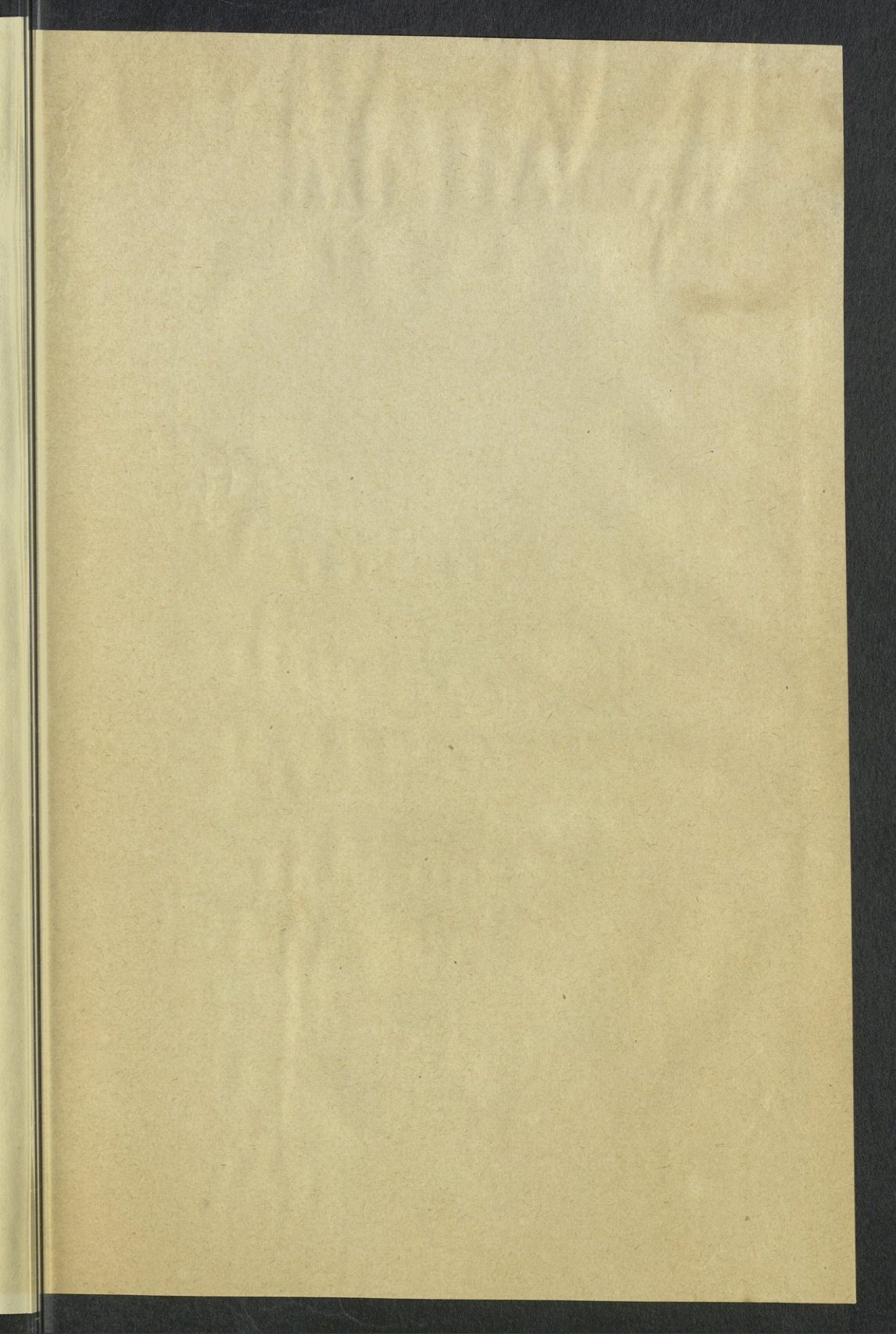
وتم طبعها على مطابع الكشف في بيروت في اول شهر ايلول
من العام ١٩٤٦

مكتبة الجليل



المؤلف

مَا تَرَى حَدَّثْتُ رُؤَايَا بَعْدِي
إِنْ رَمَانِي التَّارِيخُ فِي مِيزَانِهِ ؟!



تقديم

إلى الذي يَمُضُّ في حِينِ كَا الدَّهْرِ - شَبَابِي،
أَقْدِمُ هَذَا الْكِتَابَ .

TO THE HOLY, WISE AND FAIR

« B. J. D. »

THIS DEFERRED EFFORT IS DEDICATED

AND

TO THEE MY ALMA MATER

THE AMERICAN UNIVERSITY OF BEYROUTH

WITH THE FERVENT WISH THAT YOU MAY NEVER
LENGTHEN THE BREADLINES OF THE WORLD
WITH ANOTHER CAMPUS HERO

Said Taky Deen

دور "الدكتور نجيب"

أكرسه الى

رجل العالم النابغة، والإنساني العظيم، الذي
عطر الإسم اللبناني السوري في الشرق الأقصى

المرحوم الدكتور
نجيب مترني الصابري

البتال

ربّ يسّر لهذه الرواية مخرجاً يفهم الفن ، وممثلين يحذقون
الدرامه ، ومسرحاً غنياً ، وجمهوراً حشداً .

ربّ أدخل على قلوب النساء من بني قومي الجرأة فيمثلن
ادوار النساء في « نخب العدو » .

ربّ لقد انشأت هذه الرواية قطعة فنية ، وحادثة مسرحية ،
فلما ان جفّ خبرها ، قرأتها فاذا هي رسالة الى بني وطني -
ربّ طهر بها قلوبهم ، فصير شيعهم شيعة ، وطوائفهم طائفة ،
وجماعاتهم جماعة ، فيمسي عداؤهم حباً ، وتنازعهم تعاوناً وشرذماتهم
كنائب ، وقبضياتهم جنوداً .

ربّ وسع آفاق ابصارهم فبروا الضيعة فوق الحيّ ، والمقاطعة
فوق الضيعة ، والوطن فوق الجميع .

ربّ يدك في هذا الجهد في الناحية الضعيفة من ادبنا فليقص
التصفيق كالرعد عند نزول كل ستار ، ولتدو القهقهة لكتابتها ،
ولينسجم الدمع في فواجعها ، ولتجسب الانفاس في مآزقها ،
ولتجلس النظارة على اطراف الكراسي توقعاً لحوادثها .
ربّ خلدّها على المسرح خلّداً .

مقدمة «نخب العدو»

كدت ان افتح هذه المقدمة بهذا القول :

« اطرح الرياء ، وابتمد عن الخيلاء ، فاصارحك اني ادفع الى المسرح العربي براهقة يفتخر بها اي درامائي كان ، في اية لغة واي زمان . اقول هذا وورائي في اختبار الفن المسرحي ، دراسة ، وملاحظة ، وتأليفاً ، خمسة عشر عاماً ، تعرفت خلالها الى معظم البارزين في هذا الفن ، على المسرح ، وفي الكتاب ، وعلى الشاشة البيضاء . ولئن دار في خلدك انه قد تدرجت من في كلمة ادعاء ضخمة ، فانا ادعوك الى المفاصلة فأنت بآية رائدة افريقية وقابلها « بنخب العدو » خادثة ، ومواقف ، ونكات ، واشخاصاً ، ومفاجآت ، وحركة ، وتضاد ، وشبكة فنية ، وسلامة ، تجد « نخب العدو » تضاهي اجملهن في كل شيء ، وقد تكون دون بعضهن في روعة المأزق ، ولكني واثق من ان نهايتها هي اجمل نهاية رواية تعرفها بدون استثناء . وعلى الاطلاق . (انتهى التبجح)

غير اني وجدت مثل هذا القول بعيداً عن سلامة الذوق والكمياسة وقد يكون غير صحيح ، وها انتذا لا املك وانا اراجع قراءتها بعيداً عن المسرح ، من ان

اسائل نفسي « أهذه هي الرائعة الاوتوبوغرافية التي كنت اهرع اليها كلما اصابني فشل جديد ، فأعزي نفسي بقولي : لا بأس ان « نخب العدو » ستخذ اسمك . اسائل نفسي بكثير من الشك « اعظيمة هذه الرواية بقدر ما كنت اتمنى ؟ ام هي عادية ، ام هي - ويا للعاذ بالله - جهد فاشل ؟ انعمى من عواطفى واقول لك ولنفسى بصدق ، وبالالم الذي يلبس الخبرة ، لا ادري ، لا ادري ، فالدرامة خارج المسرح كالسمكة خارج المياه . والرواية التمثيلية ، كما يدل عليها اسمها ، هي اداة تمثيل وليست اداة مطالعة ، وليس للقاري ان يقيم نفسه قاضياً عليها . هوذا طاولتي تحمل اربعة مجلدات ضخمة تضم كل درامة ناجحة بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٣٦ اذكر انني لم اجلس لقراءة احداها الا شعرت كأني ، رغم على تجرع دواء كريحه .

وبعد فانا الفت هذه الدرامه وييني وبين مسرحي خمسة آلاف ميل ، وبينى وبين جمهوري اثنا عشر عاماً . ثم اين هي من المختبر العظيم - المسرح - تشكيف بالتمرين ، وتصاغ على التجربة ، فلا يراها الناس الا بعد ان تُمرّن ، وتُهدّب ، وتراض ؟ انني لا اعرف في تاريخ الدرامه رواية كذا كانت ظروف ابداعها ، فان جاءت برغم هذه المصاعب ناجحة ، وكان في حيويتها عناصر الخلود ، واعيناني اذ ذاك المال لقطعت الطريق اتجلبلي ثمن قتال اقيمه لنفسي . وما دام لكل قصة قصة ، فهذه قصة « نخب العدو » :

الفت في صباي مهزلة بين هما « لولا المحامي » و « قضي الامر » كان من سوء حظي انهما نجحتا . وهاجرت لبنان والادب الى التجارة فكان من سوء حظي اني اصبت النجاح المالي عاجلاً . ووحلت طريق كانت مغبرة ، فتبخرت الثروة ، واطفاً البعد والانتقطاع عن الانتاج ، اما ادبياً كاد يلمع ، فاذا لا خيل عندك ولا حمير ، ولا ادب ولا مال . وخلال هذه الاعوام مرت بي من الحوادث والاختبارات والاشخاص ما لا تحسده الايام في عشرات السنين . وكنت اثناء ذلك غير مواظب على شيء الا الدرامه ، وفي تخيلتي عشرات القصص ومئات المشاهد ، أكثرها بخار وضباب . وحدث ان المهاجر اللبناني جروز معضاد مات له عمه في « البلاد »

فجاء يستكثني مقدمة لرسالة تعزية يسميها المهاجرون « ترجومة » ، فجز بياني عن تلك المحاولة العظمى وجاء من اخبرني ان المواطنين المهاجرين يتضحكون ويقولون انني اجهل الكتابة حتى لا اقوى على خط « ترجمي » ، وان احاديثي عما كتبت به في صباي هي من قبيل التباهي الكاذب .

« سري ! » قلتها لنفسي صارفاً باستاني .

في تلك الساعة عاهدت نفسي على ان انتشلها من هوة الحمول . في تلك الليلة عقد دخان سكاثري غيوماً في غرفتي ، وتذر الجيران من رائحة البن في مطبخي ، وتختضت بر « نخب العدو » . وجدت في تلك الليلة ان بين يدي ثروة من مذكرات دوتها في احلامي النهارية ، وفي اسفاري ، ورجعت الى اوراق صباي استوحيتها ثقة بنفسي كادت تتلاشي ، وكحلت عيني بروية صورتي يطرز اطارها في الصحف عبارات التقریط ، وناديت نفسي مشجعاً « الى الامام ! تقدر ان تولف . تقدر ان تولف » . والله لاؤلفنها هذه الليلة ! هذه حوادثها واضحة في رأسي ، ومواقفها لا ينقص الا ان اضما على الورق . ها هي العبارات تشور والمكلمات تتسابق الى الجلوس على القرطاس . لاؤلفنها هذه الليلة ! قلتها لنفسي وانا اجتر انتصارات غابرة . ومشى بي بصري في مقالة مدح من قلم توفيق قربان الى « ونرجو ان يماشي سعيد نقي الدين في تأليفه المستقبلية مبدأ النشوء والارتقاء » .

« النشوء والارتقاء » - ها ! تلك العبارة كبرت جنوني ، وردت المنطق الى تفكيري . النشوء والارتقاء . تقدم على مهل . كن اميناً للذين تفاءلوا بك . درامه ، لا تكتب في ليلة . الى فراشك يا غلام ! اذكر ان احب خلانك اليك يقول لك انك مجازف متهور . لولا هاتان المصطلتان لكنت اليوم غنياً . لا تجازف بادبك كما جازفت بمالك . الرواية لا تكتب بليلة . كن صادقاً لفنك وتوجه الى الناس بنهاية النهاية من مقدرتك . ان هذه المواد التي بين يديك قد تظهر لاول وهلة وافرة فاقتطف منها اطيبها وارم الحامض والمهترى . قد تكون هذه آخر قفزاتك في الحياة فتطلع قبل ان تقفز - حذار المهاوي .

وما زلت احذف واكتب وامزق وازيد وانقص الى ان تجهزت هذه الدرامه .
فن مبذر مقامر : قد يكون ولعي بتأليف الدرامه انه وقع مني على طبع مجازف .
 فالشاعر مثلاً ينظم ابيانه في لحظات او ساعات فان جاءت شعرا ، شعرا ، ردها الناس
 عاماً فعاماً وجيلاً فجيلاً . اما المؤلف المسرحي فيصب فنه وروحه وخبرته ، ويقوس
 ظهره ناحتي حجارة قصر يشيده - لماذا ؟ ليبيت فيه جمهوره ليلة ، بل ساعتين او
 ثلاث ساعات من ليلة . ياله من فن مسرف ! القصص يؤلف له نوافله او قصة
 قصيرة في وسعه ان تقرأها في فراشك او في القطار او حيث تستطيب ، وحين
 تكون نفسك في شوق الى قراءتها . اما الدرامائي فيشتغل ويستغل جيباً من
 مخرجين وممثلين ودهانين ووو ويقول للناس تعالوا الي في الليلة الفلانية واسمعوا
 الى ما احديثكم به ، وانظروا ما اعرضه عليكم . انتم القضاة وليس لحكمكم
 استئناف ولا تميز . لا ابالي في اية حالة نفسية انتم . اريدكم في الساعة كذا ان
 تجتمعوا ، والساعة كذا ان تنصرفوا . انتم لكم ذهنيات متباينة افراداً ، ولكم
 نفسية خاصة مجتمعين ، ومن المجتمع علي ان افهمكم افراداً وجماعة ، وهو فرض لا
 يعترض طريق فنان سواي .

الدرامائي رجل الشارع : فهو يحكم الحال فنان غير اختصاصي . فالمصور
 مثلاً يقدر ان ينصرف الى التصوير فقط ، بل في وسعه ان يخرج الى فرع من فروع
 التصوير . وله ان لا يفهم شيئاً سواه وليس في ذلك ما يعيبه ، بل ان نوابغ الفن
 المجازي جاؤوا فقراء في دراسة الدنيا وشؤونها . اما الدرامائي فتنوع اشخاص
 روايته ، واختلاف مشاكلها ومواقفها يحتم عليه ان يفهم كل شيء من العلوم والناس
 والتجارب ان لم يكن من الالف الي الياء فعلى الاقل من الالف الي الباء ، فلا تتخيلن
 الدرامائي فناناً كلاسيكياً تهدل شعره ، وتاهت الي ما وراء الافق نظراته ، بل هو ابن
 الارصفة يسحب الارانب من القبعات ومن حصافة الرأي اذا صافحته ان تعد اصابع
 يده لتتأكد انها لا تزال في مكانها .

كنت في « نخب العدو » اسائل نفسي ، واسائل الشهيرين من الاطباء ، هل العلم يضحك من نظريتي التي وضعتها على فم « الدكتور نجيب » من ان المفاجأة العظمى تشفي العمى العصبي ؟ هي نظرية ولدها خيالي امكن ان تكون او نصير حقيقة علمية ؟ ابسم الاطباء وقالوا من حظ المرضى انك لم تتهن الطب . الى ان وقعت بين يدي مجلة امركيبة ، فاذا بعض انواع العمى الذي يسببه الغضب يشفيه الخداع ، او اليقين . وعقبها بحث آخر في مجلة ثانية تدعي ان الموسيقى تشفي بعض العميان ومن تبسط في درس تينك المقاتلين يجد ان حادثة عمى « وسيم الحموي » في « نخب العدو » وشفاؤه ليست من الغرابة بقدر ما تبدو لاول وهلة ، بل انها ربما كانت او صارت حقيقة علمية . اتركها في « نخب العدو » يا غلام واسبح في احلامك النهارية وادع انك اصبحت في الطب فتجاً جديداً . بل انظر الى نفسك في مرآة مقعرة وقل لقد تنبأ « جول فرن » بالنواصات والطيارات . انا جول فرن الطب ! وليس على الادعاء ضريبة .

ولماذا لم تنشأ عندنا الدرامه ؟ اقول ان في شعبنا مواهب اديبة والهاماً صافياً . اقول ان ما ينتجه اليوم بعض شعرائنا هو من اصفى الشعر وابدعه . اقول لجماعة بيروت - وفيهم كل قريب وحبيب - لقد اصبحتم ولا يعجبكم العجب فلا تقتلوا بمرارة نقدكم شاعرية اخوانكم . وبعد فالنقد فن زائف ومهنة طفيلية . فاصرفوا همكم الى الانتاج وشيدوا لنا القصور والجسور ، تتعلم منها فن البناء اكثر من تعلمنا اياه في خرائطكم الزرقاء . ولماذا لا نتأكدون من وجود الغلال على البيادر قبل ان تقيحوا فبارك الغرايل ؟

اما طوفان النقد في سوريا ولبنان ، فراجع الى اسباب عدة اترك منها ما هو معروف وشائع ، واذكر ما اعتقد انه على القراء جديد . فالنقد يوهم صاحبه ، ولو ضحناً ، بالتفوق على المنقود . انا انقذك اذن انا افضل منك . وما دام حب التمسود غريزة انسانية فلا عجب اذا تقش داء النقد . ثم ان في قرارة النفس الانسانية في كل شعب وقطر ، ولا احتكار في الموبقات ، حثالة لو ثم يفسح النقد عنه . فلا عجب اذن

اذا شاع . زد على ذلك ان النقد يضع بين يدي الاديب او المتأدب موضوعاً جاهزاً فلا حاجة الى حك الرأس والتنقيب عن موضوع يبحثه الكاتب . كذلك ليس من انتاج مها عظم الا وفيه نواح ضعيفة يسهل اكتشافها فتسري نشوة الظفر في عروق الناقد مكتشفها . كذلك التطرف يولد التطرف . القياسرة خلقوا البلاشفة ، والمديح بلا وزن ، سب النقد الاعمى ، وسيأتى يوم نترن فيه خطواتنا ، في الطريق الوسط السوى . ولكننا اغربنا عن الموضوع وكان « لماذا لم يكن عندنا درامه ؟ » من معائب ارثنا الادبي خلوه من الدراما ، ومن معائب حالتنا القومية انه ليس عندنا جمهور ، فشعبنا ليس موحد التاريخ ، انظر الى بعضنا يقول بالاسلام والعروبة وآخرين بالمسيحية والفينيقية . هذه قريتنا فيها الفلاح الصلب الفطري وفيها المتأمر ك ، والمتبرزل ، والمتفرنس ، الخ عندنا الف حزب وحزب ، والف دين ودين ، والف معبد ومعبد . وفي آخر الزمان فشت الروابط العائلية « كالرابطة الشرنعية » لثلاثة شرنوع ، والرابطة العلوشية لبني علوش ، كأننا بدلا من ان نسير في نشوئنا وارتقائنا الى صهر العائلات والطوائف في قالب الوطن ، اخذنا نتقهقر في تخديبنا القومي الى فك سلسلة الوطن الى حلقاتها الصغرى .

ثقافتنا ليست موحدة ، فهي علمانية ، لاهوتية ، عربية ، افرنسية ، اميركية ، او خليط من بعضها او كلها . اثوابنا تتراوح بين العمامة والقبعة ، وبين البطولون والشروال . اعيادنا ، وايام الراحة عندنا ليست موحدة ، كذلك لهجاتنا ، واساليب معيشتنا ، وطرق تفكيرنا . تاريخنا يرشح بالحروب الاهلية ، ونحن في ببيروت ، مدينة العلم والنور ، تلك الشرفة التي نطل منها على الدنيا والتي زينها للدنيا ، وفي عام ١٩٣٦ (يلى ب . م . وليس قبله) تذايحنا مسلمين ونصارى - وبيا للعار ! - وخبنا اموال بعضنا بعضا . في مثل هذا الشعب « جمهور » بمعناه المسرحي ، الجمهور الموحد التهذيب والشعور والمأطفة ، المتشابه الاذواق ، المتحاكي العقليات ؟ الجمهور الذي يضحك لنكتة ، ويستغفره تلميح الى حادثة ؟ سل لي اربعة او خمسة من عشرائك ان ينشدوا نشيدا ، تسمعهم يبدأون موحدي النغمة والكلمات ، فاذا

اتموا من المقطع الاول من الاغنية اختلط عليهم النغم ، واختلفت الكلمات ، واصبح كل يغني على ليله . هل في القوم الذي يعجز اي اربعة منهم على الانفاق ولو على انشاد اغنية « جمهور » ؟ تقول لي ان الدرامي يجب ان يخلق الوحدة في جمهوره بحيث يبدع له شيئاً يستطيه المغم ، والمطربش ، والمبرنط ، والسافرة ، والمحبجة . اجيب ان هذا التنافر بالاذواق والترتية والعواطف يجعل الامور المشتركة بين جمهورنا ضئيلة الى حد ان توقع المؤلف في خطرين ، فساما ان يرضي الجميع فيأتي بالسخيف ، او ان يرضي شيعه دينية او سياسية او طبقة فكرية دون اخرى وفي ذلك هلاكه . وهذه المشكلة لا تواجه اي درامائي كان في اي بلد من بلدان الدنيا ، وهذا احد اسباب انعدام الدرامائيين عندنا ، اذ ان خالق الرواية التمثيلية ، بسبب عمر جمهورنا ، يجب ان يخلق عبقرية لا عادياً يتدرج هو او من بعده الى الابداع . اي انه يجب ان نظفر من لادرامائي بالمرة ، الى درامائي نابغة . ارجعت تنطلع الى المرأة المقمرة يا مغرور ؟

والسبب الاخر الكسل . اين يقضي ادباؤنا اوقاتهم ؟ في محترفاتهم ومكاتبهم ؟ اغلب ظني انهم في المقاهي والملاهي منغمسون ، فهل تعجب ان جاء مجموع انتاجهم ، بقطع النظر عن نوعه ، بوضع بين دفتي كتاب واحد او اثنين او ثلاثة او اربعة ؟

« الادب لا يطعم خبز » جملة يقولها من حملة الاقلام حتى من تعرف انت انه بغير الخبز يملأ معلفه . « الادب لا يطعم خبز » ولكنه يطعم ما هو اشهى من الخبز . فهو يشبع كبرياءك ويذيع امرك بين الناس ، ويروي عطشك من الشهرة ، وهذان الجوع والعطش هما مهازا الانتاج الادبي . بلى ، لو ان الانتاج الادبي ربح مالي عندنا لوفرت محاصيلنا القلمية وكذلك لو لم تنبذل وسائل الاذاعة الصحفية ، الى حيث يشتهر الكتاب بمقالة واحدة ، لما وقف ادباؤنا في انتاجهم عند هذه الدرجة الدنيا بحجة ان الادب لا يطعم خبزاً واننا لن نستغل عقولنا وممنا الى خاية مواهبها الا اذا ابتعدنا عن الصحف وابتعدت الصحف عنا .

قلت لك ان تأليف الدرامه فن مقامر مسرف ، وازيد انه ليس بالفن الذي يدر على صاحبه الريح الادبي من صيت وشهرة . انت تنظر الى هذه الرواية وتقول اقرأها بساعة ، واشهد ثقلها بساعتين ، فمن المنطق ان تستنتج ان تأليفها سهل غير مجهد . ولكن صغر الساعة لا يعني ان صنعها هين . اقسم لك انني طرحت من مواد هذه الرواية ما يؤلف ١٧ رواية ، وقرأت لها مجلدات تملأ مكتبة ، وافنيت في ميكانيكية صوغها الشهور . القصص مثلاً له ان يسرد حكايته في الف صفحة او مئة . وله ان يملأ اوراق المطابع اذا اراد . يقدر ان يقفز بك من مشهد تحت سديانة الضيعة الى غرفة على ظهر الباخرة . اما الدرامائي فيجب ان يزحم في ساعتين او ثلاث قصته ومشاهده بحيث يجيء اختزالها واضحاً وطبيعياً . وعليه ان لا ينسى انه يكتب لمسرح فقير ، ولخرج ، وممثلين يجهلهم ويجهل مكانهم ومتى يجتمعون وفي اي محفل . عليه ان يعرف كيف واين يزرع الحادثة وكيف واين يستغلها . عليه ان يجهز شبكة حوادثها بحيث تأتي شبكة غير مشتبكة . والنكتة ؟ والحركة ؟ والفاجعة ؟ والحوار ؟ والاشخاص - وهؤلاء من هم ؟ وما هي مظاهرهم الجسدية ، وقواهم الروحية ، وماذا يفكرون وكيف يتكلمون ؟ وعليه اولاً وفوق كل شيء ان يستوثق من نفسه انه ملهم ، موهوب تلك المنحة النادرة - النكتة .

الدرامائي يجب ان نكون له حنكة السياسي ودهاؤه . فان كنت تبشر بنظرية جديدة ، او تدعو لعقيدة غير عادية ، او احببت ان تصدم الناس بنتاج عقلي غير مألوف ، فكن شاعراً يطير في طيات وحل الاثير منشداً « تنهادي الرياح في مهجتي » . او فيلسوفاً ينطق بمثل الحكمة « الحياة اغاريد الخنازير ، واغاريد الخنازير هي الحياة » او مصوراً يصور قطع فيلة تتدلى جراتيها من شعر الاقارع وذيل الصورة بـ « غمار الحرم » ، او فناناً عالمياً يؤلف ١٢ مجلداً في « الدعوة الى الزواج المختلط بين الانسان والحيوان لتحسين نسل السورمان » . ولكن لا تقترب من المسرح فالدرامائي رجل الفوغاء ورجل العامة ورجل النخبة من الناس معاً . وهو كالصحافي رجل يومه قد يلقي بنظرة سريعة الى خلفه فيلحم الماضي ، وربما يمشي وراءه

انفسه قليلا فيبصر من المستقبل ومضة ، ولكن افقه دائرة قطرها يداه يقول
هذا عالمي اوألفه اليوم ليجمع به اليوم . بالطبع استثنى العبقري الذي يؤلف لليوم
فيتمسك بانواجه الغد ويدفعه هذا الى ما بعده ، وهكذا دواليك حتى يخلد .

اللغة : من الابحاث ما نلوكه الالسنه فتتقزز النفس لتبذله . من هذه الابحاث
هي اللغة التي صارت في العالم العربي فوتبول الجدل في السنين الاخيرة . ولكن هذه
المقدمة تستوجب ان البط هذه الطابة ولو مرة واحدة بالرغم مني . فكماحي في هذا
البحث شطران . اولاً من الخلق مضغ الكلام وسن الشرائع والدعاية لهذه النظرية
او تلك . انت تقول يجب ان نوألف بالعامية . الحق معك تفضّل والى بالعامية ،
فان راج موألفك وثبت على الدهر وشاع ، كانت العامية هي اللغة التأليفية المثلى .
انت تستنكر العامية وتنتفض لذكر كلمة افرنجية تسربت الى الفصحى . هات
قوانينك وجنودك تمنع الناس عن استعمال كلمة « الافلام » و « الترامواي » . لماذا
التشاحن النظري وعلام هذا الحرب بالنظارات اذن ؟ في رأيي - وليس اسهل على
المرء من ابداء الآراء - انه من الجريمة ان نوألف باللغة العامية لسبب بسيط هو انه
ليس عندنا لغة عامية شاملة . في الاقطار العربية مثبات اللهجات واللغات ، فاجها
تعتمد ؟ وابن الحكمة في طرح تراث مثات السنين ، والتعلق بوراثه عامية معدمة
اذ ليس فيها كتاب واحد ، وكيف تريد ان تنصرف عن عالم ثقافة عربي عدده
ملايين الى لغة شيعة قد لا تتجاوز الالوف . على ان الدفاع عن الفصحى في التأليف
لا يعني منع التفاعل بين الفصحى والعامية . خذ مثلاً في الفصحى :

قالوا اللقاء غدا بمنعرج اللوى واطول شوق المستهام الى غدٍ

هذا ليس افخم في ميكانيكية تركيبه من :

قالوا الكردي فزَ الحيط هذا الكردي وهذا الحيط

« خذ حذرك » ، كنت اعتقد انها عامية حتى قرأتها في القرآن الكريم . في ظني
ان افضل عبارة سمعتها في حياتي تلفظ بها رجل حط به الدهر فاضطر الى التعامل مع
بعض سقط الناس فالتفت اليهم في ساعة حنق وصاح « لما كنت مكاري ما عاشرت

هيك يقال «. ماذا عليك نو فصحت مثلا مثل هذه العبارة الجميلة تناولتها من اللغة العامية باصابعك من غير ملهقة ، وانا اكفل لك انك لا تحتاج الى غسل يديك .

في لفتي المسرحية تمعدت وربما لم اتعد لغة طبيعية سهلة ، لها صدى موسيقي الادب العالي ولكن فيها جلبة السارع وضجيج ساحة القرية . اللغة هي من المشاكل الكبرى في التأليف المسرحي عندنا ، وهذه المعضلة لا تواجه فيما اعلم اي مؤلف مثلما تواجه المؤلف العربي ، لسمة الخليج الذي يفرق العامية عن الفصحى ، ولتعدد لهجات العامية . ولكننا سنتقلب على هذه المصائب ، نقهرها بالتأليف والانتاج وليس بعلم النظريات ، ومضغ الكلام ومط البديعيات ، وبالتحذلق في كيف يجب ان نكتب او لا نكتب .

اللموصية في الادب : تلخص اجوبة الادباء حتى الساعة اذ يتهمون بالانتحال ، او الاقتباس ، بكلمة واحدة هي « بيكذبوا » ، عساي اختط للكتابة طريقاً جديدة اذ « اعترف » بكيف آخذ عن الغربيين ما قد تكتشفه في هذا المؤلف .

امامي كتاب ميخائيل نعيمة في « جبران خليل جبران » . ان المتضلع من الانكليزية ، المنغمس في معايشرة الاميركان ، المعجب بقوة افصاح لغتهم العامية ، يشعر اذ يقرأ كتاب نعيمة بصدى بعيد في نفسه يسائله « اين قرأت هذه العبارة ؟ متى مررت بتلك الاستعارة ؟ من اسمعني هذا الرأي ؟ اسمعه في صفحة ٣ يقول « انا استمد للانصراف من محل اخر فيه كل يوم ساعات بكاري من حياتي لعدد محدود من مواسم الريالات » لا ريب ان المؤلف كان يسمع شتائم الدمقيين (١) في الحملات الانتخابية في اميركا يقولون في اخصاهم (You have prostituted the governement)

تمبير جديد قوي الافصاح ناق نعيمة الى تعريبه ، فلما ان جلس يقص علينا آلام زمن افناه في بيت تجاري ، صرف باسنا نهوشم - آ - شنيمة - عاهر - موس - جاءت « مواسمات

(١) تعريبي للفظ Demagogues وبهجيني من اللفظة العربية ان شقها (دم) .

الريالات « ونعيمه ككل فنان ، يدين بمذهب التضاد، ويحذق استغلال المعاكسات . ركضت اليه لفظة بكارى ، وهي ضد مومسات ، فجاء ظافرا في العبارة كلها . غير انه فشل في صفحة ٨٥ في قضية « عضاض » فالجملة الانكليزية الشائنة التي تقابل « برد قارس » هي (Biling Cold) . فقال نعيمه لنفسه لأدخلن على العربية تعبيرا جديدا « برد عضاض » ها ! كلمة عض قادته الى « ناب » طبعا . الثاب للعض ، والثاب عضو من أعضاء الجسم فزلق الى « رجل » فانت الجملة « يوم برده عضاض . . . انيابه من ذهب . . . رجلاه من زجاج . . . فشل على طول الخط يبدأ بـ « عض » لان الضاد حرف دافى . ولفظة قارس افضل في اداء معنى البرد من عضاض . واصغ اليه في صفحة ٣٢ يقول كأنه « محمول على سحابة » فهذا التشبيه الجميل في العربية هو من عاديات الاصطلاحات الانكليزية (Sailing on a cloud) .

وفي صفحة ٤٨ يقول « نجوت من الصرف والنحو والمعاني والعروض والقوافي » فكأنه اختزل بسبع كلمات مقالة شهيرة لهزال اميركي نسبت اسمه ولم انس عنوان مقالة (you will get me your education) والكتاب حافل بمثل هذه الاقتباسات بعضها ناجح والبعض ، كما ينتظر فاشل ، فهل نهم نعيمه بانه نشال اذا حاول عمدا او بغير عمد ان يفني العربية بهذه التعابير والافكار الوهاجة بل هل في وسع نعيمه ، او اي من الناس ، تشقف بالافرنجية ولعله عاش ودرس وفكر افرنجيا ، ان يجلس الى ورقة فيتعري من ثقافته ودراسته ويخترع كل كلمة وعبارة وفكر ؟ وهل من الحكمة ان يفعل كذلك اذا هو قدر ؟ وهل من العار ان جاءت الاقتباسات وهي تكاد تكون من مبتذلات اللغة الافرنجية . ان ابن القاهرة لا ينقص من شهرته للعنب كون العنب فاكهة مبتذلة في لبنان .

اريد ان احمس اليك انك اذا كنت تحسب مثل هذا التعريب او الاقتباس او الاصح التفاعل مرفقة ، فانا في « نجب العدو » « حرامي » .
تسألني ولماذا اخترت كتاب نعيمه في جبران واقتطعت منه الامثال ، فهل

سندشت (١) اسمك بين كوكبين ليستضيء بألمعان جارّيه فيراه الناس ، ام لتتحدى
المقابلة فيذكر اسمك وجبران ونعيمه في نفس واحد . اجيب ، ولك ان لا
تصدقني ، ان «جبران خليل جبران» هو الكتاب العربي الوحيد الذي قرأته خلال
ما يزيد عن عقد من السنين فكان من الطبيعي ان تجيء منه استشهاداتي . وانا لا
يقتصر تكسبي على الكتب بل اتعدها ، فاني مولع بمطالعة المؤلف الذي له قدمان
وعينان واذنان ، والذي اسمه انسان . لم اجيء بهذا الاعتراف اعتذارا عن جريمة
اقتربتها بل لأوضح ما يجب ان يكون اشيع من البديعيات وهو ان الاختراع
الصرف الطاهر ، يكاد يكون مستحيلا . ذكر دوماس-وقانا الله شر الاستشهادات-
وقد عيروه بتهمة الاقتباس ، ان اول المقتبس هو الله اذ خلق الانسان على شاكلته
ولم يبتدع رجلا جديدا . فلا يقوم غدا لئيم يتهمني بالصوصية اذ حتم الصدق علي
هذا الاعتراف . و «نخب العدو» بالمعنى الشائع هي مبتكرة حوادثها وحوارها
وكل شيء فيها . ولئن مررت بعبارة تلبس الثوب الافرنجي فتأكد ان روحها
عربية مثل «لو امطرت الدنيا دولارات ، للبس وسم مشعرا» هذه عبارة لي بعنفا
لمجلة بثلاثة دولارات . بل اني اندب الكثير من الافكار والعبارات التي تنسرب
الي بالافرنجية ولا يمكنني تعريبها اما لتلاعب لفظي او لفقدان بعض الكلمات

(١) سندش من السندوش وهي عشبة خضراوية ، ورقها كالهندباء حامض ، كانت
العرب تغمسها بالزب وهو سلافة خثارة كل ثمرة بعد اغتصاها وتفل السمن ، فتضعه
بين قطعتين من معجون الرمحة اي البلح فيأكلونه . وعنه اخذ الافرنج كلمتهم
(Sandwich) . جاء في «الحواصة المزقولة» وهي المخطوطة الفريدة التي
يملكها الاستاذ اسعاف الشاشيبي :

« دخل عسيل الرعماط على مجلس الامير حندوش الزنوعي فلقى رجلا حدبارا
(هزيلا) يدعى خميط وقد تصدر مجلسا حفل بكل درفاس (الضخم من الرجال)
فارتجل مشبرا الى خميط :

لحاك الله ثرا من حدبر سندش نفسه بين الدرفاس

والاصطلاحات في العربية . يحضر في من هذه العبارات قولي ، History is libre money ، فهذه عبارة
عربي تعريبها لعدم وجود ما يقابل (Too) بالانكليزية .

لم اذكر كل هذا لأدل باصطلاحي من الانكليزية او لأوضحك اني في تلك اللغة
كاتب ، بل لاني اشعر ، وبعض العبارات تتبرقع بالافرنجية ، بظنك ان هذه العبارات
منهوبة . وما حيلتي في تعريبها وقد ولدتها افرنجية ؟

يلعن دين : هل انا اول من وضع هذه الشتيمة على الورق ؟ ان كنت ذلك
الكاتب فانا لست بنحجول . لا اريد ان ابري نفسي او فعلتي هذه بالقول ان
كبريات مجلات اميركا وصحفها بدأت في السنوات الاخيرة تطبع العبارات السفهية
ولكني اقول ان « يلعن دين » هي شتيمة . غير انها ليست بالشتيمة القذرة ومن منا
لا يستعملها ؟ وانا اذا استعملت « يلعن دين الورق » لم اشتهم شخصاً ولا ديناً . فلماذا
لا اذكر عبارة بليغة في تأدية المعنى ، وأرجع الى مثل « لحاك الله » بدلا منها ؟ الا
لخاني الله حتى لا تعثر بلحيتي ان امكنني استعمال « يلعن دين » واعتضت عنها بـ « لحى
الله » . اما كلمة « قحبة » فهي قاموسية وهي « العاهرة » بعينها . ولكنني آثرت
الاولى لانها فصيحة وعامية معاً ولان اثنين القاف الصلبة اذا جاورت فصحح الحاء
اقرب الى اداء معنى الفحش والزنا من « عاهرة » وهذه كلمة موسيقية عذراء مثل
« طاهرة وشاعرة وساهرة » .

والسبب الآخر في فشل الدرامه عندنا هو ان هذا الفن يقتضي التعاون في
البلغ درجاته . فالتحات والشاعر والمصور والموسيقي لا يحتاج الى رفاق . اما
الدرامائي فهو حين يفرغ من حبكة درامته ، ينتهي من بناء اول درجة من سلم ينطج
الجو . المخرج والممثلون والاوركسترا والخياطون حتى والجمهور هم الرفقة المتممون
لكل درامة . فالسبب الذي من اجله لم نتعاون ولم نصرامة حتى اليوم ، هو السبب
الذي من اجله لم يثبت امام جمهورنا مسرح ولا درامة . متى اردنا اخراج درامة
فالكل يريد دور البطل . ثم نتنافر ، ثم لا نتمرن كفاية اعتداداً بانفسنا والاعتداد

هو « سبور » قومي عندنا . ثم لا يتعاون الممثل ورفيقه الممثل . ثم لا يجتمع في ساعة الاجتماع ، ثم - وكما ثم تطلب حتى تخدم رواية وواحدة تكفي للهدم ؟ لهذا لا يستغرب ان معظم الروايات يمثلها التلامذة اذ ان الحسد والتباغض والكسل نكون على اقلها في عذارى نفوسهم . اما من الوجهة التجارية فان سوق الدرامه موجوده عندنا اذا قام عندنا مؤلف وتعاونت معه فرقة اذ ان شعبنا شعب متعطش للهو ، متعشق للادب ، وهذه دور السينما والفرق الاجنبية تستغل شعبنا رابحة . الدرامه لا تشيع الا بالتعاون ونحن شعب متخاذل . خذ حملة الاقلام عندنا . لقد قردوا الادب بحرب اهلية اثاروها بينهم وانصرفوا عن الانتاج الى التشائم والانتقاص وتخدم بعضهم بعضاً . تسألني وكيف تكتب ؟ بل انت لم تسألني ولا تريد ان تسمع . ولكن صبرك لحظة ، فان اقول لك انني اكثر التدخين والقهوة ، وانني يجب ان اكون في حالة جسدية تامة ، وانني اروض ذهني بسماع الموسيقى او التطلع الى حسناء او قراءة ادب عال ، او استعيد ذكرى مفرحة او ظرفاً غابراً ، او انتمس بجم جميل . هذا كله ليس بالجديد عليك ولكنك لعلك لم تسمع ان اجمل ما كتبه كان بعد لعبة بوكر خامرة . فان اعظم مثير لمسي ، وجامع لافكاري ، ودافع بي الى العمل هو توبيخ الضمير اذ اقترف موبقة ، او اقصر في تنفيذ واجب ، فيصيرني من الندم والتحسر ، ما يهيئني الى التكفير عن اثمي بانتاج شيء اعتقده ثميناً . لا بأس عليك اذا سكرت مرة بشرط ان لا تصبح سكيراً . وبشرط ان يبقى ضميرك حياً فتطلع بالمرأة في صباح اليقظة بعد مساء السكر فتخطب الوجهه في المرأة « هذا شجوب الضمة في اصفرارك » وهذه الحياة تتناثر من رثيق عينيك . هيا يا مجرم كثر عن معاصيك بعمل مجيد . انا لا اجد من دافع الى العمل مثل ضمير حي يشهر بالندم . فان انت امنت من وجدانك بالصلاة ، فليس انفع لك من اقتراف الخفيف من الاثم حيناً بعد حين .

غير انني لا « اجلس لأكتب » ، فكل ما اضعه على الورق انقله من مذكرات في دفثري او خاطري جاهزة افكاراً وعبارات وكلمات ولست اقد الا لأؤلف بينها وقد

ازيد او انقص ولكن الفكرة الرئيسية جاهزة بكل معداتها . اما « نخب العدو » فقد ولدت اشخاصها اجنة وكبروا وكبرت مهمهم وعاشتهم هاتين السنتين فني مقدرتي ان اقص عليك سيرهم ، ولو اني رسام لصورتهم لك . لا انسى منذ ايام اذ لقيت في الشارع مواطناً فبرعت اليه اسلم عليه سلام الاحباب . قال « يا افندي ، اشكر لك جهجتك بلقاثي ولكنني انا من جبال القدس ، فيها قضيت كل حياتي ، ولم اصل هذا المهجر الا البارحة ، ولا اعتقد ان الله انعم علي بلقاءك قبل اليوم » فانصرفت اسائل نفسي من هذا الرجل ؟ يستحيل ان لا اكون اعرفه ، الى ان انشقت النور امام عيني - بلى « هذا شمس جهجاه » ، كما تخيلته في « نخب العدو » . حتى احلزم الليل صارت تهبط علي في شكل درامه - على مسرح ، وامام نظارة ، يرتفع الستار عن حادثة ، ويترل علي حادثة .

تسألني وهل انت تخلق اشخاصك خلقاً ام هم احياء منقولون . اجيب ان كلا الامرين مبسور وموافق ، قرب صورة فوتوغرافية لفادة يقصر عن استيعاب نظيرها من خياله اعظم الرسامين . ورب دون كيشوت تعرفه أشد اضحاً كما في مهازيء مغامراته الحقيقية من دون كيشوت الاصيل . وما دام في وسعي ان امسخ ، واشوه ، وان اكون من شخصيتين او اكثر ، شخصية ثلاث قصتي فلماذا اسر نفسي الى طريقة واحدة ؟ ولعل اقرب اشخاص الرواية الى الاشخاص الحقيقيين هو دور « الدكتور نجيب » الذي كرسته لذكرى الرجل العظيم المرحوم الدكتور نجيب الصليبي . اما الدرامه فتتشب في رأسي غوغاء من مشاهد واشخاص وحوادث ، فقد يخلق المشهد شخصية ، او الشخصية حادثة ، او الحادثة عبارة ، او العبارة قصة . اي مؤلف يدري كيف يؤلف ؟ انا كثير الاستنجاد بعقلي الباطن ، فكل ما صعب علي ، لا أباأس منه ، بل اودعه عقلي الباطن ، واقول « المروءة يا هذا ، اخوك الواعي عجز ، وانا في حاجة ماسة الى تلك اللفظة او الحادثة فاشتغل بها ومتى ظفرت نادني » . وفي هذة الليل ، او في التاكسي ، او في اي مكان وزمان تفاعلي اللفظة او الحادثة . اطلق لمخيلاتي العنان ، فترخر امامي مشاهد واصوات ومواكب غريبة شتى - نابليون

امام الازهرام ، لندبرغ يقطع الاثلاثيك ، نقش حبيب حي ، باخرة تعرق ، حرب اهلية في السودان ، معركة في حانة ، سكبير في مدرسة ، طفلة بين عجلات الترامواي ، مدرسة تحترق ، ابيات من الشعر - حسن الزيلعي على المنبر ، والمحامي صباح العبود مضرب عن الطعام في السجن . ومن هذه المشاهد الجنوبية المتناثرة ، تثبت جرثومة ، فقرسة ، فشرة . اطلق لخصان فكرك العنان فقد يفر ، ويكر ، ويعرض ، ولكنه في نهاية الامر يركض بك الى هدف معلوم .

ولئن تركت هذه الرواية في نفسي من حسرة فهي انني ارغمت على خلقها قزما ولم اتركها تنشأ هيفاء ممشوقة القوام . ليت جمهورنا واسع الصدر ، بعيد عن التعصب اذا جملت « الحموي والحمصي » بيت « الخوري وعبد النبي » ، مسلمين ونصارى ، وحماهم الاسلحة وتركهم يتقاتلون ، ويتناحرون ويتشاقون ثم الفت بين قلوبهم ، فاذا هم عصبة دفت الاحقاد . ولكنني اؤلف لمسرح ، ولا اريد ان العب بالنقذائف ، فأني احمق يحس ان يضع على افواه اشخاص روايته كلمة قد يفسرها جاهل انها تحقيق للجماعة ، او مدح لمذهب على حساب مذهب ؟ هذه الرواية على ما اعلم هي المحاولة الاولى في العربية لبث دعاية الالفه في مؤلف ادبي ، ولا عجب ان جاءت المحاولة مبتورة بحكم الفن مغفمة بسبب توتر الاعصاب . « الحذر هو ثلثا الباس » . تستفهمني سرا عن مذاهب اشخاص « نخب العدو » . اجيب لو اني اعرف انا دين احدهم لعرفته انت وما اضطرت الى سؤال . حينما شرعت ادون مذكراتي كان « الحموي والحمصي » « الحداد والنجار » . وهما ايمان مشترك بين جميع الطوائف ، غير اني خشيت ، وكل معارف الحدادين مسيحيون ، ان يأتي بنو الحداد في « نخب العدو » ولو على الرغم مني نصارى . فاستبدلت الاسمين اذ انا لا اعرف في الدنيا لا « حموي » ولا « حمصي » . ان من بحث الاديان في لبنان وسوريا وجب عليه ان يمشي على الاخمصين ويضع المخمل في الكفين ، ويظلي بالعل السفتين ، فأين التسامح عندنا أين ؟ هل هذه الدرامه محلية ؟ اصيح بك بشراة جبلية لا ! فككرها الرئيسية هي انسانية شاملة طرقها قبلي - عفوك يا قاريء - شكسبير في روميو وجولييت ، وعالجا

الاغريق قبل شكسبير في روايات عدة ، ولئن جاءت حوادثها في « وادي الارز » وفي مهجر من مهاجر بني وادي الارز فلا يعني انها « اريزية » اذ ان الحوادث تتطلب مكاناً ما تقع فيه ، والحكم على محليتها او على شموليتها يكون بموضوعها وحوادثها وافكارها وليس بمكانها . غير اني لا انكر اني لو ابحث لنفسي ان اشرد عن الفن قليلا واغراني من كثرة السذج تلقفهم فخامة العبارة الجوفاء ومواقف البطولة الفارغة ونعتهم « بالوالدنة » المجنون ، وهو في نظري ارقى انواع الادب وأعسر ، اذ فيه دراسة وعظة وترويح للنفس ، لمرآتها من حلاوة نكات وتزعت عنها الكثير من مألوف الكلام ، وارسلتها في الناس طنطانة والبست كلا من اشخاصها حلة ذات لون واحد . وحقا لقد نظرت في ان افعل هذا وقلت لماذا اصور نفسي في عيون الكثيرين روائيا لبنانياً ، او سورياً ، وفي اسهل ميسوري ان احذف القليل ، وانفخ القليل واملح المشاهد بشيء من بديهيات القول ، فيرضى الذين يحسبون الشحم عضلا - وهم كثرة - ويقولون هذا درامائي عربي بل عالمي ! وهممت ان ازين « نخب العدو » على النحو الذي ذكرت فأصرت حبري قد اصفر جبناً ويدي بدم الاثم ترشح ، وهتف بي ذلك الخفير القابع في زاوية نفسي « ستأتي طنطنتك مزيفة ، وللصدق حيلة على الظفر لا نفهمها ولكننا فائزة في نهاية الامر فالزم التواضع ، وان كان الابداع نصيبك فسيأتيك متفجرا من الهام نفسك لا حيلة عارضة منسوجة من خيوط تفكير سواك .»

الى المخرج : ليس ادعى الى النقام من الصراحة فأخبرك فيما يقرب الوقاحة انني امقتك . ان بيني وبينك من البغضاء الفرزية ما بين الام وصهرها . تحدث الام نفسها فتقول هوذا النفس التي انبثقت من نفسي والتي ربيتها بدموعي وتهداتي وغمرها بحنوي يقصها عني غريب . ويقول الصهر هذه حبيبتي التي اخترتها من بين فتيات الدنيا تحاول امرأة انانية خرقاء ان تحتفظ بها دوني . هكذا انا الد هذه الدراما وانت تستمتع باخراجها . وهي طوع يدك وليس لي بعد طبعها امر ولا نهي .

أفهمت لماذا ابغضك ؟

ولكن هذه الغرابة بيننا قد فرضتها الطبيعة علينا فلنحاول اذن ان نكون

صديقين .

لك ان تتحدد باسمك على برنامج الحفلة قرب اسمي وليكن بطوله وعرضه .
فانت شريك في هذا الجهد الادبي ، لك قسمة الاجاح ، وعلى رأسك نصف عاقبة
الفشل . لا احسدك على مكانك اذ انك في مأزق أصعب من مأزقي . انت تواجه قضائك
وسيقراون حكمهم عليه بحيث تسمعه . اما انا فأتلقى الحكم غياباً . فهكذا
يتضاعف عليك ألم الفشل ، او حلاوة الفوز . ولقد بعثك نصف الامل بالفوز ، بنصف
الخشية من الخذلان . ارفع الستار عن سريرتك واعترف انك في باطن قلبك تكرهني
وتستخف بانتاجي ، وتعتقد بتفوقك علي . انا من رأيك فلا ريب انك اخبر
بالدرامة مني وان قلحك اكتب من قلعي . رجوتك اذن ان تفضل وتخلق لنفسك
درامة من غير ان تشوه كتابي فكل حرف في روايتي هو قطعة من روحي فلا
تعذبي ببت حرف منها وادفق بي فلا تغير ولا تبدل فيها شيئاً . لا نحاول تطييبها
فهي صحيحة في عيني . انا ولوع بالاحباء اولادك - حفظك الله وحفظهم - غير اني
لا أود ان ابتدأهم فارحمي ولا أَسْئِدْشْ اتمام افكارك بين انشاء فكري
وبنائه . ان جمعية « الفرق بالاباسة » هي جمعية نبيلة الغاية من المروءة ان تبرع لها
بربع حفلة التمثيل ولكن افعل ذلك سرا ولا تذعه فاني اريد من القوم ان يدفعوا عن
تذكرة الحضور عن شوق لمشاهدة « نخب العدو » وثقة منهم ان اجرة الدخول
تساوي لذة مشاهدتها ، فلا اريدك ان تقول للناس تبرعوا ببالكم للمشروع الفلاني وهذه
« نخب العدو » تنكة اجمع بها احسانكم .

كذلك انا معجب بالآفسة مرنا (مدموازيل مارغو) البولافي ، وأتسج نشوة
اذ اسمع صوتها الملائكي ، واذوب طرباً لعود الاستاذ جاد الله البحنائي ، ويفجى
علي ضحكاً نطقطوقة صديقنا « حويشان وزبدي » فأرجوك ان تقيم لحولاء الفنانين
الناشرين حفلة خاصة يعرضون بها بضائعهم واترك ليلة « نخب العدو » « لنخب العدو » .
تمنطق بتمزاليوز ، وتأبط رشاشة النار ، فاذا خض شاعر المدينة ، وبلبل المنردين
« صديقنا » سلوم الاندبوري وارجل بضعة ابيات تناسب المقام ، فلقمه النار وازرع

بالرصاص جسده ودمه في عنقي . زين المحفل بالالوية والازهار ولتسع في جوانبه
الانوار وليكن مستقبلك فتياً عاتيت (١) بسامين ولتعرف الاوركسترا حيناً
بعد حين ، واخلف في القاعة جوارحاً كأن القوم في مهرجان ، اذ لو قطب الجمهور
لكان في عبوسهم مأتمك ومأتمى .

لا تضرب بالعصا على المسرح قبل رفع الستار ، بل اخترع لنا عسكرياً هزلياً
ينفخ من بوق قبل ان يسفر برفع المسرح عن مشاهدك . حذار القنابل حذار ! فلا
تنطق بمثلئك بهجمات خاصة اذ ان « نخب المدو » هي سلسلة عِقد كفاح بين اشخاص
وَقِئات ومهادي . ومواقف فلا تفسح المجال للثيم او جاهل يقول لقد اردتني او
اردتني بذلك الشخص او تلك الكلمة .

بقي ان تذكر ان البضاء لون من الوان المحبة فاغسل بالعطّر شاريك وهات
منهما قملة ! ...

(١) جمع عثليت اي (Athlete) وتلك اوفق من « رياضي » لالتباس هذه بين الرياضة والرياضيات يقال عثلته فهو متعثت وعثليت .

« نخب العدو »
درامة في ثلاثة فصول
« النبلح الاسود » وقصص أخرى
طابع الكتاب ، ايلول ١٩٤٦

سيرة المؤلف

بقلم المعجب به حتى العباد

سعيد تقي الدين

قلت للمؤلف وقد ربض بما يزيد عن المئة وعشرة كيلو من جسده على كرسي
يجتر من تحته ويصيح : حدثني عن حياتك من يوم ان بكيت لأول مرة الى هذه الثانية التي
اراك بها بامياً ، بـ « نخب العدو » فخوراً . اجاب بولني ان تكون الايام قد
اضطهدتني الى حد اني احتاج ان احدث الناس عن نفسي بدلا من ان يتولى ذلك عني
المؤرخون . قلت خل عنك المرارة ولا تصف عن قرائي بخيلائك ، فانا محسن اليك
اذ اسألك ان تتحدث عن نفسك فليس في الدنيا من لا يجيبك التحدث عن نفسه
ويستطيعه ، وعد بي الى الخامس عشر من ايار سنة ١٩٥٦ واعلمني ما الذي حدا في
ذلك الاحد باهل « بعقلين » الى الجداء ، وما بال دوي البارود يمين القانون ،
ولاي جليل امر هزجت الرجال وزغردت النساء في فجر ذلك اليوم . قال نبذت
سائر الدنيا وتخبرت بعقلين ، الشوف ، لبنان ، بلدة اسقط جها رأسي ، ولو

اعطي لي ان اتحص الف مرة لما نزلت الا بعقلين دار مولد . اما الحرج لقدومي ،
فقطل الفه الناس اذ يفرحون بالطفل حين يولد قبل ان يثبتوا انابفة سيكون ام
ابنه . على اننا بدأنا نفهم الامور ، فانت اليوم لا تجد ان بني بعقلين اقاموا لي
التأثيل في شوارعها ، ولا علقوا صوري في متاحفهم ، ولئن غيبي الموت في غدي ،
فقد تسمهم يندبون من الاسد والنافسة ، ولكنك تحس في اجوف ندمهم مرارة
الحية في طفل مرّد نجيباً وشب شبه نابفة ، وجاء في موسم القطف كاشجار زيتونهم
في سنوات الجذب ترهر ولا تثمر .

قلت انا طالب سيرتك لا فلسفتك ، فاطرد محدثاً .

ولدت من ابوين ينتميان الى هائلتين طيبتين من عائلات لبنان . أن لم نكون
من ذروة الجبل فما بدون رب من اهالي سفحه . ولكن تلك الرفعة ما ابدتها
اموال ولا ممتلكات . فجاءت القابنا اكثر من نقودنا فقد دعيت بالـ « بيك »
و « الشيخ » منذ طفولتي ولا ينفك اصدقائي عن اتهامي اني في تجارتي اهاود من
يدعوني « مستر » و « سنيور » واسلخ بالسعر من يناديني باسمي عارياً .
قلت لقد استقبلني رجال الضيعة بدوي البارود فنشأت ولوعاً بالدوي ولو انه
قرقة تنك فارغ . ولئن بدأت احس مرارة الفشل المالي تستقر في نفسي وتحرق
جوانبها فليس لما يجلبه المال من راحة وبذخ بل لما يصحبه من « دوي » .

شب ابني وابوه من قبله قاض ، على حب الوظائف ، شأن ابنا « العيال » من لبنان .
واذا انا اغفلت ذكر بعض مزايا ابني من مثل اباء وشدة بأس ، وفروسية شأن اكثر
ابناء قومه ، وارتدت ان اذكر الصفة القامرة نفسة لقلت انها الطموح . ولكن
ضبط ابنا القمة سحر ساكن اعلى السفح الى اعلى السفح حيناً ودخرجه الى الوادي
أحياناً . وابي اليوم وقد بلغ من العمر مرحلته الهادئة لا يزال يتطلع الى القمة ويجز
قبضة جبارة ، وبصرف بصفين من اسنان اصطناعية ويقول ان لم اكن قد بلغت
الذروة انا ، فسارى احد ابنائي يدق بيرقنا هناك . فيجيبه صدى صامت - يمكن !!
جلس ابني على الكثير من كراسي الحكومة فما علق باثوابه شيء من اقذارها ، وخرج

طاهر هيد ، ومن طهرت في وظائف الحكومة يده نظفت جيبه ، فما ارتشي ولا
هاود متزعمًا ولا حالف مجرمًا ، وما اشترك بهتريب ، لهذا لا اذكر انه مر بنا يوم
لم تكن به في حاجة قصوى الى المال وما تزال . واني لا ذكر قولاً سمعته من أمي
- وهي الامومة مجسدة - بني ان الله ربط على باب دارنا ذئب الفاقة واكبر همنا
في الحياة ان نظرده عن الباب . بلى ، لم ينهشنا ذلك الذئب ، ولكن لهاته ابدًا
يحررنا من الوجوه ، وعواوه يملأ منا القلوب ، وفي ايام الحرب كاد يقبلنا بانياب حداده .
- ولماذا اشرق وجهك اذ ذكرت ايام الحرب ؟

قال لقد ذكرت عنما امين تقي الدين وقد اشرف في ذلك الحين على تهذيبننا
حين نبت العشب في ملاعب المدارس الاجنبية ، فان جريمة اتجاها ميولي الى الادب تلقى عليه
اذ كان يملأ البيت شعرا واحاديث ادباء ويضربنا على ارنكاب الشعر ، واقتراف
النثر . وكم من ليلة اعوزنا الطعام فاولم لنا عنما امين من « مختارات الزهور »
و « كائلة ودمنة » عشاء فاخرًا نجترته ترويقة في الصباح . وعنه اخذت وجهة نظري
المالية ، فهو يحسب ان المال قنينة ديناميت ، اذا اشتبكت عليها اصابعك فارم بها
الى اقصى ما تقدر مخافة ان تنفجر في يديك . واغلب ظني انه اليوم في بيروت
ما يرحى يرى في المال سلعة يملكها سواء ولا يفيطه عليها .

اما المدارس فقد تزلت منها في بحور مشتبكة التيارات ، متدافعة الامواج ،
فن رهبان يحفرون العلم حفرا وتزليلا ، الى شيوخ يهذبون بالقلق والعصا ، الى
مدارس تبشيرية افرنجية تريد بالركة حتى التأث ، الى راهبات يسألني في صمت
لماذا لا تنصري يا كافر . وقد حملت من هذه الجنائن الزهور ويابس العشب والتبر
والتراب ، ودفعتها الى تلك المطحنة الكبرى في رأس بيروت فصهرتها وصهرتني الى
فتي صلب ، براق ، بالحياة فوار ، يحاول الركض الى كل الجهات في آن واحد
فيجد نفسه بعد الغناء انه لم يبرح مكانه . كثير الاصدقاء ، كثير الاعداء ، لا اعلم
بلدا تزلته وليس فيه من لا يقتديني حتى بروح حماته ، او من لا يود مصرعي ولو شفا
بجمل يحيكه من شعر استانه . وفي ، ودود ، حقود ، شديد الثقة بنفسي الى درجة

الاعتداد ، مسرف حتى التبذير ، كثير المطالعة والاطلاع حتى لتكاد تضايقك وفرة معلوماتي . فكه الحديث ولكني مبتور العبارة فما انا بالمتحدث القصاص . مغامر في التجارة حتى اكاد ان اسمي فيها مقامرا . كثير الحركة ولو لغير فائدة . حشري من اعلى طبقة ، افضل ان افك العقدة باستاني من ان افكها بيدي . متفائل ، كثير احلام اليقظة ، عقلي كقطيع من الماعز منتشر على الهضاب والادوية ، ولا يجتمع الا ساعة المغرب حين يقبل حبري ورقى . يقال لي لو اني للممت قواه ، وشددته الى بئر في حقل مسيح لجئت من غار الحياة اكثر ما جئت حتى الان . سريع التنفيذ الى درجة الهوس . عاطفي ، كثيرا ما ترى الدمع في عيني لذكرى حادثة طمسها الزمن ، او شخص غاب .

قلت للمؤلف لقد اعيايتك تتبع خطواتك يا استاذ . فهلا بدأت الحروف الالجدية بالالف بدلا من الباء وهلا سرت في حديثك سيرا متسقا فبدأت الطريق من اولها ، فاني اراك تنقفز من نصف الطريق الى آخرها ثم ترجع الفهقرى ثم تدور على نفسك . اتفق عليك ان تصاب بدواخ . فسر في طريقك كز يسير الناس . قال اشكرك لذكرك لذكري فقد فاني انني لا اسلك طريقا ما كما يسلكها الناس . قلت انك مصيب فانت افضل من الناس جميعا ، ولكن بربك تابع حديثك وقل من حكيمائك ، وخفف من مضغن مباحاتك .

اجاب متابعا سيرته «كنت في القرية بسبب مقام اهلي فوق معظم صبيان القرية فحرمت من الاشتباك بقتالهم والعاجم ، فانا في طفولتي «محمي» . لم اكن بالفلام الصلب الذي تتوقعه من ربي في جبل لبنان ، وفي الشوف من جبل لبنان . ونشأت بفضل هذه الحماية وديما وزادت وذاعني حتى الجين اذ كنت بعد ذلك التلميذ الدرزي الوحيد في مدرسة ساحلية كل تلامذتها مسيحيون وفي زمن كان الدين فيه الماركة المسجلة الوحيدة التي بها تعرف الهوية . فلكيت من ضروب الاضطهاد قبل الحرب من تلامذة تلك المدرسة ما لا ازال ارجف لذكراه . لذلك شئت واكبر طموحي ان اخضب يدي بدماء المسيحيين ، وكنت اؤثر ان تكون ضحاياي من

الموارنة فاذا اعتبرني اليوم وزوجتي مسيحية ، وخلص خلالي يحملون اسماء مثل ميشال ، مارون ، عازار ، جورج علمت اي فشل لقيته في الحياة .

وكرر ثالث صيف على المجزرة العالمية وانا عن المدارس منقطع ، واني منفي في الاناضول ، وليس في سوريا ولبنان مدرسة مفتوحة ابوابها الا الجامعة الاميركية ، وليس عندنا مال والجامعة عن بعقلين بعيدة . وحدث انني كنت اسرع المشي في البيت فعثرت قدمي بعتبة الباب فوقعت وطارت من شفتي شتيمة نجديف سمعتها امي ، فاكبرت ان يزلق كبير صبيانها الى اداد صبيان الازقة ، وان يشب على السفه والجلل ، فصاحت « لارسلتك الى المدرسة ولو بعثت سقف البيت » .

الحروف الذي سمناه تقدمت ساعة اعدامه فكان لي من صوفه «سوتر (جرزي)» واهوت على سجف البيت فصيرت لي منها قبصين وستة مناديل ، وذعبت ببعض البسة ابي واعامى الى الخياط فقلبها وقصصها الى بدلات لي . وزرت الكندرجي فذكر بعض الاحذية الى ان استقامت على قدمي ، واقتنعنا قيراطين من اهرام طربوش خالي فاذا الطربوش يتوج رأسي متقللا كتاج ملك بعد ثورة ، وبطنت بالورق بعض القماش فصيرت منها محفظة درام وان لم يكن هناك من درام على أختا محفظة على كل حال . هكذا تهيأت في خريف ١٩١٧ الى الرجوع الى الدراسة ، متوهماً انني ساجر بيروت باناقة ثيابي .

حين يفخر اللبنانيون بتاريخهم وينشدون الاغاني في ابطاهم ، ترام لا ينشرون صفحة مجيدة يجب ان تكون من المع صفحاها . تلك اسطورة لم يكن ابطالها امراء ولا مشايخ ولا بكوات ولا عمقت جذورها في ظلام ماض بعيد ، ولا نفخها الفلو ، وزركشتها الاكاذيب ، بل هي بنت الامس ابطالها اكارون ، اطعموا جياح جنوبي لبنان في زمن الحرب حين سوت الاترك والالمان جبلنا بسياج من حراب وجنود ، ينعون الغلال والقوت عن افواهنا ، ويصدون ما قد يتسرب اليها من مدن سوريا الداخلية وقراها . اذ ذاك نهض في جنوبي لبنان فتيان وكهول تزنروا بالرصاص ، وشدوا على الدواب ، وراحوا يتسلقون الجبال ، ويقطعون السهول ،

لا يصدّم ثلج ولا حر، ولا عواصف، ولا أوبئة، يستترون بالليل عن عيون الجند وغزاة البدو، يتعلمون اتقاء للخطر، ويستأسدون إذا الخطر واجههم، فإذا بلغوا حوران بعد جهاد اربع ليالٍ رجعوا الى جنوبي لبنان بالخطّة وزغردت اجراس بفاهم منشدة « لا جوع في جنوبي لبنان ونحن صبياننا ٥٥ ولا يزال بين احيائهم من يحمل في صدره رصاصة بدوي، او جرحاً من جنود الاتراك، او يقص بدمعة ذكرى لرفيق تخلف عن القافلة مجندلاً برصاصة. وكانت «بريطانية» تلك القوافل قافلة بعقلين ولست ادري كيف ندعي الادب ولا تستفزنا مغامرات تلك القافلة الى ملحمة، او رواية، او قصة. من اشاوس تلك القافلة شيخ معمم لنسجه «ابا سلمان» خدع الحرم بصلابة جسد خفيف، وموّة على الناس عمره بان حلق شعر رأسه ووجهه فلم يسبق لهم حجة بان يقولوا له لا تنضم الى القافلة فانت شيخ مسن. كنا في ثالث اعوام الحرب حين حزم «ابو سلمان» ضرب في زيت من نتاج املاكنا وبوأتني بينها اريكة بغلته «ذئبة» وانحدر بي الى بيروت لبيّس الزيت ويشتريني به ثقافة سنة في جامعة بيروت الاميركية، رحم الله من قال لي حين رجعت الى الضيعة في آخر تلك السنة المدرسية «يا غبن الزيت».

حين ودعني «ابو سلمان» على بوابة الجامعة وكنت ابري قلم رصاص بسكين صغيرة جزينية قال مشوقاً «كن الاول في صفك تحصل على وظيفة كبرى متى كبرت». ثم هدد فزاد: ان لم تكن الاول في صفك، شمت بنا وبك اعداؤنا بنو... ولمح زمرة من اشقياء التلامذة البيرونيين يتغامزون علينا ويتضاحكون فصاح بصوت خفيف «من لا تقوى عليه بالكف عاجله بالعصا، واذا نكثوا عليك فالسكين الذي قهرى به القلم، في وسعك ان تقطع به الوريد». وغابت عني «الحماية» حين غيب منعطف الطريق تلك العمامة البيضاء. وهدأت تلك الزمرة حتى تلاشت اصوات اجراس «ذئبة» فشى اليّ منهم فتى في يمينه سوط وهو اليوم صديق لي حميم وطرح علي ذلك السووال العظيم الذي يتاجلج على لسان البيرونيين متى ارادوا التهمك من جبلي - «حضرة الشيخ»، من اي ضيعة ٥٥٠٠ - تلقني تأدب ذلك الفتى فاجبته اني

الشيخ فلان من بعقلين - اميرة الضياع . قال ولماذا لا ينبت للخنازير اجنحة ؟ اجبت
لا ادري . فستعني فضربت سوطه برأسي ضربة خضبت يده بدمي ، ففر الجبان وثبت
في ساعة العراك صريعاً على الارض .

ما امر ذلك العام الاول في كلية بيروت وما كان اوجع التحقير في ندائهم « يا
جبيلي » ، وما ألم ضروب الذل والقساوة التي سحقت نفسي . « يا جبيلي ! »
عبارة تحز حتى اليوم كياني لما رافقها من الهزء والتحكم والسخرية . فكم من مرة -
وانا منذ طفولتي كثير احلام اليقظة - فررت الى عالم الخيالات الموثس المخدر من
مظالم الحياة الواعية ، فاقنعت نفسي ان هزة زلزلت جبل صنين فقلبتهم على بيروت
فطمس كل من فيها . اجنس اليوم ونفسي كئيبة انحسر في غربتي اني بعيد عن الكثير
من مججات الحياة وازهى ما في الحياة من بهجة في نظري اليوم « بيروت » . حقاً ان
الحياة تسير على سنة لا تتغير وهذه السنة هي التغير .

وفجأة تفجر في صدري بر كان لم ادر بوجوده ، وانثقت من جسدي شجاعة لا
لا اعلم مصدرها ، فانقلبت من فتى خجول حبان معتزل الى شرس ، خشن ، بطاش ،
حتى لقد دعيت لبدغنتي (١) « سعيد الانكشاري » .

قاطعت المؤلف متبرماً قائلًا قص علي شيئاً من حياتك الادبية وعفا الله عن بطولتك
المدرسية - قال - بل اندفع ، بل انقض علي محدثاً :

كانت حياتي الادبية في قصرها وجمالها شبه غمزة حسناء ، وكان صامت وعدي
بالاستمرار والاجادة كاذباً كما كثر وعود الحسان . فاول كرماتي التي سحراني رويتها
مطبوعة مقالة كتبت في السادسة عشرة من عمري عنوانها « رياضياتنا ورياضياتهم »
ارسلتها الى « البرق » ذات يوم خميس بتوقيع مستعار « حماد » وقد كاد يغمي علي
اذ جاء يوم الاثنين فاذا بالمقالة افتتاحية بصدر « البرق » . ومنذ ذلك الحين كثرت
مقالاتي في صحف بيروت ودمشق وفي بعض مجلات مصر واكثرها موقع
بـ « حماد » و « بشار » ويسرني أنه قام في بيروت من يستعمل هذين التوقيعين .

(١) نسبة الى بدغان وهي قرية لبنانية كثر عراك اهلها حتى كاد يُفني بعضهم بعضاً .

لذلك يسهل علي أن الصق بهم جريمة مقالات ذلك العهد .
الى ان كانت « لولا المحامي » - « رواية تمثيلية عصرية » كما اعلنت عنها برامج
الحفلات في عشرات المدن والقرى اذ مثلت في العراق وسورية ولبنان واميركا الجنوبية
وربما تكون قد مُثلت في اميركا الشمالية . ولقد مدحت الجرائد بقالات ضافية
كتبتها او استكتبتها ، وبيننا وبين الصحافة صداقة قديمة فنستعلمهم ولا ندفع ،
ويستكتبوننا ولا يدفعون . وربما مات من بني نقي الدين من لا يملك ذراع ارض
يتمدد فيها ولكن لم يمت منهم بعد من لم يملك حقلا في جريدة يتمدد فيه مغمورا
بعبارات مديح مزهرة .

ليس لي ان أبحث في « لولا المحامي » وهي - ولك أن تقول فيها ما تريد -
جهد مدرسي لتلميذ عمره ٢٢ سنة ، ولكنني اريد ان أساءل اي جهد في سوريا ولبنان
خلال عام ١٩٢٣ بقي على هذه (١٤) سنة الا « لولا المحامي » التي لا تزال تمثل ،
واريد ان استدل من بقائها حية حتى اليوم انها - على كثرة مواطن الضعف فيها -
عاشت بسبب انها جهد رئيسي وان الجهود الضعيفة المبعثرة هي جهود صحفية لا تعمّر
- يا ايها المتأدب عن « المقالة » فاجنح انها لا سفنجة معصورة .

- وما الذي أوحى « لولا المحامي » يا استاذ ؟

- الذي أوحى « لولا المحامي » هو الذي أوحى « نخب العدو » .

- يعني ؟ ؟

- حب الظهور . وان كانت الاولى اذا قيست بالثانية . . .

- فأرة ازاء جبل !

- بل كوخ ازاء قصر !

في وسعي ان اقول لك انني درامائي بالفطرة تغرد المشاهد امام عيني وتحبس
المكالمات في اذني على غير علم مني ، وفي مقدرتي ايضا ان ادعي واندل بكثرة
معلوماتي وسعة دراساتي في الفن التمثيلي ، وازركش عباراتي بالاستشهادات الهراقة ،
ولكنني اصارجك - ولا يصحني ما تستنتج - ان السبب العاجل الذي أوحى « لولا

المحامي « و » نخب المدو « هو حب الظهور . استدرك فأقول الحاجة وحب الظهور . أما الحاجة فلانه اعوزتنا الروايات التمثيلية في ايام التلمذة فاضطرت الى تأليف « لولا المحامي » وشجمني نجاحها الغريب على اتباعها باختها « قضي الامر » وقد فاقتها نجاحاً (١) وها انا اجد نفسي بعد اثني عشر عاماً من غيابي عن لبنان ، اكاد ان اصبح نكرة ، فان ذكرت صحيفة نبأ ثقيل « لولا المحامي » شفعت كلامها بان مؤلفها هو ابن فلان او اخو فلان . ارجو ان لا تهمني بالقحة اذا انا آثرت الصدق وتنعني باني لست بالروائي الملهم ، فلئن كنت ممن يحبون المقالات تنبرج بالاستشهادات الافرنجية . . .

قلت مقاطعاً : وما الخطأ بالاستشهادات الافرنجية ؟

- اقوال الناس كشهود الزور يمكنك ان تستنطقهم القول الذي تريد ، فاذا احببت مثلاً ان تثبت ان السياسة هي موضوع شعري ، لجاء في متناولك عشرة اعلام يقولون ان السياسة توحى الشعر وعشرة في اهمية مترلة الأوّل ينكرون ان السياسة توحى الشعر ، اذن فما الفائدة من الاستشهاد ؟ ثم ان في كثرة دلف اقوال الغريين الى كتاباتنا اعترافاً منا بضعفنا ، كأن الحقيقة لا تكون مقنعة الا اذا نطق بها الكسندر طلبتوخسكي الروسي او جون ج. م. ز. جونسون الانكليزي بل كأن الكاتب يقول للقاري : « انا رجل وضع وربما اكون كاذباً فلا تصدقني بل صدق فلاناً وهذا قوله » . وهل من الواجب ان ازيد ان الاستشهاد صار « تدللاً من الكاتب بسعة اطلاعه » .

قلت كنت على همه ان تستشهد فافعل ذلك على شرط ان تكون الاخيرة . قال كدت ان اعلمك ان « جون ديوي » اعظم فلاسفة اميركا يقول « ان اقوى محرك في طبيعة الانسان هو حب الظهور ، اما الذي احببت ان اخلى اليه فهو انه اذا سهلت وسائل الظهور انطفأت نار الانتاج ، فكم من ضحية اردتها صحفنا قتلاً بالمديح .

(١) لم تطبع بعد لانها لا تستحق الطبع .

اعرف مهاجرا في ازمة ١٩٣٠ كان يفرح اذا انكسر مديون وله عليه مبلغ ضخم
كي يظهر في مأتم المكسور وهو ارفع الدائنين صوتاً . واعرف فتى تظاهر بالجنون
استلقائاً للناس وازداد تظاهرا بالجنون حتى كاد يصبح التظاهر حقيقة ، الى ان
اشار طبيب اختصاصي على ذوي « المجنون » ان لا تأجوا له ، فلما اعرضوا عنه
« شفي » الفتى من جنونه . هذان مثالان عن الغلو في حب الظهور ، واني اغزو قلة
انتاج ادبائنا الى سهولة وسائل الاذاعة في بلادنا ، فقسيمة واحدة ، او خطاب ، او
ديوان ، يكفي لان تنشر ذكرى احدنا بين الناس وتظهر صورته في الصحف .
فترتقي انانيته وتنحدر اعصابه وتقعده به مظاهر النجاح عن الجهد الى الوصول الى
النجاح الحقيقي . ان قليلاً من التشجيع ضروري ولكني اراهن انه لو اتفق
الصحافيون على الاغضاء عن ذكر الادباء سنة واحدة لتضاعفت جهود مؤلفينا
واغنت مكانتنا .

كنت بعد « لولا المحامي » وبعد مئات الخطب والمقالات اجيز المواد لرواية
تمثيلية ثانية اذ اتفق لي ان دخلت في عام ١٩٣٦ مخزن امين ابي ياغي في بيروت .
وقبل ان تعود عيناى ظلمة المخزن ، بعد وهج الشمس ، اذا بشخص فتان المظهر ،
يقفز من مقعده في زاوية المحل ويشي الى بـ « اهلا بالنابغة » ويهز يدي بجرارة .
فركت عيني - لا ما انا بالحالم - هذا امين الريحاني بعينه . خرجت من المخزن
« مبهجاً » بـ « اهلا بالنابغة » مورفين انامنى سنة كاملة من غير انتاج ادبي اذ رجعت
عن خطة تأليف الرواية الثانية . ما تبقى بعد من الادب يا سعيد وقد دعاك امين
الريحاني « نابغة » . سنة من العمر اضاعتها عبارة مديح .

قلت ان في نفسي لعجباً منك . اسمعك كثير التحدث عن الدكتور فيليب حتي
فمالك اغفلت الآن ذكره .

قال بلى تلك زوبعة عقلية تزلت بي فاقتلعت وزرعت وقد تهذبت عليه ثلاثة
اعوام فعليه قوي تفكيري حتى كنت برهة من الزمن ببقائه من مرب ببقاؤه ،

بعضها لا يزال في سماء بيروت يطير ناصل الاجنحة واسطوانته من اسطواناته التي
تردد الحانه العديدة ، ومنها من لا يزال يدور على نفسه منشدا اغاني حتي ، غير اني
ارتددت عليه وها انا اسجل تمردي على تعاليمه فقد افهمنا - في حجة ما افهم - ان
التاريخ لا يعيد نفسه ، وها انا شططت في هذه الديار منذ اثني عشر عاماً خالي
الوقاض مفلساً ، وارى التاريخ اعاد نفسه بي مرتين منذ ذلك العهد .

*

قال المؤلف يتزل الستار على حياتي الادبية بعد « لولا المحامي » و« قصي الامر »
ويرتفع فجأة فاذا بطلنا - اي انا - على مسرح اعددت نفسي لكل مسرح الاله -
التجارة ، في جزائر القبلين من الشرق الاقصى ، يريد ان ينقص القوت من افواه
الاسود ولولم يكن هنالك اسود . كان سلاحني في كفاحي الشباب والجد والطموح
والذكاء - اي نعم الذكاء وساقص عليه اخباره - وكانت اعدائي الذكاء والجد
والطموح متحالفة مع غدر الايام وغدر الناس ، وهوس الشباب وغلو التفاهل ،
والاسراف ، واثمان الناس من غير روية ، والاغراق في الطموح الى تطلب المليون
بالمجازفة بالالوف فصعدت في عالم التجارة كاني راكب منطادا واعويت كاني قافز من
طائرة وانا اليوم اصعد الجبل الف ذراع في اليوم وازلقه الف ذراع في لحظة . عينايا
في الذروة وقدماي في الوادي - مهشم الجسد ، سليم الروح ، اغتاض عن نشوة
الظفر بلذة الجهاد والاماني . اهل التجارة يعتقدون اني اديب كبير وبنو الادب
يتوهمون اني تاجر ماهر وانا واثق ان الاثنين على خطأ وصواب .

صحت بصاحبنا مهلاً يا حضرة المؤلف امزك بسؤال لتمشي خطوة ، فاذا
انت ترمح ميلاً . فها حدث قراءك - اذا اوقع الله بين يديك من قراء - بشيء
عن بركات الحياة . قال لا احيد الكلام عن البركات واعاف كلمة ب . ر . ك .
لانها تفكرني بشيء مستكن ونفسي قلقة مشدودة الى رقاص ولكنني اقص عليك انباء
اللعنات الاربعة التي غشيت روحي ، ونشرت العشرات في سبيلي .

وما هي ؟

- اولها لعنة « الذكاء » .

قلت تضايقتني يا محترم . الاتخاف ان يرمي قارئك بكتابك اذ براك تمتعت نفسك بالذكي ؟

اجاب اصارحك ان قارئ ذكي يعرف ان في رياء التواضع المصطنع من الخيلاء والتدلل ما هو ابشع من المصارحة وان كانت مباهاة . وانا جاد اذ اقول لك ان الذكاء لعنة والانسان يفخر بما يكسب وليس بما يوهب ، والذكاء احبه موهبة . اقول لك ان الذكاء لعنة . الا تسمعون في لبنان اسبق ما يفتنون بالمديح احدهم بقولهم « فلان ذكي » كأنهم قالوا انه كامل بكل معاني الكلمة . ان الذكاء لعنة لانه اقل الزايا اهمية . فالمثابرة ، والجهد ، والاقتصاد ، والحرص ، والحذر ، والتوفير ، هي اهم من الذكاء بكثير ، ولكن الذكاء صفة وهاجنة تبهز العيون ، واخصها عيني حامليها ، عن التطلع الى غيرها وتوهمه انه لا يحتاج الى سواها وبهذا كانت لعنتها .

كنت اماشي احد مالي مهاجرين ممن اصابوا النجاح المزدوج من ثروة واحترام الناس ، فسألته في ساعة تشتاق فيها النفس الى البوح الى النفس باسرارها ، ما هو سر نجاحه . قال يا بني ان في سؤالك جوابي . فلو كنت شخصاً غير عادي ذا ذكاء ونبوغ خاص لما سألتني هذا السؤال بل لعرفت من ذكائي جوهر نفسي . اما وانا رجل عادي بدماعه ، فقد جئت متوازن الجهود ، متسق التفكير ، وحالني شيء من الحظ الى الوصول لي الى النجاح الذي انا فيه . انظر الى فلان وفلان . وهنا كرت علي مسبحة اسماء ، كلهم اذكي مني واوفر علماً . اين هم الان ؟ ان ذكاءهم ولد بهم ثقة نفس صرفتهم عن طلب الخصال الاخرى التي هي في النجاح اكبر شأنًا .

قلت اقفز لي الى موضوع آخر او فاختصر .

اجاب المؤلف حباً وكرامة فانا للاختصار محب ، ولكنني كككل درامائي يفهم ان كتابه خليق ليحتمل لا يقرأ ، ويجب عليه ان يعرض على شاري الكتاب بشيء يُقرأ فصبرك ان وجدته امط هذه المقدمة . وهذا انا اذ كر تلك اللعنات الباقية

التي كبتني . فثانيها لعنة الطموح . ولا تنس ان هذا الحديث هو اوتوبيوغرافي لذلك لا اقول شيئاً في كيف ان الطموح قد يتعجل ضحيته الى اختصار طريق النجاح فيسبب احياناً السرقة ، والجريمة او الاحتيال ، ومراة النفس ، ويفس عواطفك في سيال التحرق من الفشل .

- يعني ان روحك تسكنها العذارى من بنات الطموح لا بغايا فتياته ؟

- اخرس . . .

- عفوك انا واثق من كذبك ولكن سر في حديثك . قال ان الطموح يتعجل خطي المرء فيسبب في كثير من الاحيان هلاكه . وهذه اودية الحياة ملأى بالمشمسين من الطموحين الذين ارادوا اعمارهم ان تكون قفزاً من قمة الى قمة ، وما فطنوا الى ان معظم الذين يصلون القمة يتسلفونها مشياً على الاقدام .

- وزحفا على البطون .

- بل ديباً على الذقون . وان دودة الارض في مثابرة ديبها لأقرب الى مرماها من الجندب في قلق قفزاته .

صحت بربك عجل مخافة ان تفلس من التشابه فترجع بي الى مثل الارنب والسلفاة .

والطموح - تابع صاحبنا - يشوش على الانسان تفكيره فهو بكل شيء غير راض ، على الحياة ناعم ، مجازف بالقليل والكثير .

قلت عجل واغسل يدك من اللعنتين الاخبرتين . قال « لعنة الثقافة »

- يا غبن الزيت !؟

- ربما فالمثقف اثنان ، رجل مثقف نصف ثقافة فهو بنفسه مغرور يعتقد انه فوق الناس وهو دونهم بدرجات غير انه بعيد عنهم في كل حال . ورجل مثقف ثقافة صحيحة ، فهو بذوقه ، واطباعه ، ومطالعاته ، وتفكيره ، فوق الجمهور ، اي عنهم قصي ، والناس يتهمون بالاثنتين . ولا تنس ان الحسد - على الرغم من كتب علم النفس - غريزة شاملة ، والمثقف محسود فهو مناوؤ . بل ان حساد الثقافة

اشد اندفاعاً في مقاومتهم المثقف من حساد المال يقاومون الغني لان الغني ميسور، ولو نظرياً عن طريق اليانصيب، اما الثقافة فمن حرمها شاباً فقدھا على الاجمال كهلأوشيوخاً، وسلاح الغني يذل العدو، اما سلاح الثقافة فلا يقهر الا حامله . قلت لعنت ساعة تحدثنا بهذه اللعنات فهاث لعنتك الاخيرة ، واختصر يا استاذ ان الاختصار هو روح الحكمة .

قال بل ساختصر ففي البحث في هذه المصائب الم فرك الجراح وهاأنذا اذكر اللعنة الاخيرة عارية - لعنة النجاح الباكر .

ويمينا لقد اخذت ببلاغة محدثي . وكدت انصرف من بين يديه مشدوها بمظاهر عمق تفكيره لولا فورة من النور غلبت على ناظري فاذا بجليسي يظهر امام بصري بمجلة جديدة فقلت .

يا صاحب « نخب العدو » ، من الناس من اوتي براعة تنسيق السفسة والباسا ثوب الحكمة ، وحاشاك الله ان تكون منهم ، ولكن هلا ذكرت الذكاء يقرن بسائر الفضائل ، وهلا عرفت الطموح يذكي مزايا النفس وينهض بها ، وكيف غاب عنك ان الثقافة وحملتها ملايين ، هم من قادة الدنيا ، وكيف نفسر ان المزع اسماء الدنيا من احياء واموات ، اصابوا النجاح الباكر فشجعهم على الاسترسال والاتاج . اجاب ، وقد بلغ بريقه وحُدجني بنظرة عداء ، مكانك فانت تبحث في النابغين ، ونحن نتكلم عن سعيد نقي الدين .

- سوأل اخير يا استاذ . هل افهم منك انك في الحياة ترفع العلم الابيض وتعتزف بالانكسار ؟ أنسيت لاعوام خلت كيف كنت تتطلع في الحائط وتصبح بي « بيني وبين الفوز هذه الروزنامة » ؟

- ولا زلت اعيد هذا القول .

ولكن عبارتك هذه ترهلت ، فاین هي اليوم تتدلى من فمك غثة ، منها بالامس تندفع من شفتيك لاذعة بنار الاقتناع ، مصقولة ببريق من عينيك . بل اين انت اليوم وقد برز بطنك ، وهددأت خطواتك، وصارت كلمة « الحظ » تنسرب الى

حديثك ، فهل اوفيت على مرحلة العمر اذ يعترف المرء بفشله بان يلوم « الحظ » من دنياه ؟ وهذه الذكريات التي اصبحت تلهج بها أليست هي الدليل القاطع على هرمك ، فمن شاخ اكثر التحدث عن ماضيه اما الفتى فحديثه ابدا عن غده . هذا مقياس العمر الوحيد . قال ، غريب امرك يا هذا ! تشهد غماري في الجبال عن الذهب مفقشاً وتنهمني بالهدوء ؟ اما رأيي افضي الاسابيع في الغابات ، اخوض انهارها والتحف سماءها . مقاتلاً بقشر جوز الهند اجر ١١٠ كيلو من جسدي ، اذا كان هذا هدوءاً فما هي الحركة ؟

قلت يا محترم ، أمتدفع انت في هذا الفار ، بذلك الاقدام الذي رافق فتوتك ، ام انت فاعل هذا تبرئة لضميرك امام نفسك كي لا تهتم همتك بالحمول ؟ قال انت جائر واوقع من مخبري جرائد اميركا . وقد انتهت المجاداة .

فصافحت بين المؤلف بيساري وانصرفت تاركاً محدثي ينعم باوهامه - وما ارفق الجبل باصحابه - حاسباً انه تمخض هذه السنين الطوال فولد رائحة وانه نام عام ١٩٣٤ قزماً ونحس سنة ١٩٣٧ عملاقاً وهو لا يدري انه :
« ناخ نوخة جمل وقام قومة هر » .

اشخاص نخب العدو

ليسوا وحدات مستقلة ولكنهم افراد من مجموع . كل واحد منهم له مزاياه الجسدية ، والعقلية ، والنفسية ، وله تاريخ حياة حافل بالحوادث فتعرف اليهم كما يظهرون لك . خذ

— ام وسيم —

تعبد بعد الله ، وربما قبله ، ولدها وسيم . وتبفض قبل الشيطان « بني الحمصي » - قتلة ابي وسيم . شديدة العزم ، شديدة الذكاء ، والارادة . قوية الشكيمة . جريئة ، ورعة ، تخاف الله وتستنجده ، وتصلي له ، وتأتمنه ، كأنه صديق قديم . والصديق يبفض عدو صديقه ، فانه فاتك في نهاية الامر ببليت الحمصي ، حام لوسيم . تبفض كل من ليس من دينها ، او حزبا او ضيمتها . عيثا تحاول تحويل اقتناعها اذ ان قوة النفس قد ارهفتها ، فلا مساومة في معتقداها . حريصة ، حذرة ، يقظة ، كثيرة الجدة ، ذات انفة وكبرياء ، طاهرة من العجرفة . ضربة السيف لا تؤلمها ولا تفهم كيف تؤلم سواها .

حلفت ان تخفى « هدى الحمصي » بغداثرها ، ولو رجعت « هدى » غير مقصودة
 الغداثر ، لما نلت على وصفة « ام وسيم » . ثيابها جبليّة ، نظيفة ، وكذلك اثاث بيتها .
 امارة بحديثها ، ابدأ نصيح ، مدممة ، محتجة . كثيرة التحدث مع نفسها بصوت
 عال منذ الصغر . وزادت بها هذه العادة بعد ذهاب « ابي وسيم » فأى ارملة أحبت
 رجلها لا تشعر بالوحدة بعد فقدّه ، وای علامة للوحدة ، مثل تحدث الانسان لنفسه
 بصوت عالٍ ؟

خفيفة الخطى ، على شيخوختها ، نخيلة الجسم ، صليته . ابغض الامور اليها الاكل
 والنوم . اقامت لابي وسيم تمثالا في عيني وسيم . فليس من مزية مستحبة في الدنيا لم
 يتحلّ بها « ابو وسيم » . اما كيف كان ابو وسيم يضربا فامرّ لا تحدث به الناس .
 ربما مثل « ام وسيم » ، امات قيصر ، ووشطن ، ونابليون .

— زليخه —

هيفاء كمجدلة الطريق ، صوت كأنه زمور . بهيعة بشرية . ضخمة الصدر ،
 هائلة الخدين ، منبوشة الشعر ، حواء ، متدلّية الشفتين . عبدة النفس بلهاء . احتل
 انقها زكام ابدى ، فهي ابدأ تمخط بدنورتها . ولكن في قبحها ، وخشونة سلوكها ،
 تناسب حجم بان يكون جمالا . قل عن زليخه ما شئت ، ولكنها خفيفة الدم مهضومة .

— ابو مرعي —

يقول لك فتیان « وادي الارز » وبيتسمون « ابو مرعي » ، عمي ابو مرعي ،
 بطل غير مجرب . قذيفة ديناميت لا تدري اذا كان بارودها مبللا . هائل الجثة -
 اما الهمة فلا تعلمها . لماذا لا ياخذ بتأر اخيه ابي وسيم ؟ وان كانت الظروف غير
 مناسبة ، فما باله ابدأ يبصق كلمات من نار كلها توعد ، ويدمدم كلمات من دمدم ؟
 من الذي شهد بطش ابي مرعي ؟ اين كان حين « وقعة العين » و « معركة السديانة »
 وحين تنادى الشبان ، في اخر الحرب ، وقاتلوا مفرزة من جنود الاتراك مهزومة ،

اين كان ابو مرعي ؟ وما هذه الواقعة في بيروت بينه وبين اربعة من « بني البترون » ؟
 من شهدا ، وشهد البطش الذي يدعيه ؟
 وقد يكون شكاته على خطأ او على صواب ، ولكن اذا لم يشهد الناس منه بطولة
 فمن هذا الذي عرف عنه جبناً ؟ ابو مرعي - ككل رجل عظيم - فيه الكثير من اللغز
 والتناقض غير ان المترف به عن ابي مرعي ، هو انه لبق في ماملة ابناء الحكومة .
 كل دعوى له او عليه ، ابو مرعي يربحها ، نبيل تجاه عائلته يموتها ويقوم بمجااتها .
 يحمل عصا الناطور شهراً ، وينترعها منه ابناء الحمصي شهراً ، والحرب بينه وبينهم
 سجال .

نار البغض لا تلتب في نفس وسم وهذا نقص لا يسامحه عليه ابو مرعي . ليس
 فيه من عيب جسدي الا انه ثقیل السمع .

— الدكتور نجيب —

غشط الدنيا فلا تجد له مثيلاً .

صعب على الناس ان يفهموا الدكتور نجيب لانه عاش تلك الخمس والستين من
 حياته وانصرف عن الدنيا ولم تظهر نفسه عارية امام احد . فتحن نستنتج خصاله بما
 نرى من اعماله . محاولة صعبة وقد تكون غير مضبوطة . ولكن ما الحيلة وفي
 الناس مئات يدعون صداقته ، وليس فيهم واحد آخاه . نراه في آخر مراحل العمر
 تطفئ ارادته القوية على الجسم المتهدم فيسير بمشية عسكرية مفصولة توهمك القوة ،
 حتى تلمح كفتين تهدلا ، وفكا يترأخى في غير اَبان الحذر ، فتعلم ان الرجل يقترب
 من مرقده الاخير . يحدثك عن مستقبله ، وعما سيقوم به من الاعمال ، فهو سيزيد
 على المستشفى الكبير الذي يرأسه جناحاً في السنة القادمة ، وجناحاً بعد خمس
 سنوات ، وعلى المختبر أشعة أكس بعد شهرين ، و بعد عشر سنين ، وعلى
 الوف الكتب التي يفتنيها ، الوفا اخرى . فتسائل نفسك ترى ايتقد هذا الانسان
 انه سيمش الى الابد ؟ وتحاول ان ترمي عليه هذا السؤال ، فتصطدم بنظرين من

عينين تصيحان « قف » .

تحسبه مبشرا حتى يتكلم ، فتسمع من صوته نبرة امرٍ طبيعية كأنه 'خلق ليأمر' .
وشددت هذه النبرة سنوات قضائها استاذاً في جامعة ، وسنوات كان خلالها ضابطاً
في جيش .

لعل اعظم ما قام به عجيبتان - الاولى ان الجرائد العربية دعتة نابغة وعبقرياً
وكان بحق نابغة وعبقرياً اذ انه كان بدون ريب اعظم طبيب وامهر جراح عرفته
بلاد سكانها ١٨ مليوناً .

والمجيبة الثانية ان السنة مواظنيه لم تنله بهجو فقد تعالى عنهم الى حيث لا يطاله
لبيطهم . يعمل الخير بدون مباهاة كأنها فعل المروءة ، كتنظيف الاسنان ، شيء
ضروري مألوف . يعاشر سكان الذروة من المجتمع . ويجلس الى موائد العوام ،
ويفعل هذا غير متصنع .

ولسكانات سيرة حياته ناقصة لو جاءت فوزاً مستمراً لم يتخلله فشل . فالذي
لا يعرفه الكثيرون أنه انقطع عن ممارسة الطب سنوات خمساً ، وانزوى الى منجم
كانت نتيجته المالبية فاجعة . في برهة تلك السنوات ابتدأ الناس يتحدثون عنه
« رجل كان » . لم تعد الايدي ترتفع للسلام عليه بالعشرات حين يسير في الشارع .
ومن عرف عنه كيف كان يزدرى المال ، وكيف كان ينفقه باسرع مما يكسبه
- وكان يكسبه بالالوف - تصور كم كانت الية عليه تلك السنوات . انما هل
شكا ؟ هل تأوه ؟ هل اترلق الى عالم الذكريات ؟ هل كان في لبسه وسخاء يده ،
ونظراته ، شيء يدل على فشل ؟ جاءته تلك السنون ، في غسق العمر ، وفي غسق
العمر ، قام الدكتور باعظم اعماله واسترد مكانته العلمية والاجتماعية ، وقفز في سلم
الحياة الى ارفع درجاته وقد ساعدته على ذلك - ولا عار - الاقدار . اذ انه في
الساعة التي كان الدكتور بها يفكر كيف يسترجع مكانه ، كان مواطن يحمل المسدس
لينتحر . فلما ان وصل الدكتور نجيب وجد . . . قد اطلق الرصاص على رأسه ،
فاخترقت الرصاصه الصدغ الايمن وطارت من الصدغ الايسر ، وراح الدماغ يرشح

من الجانبين . الدكتور نجيب شفاء ، وشفى اسمه من صداً بدأ يعلق عليه في هيكل الشهرة ، وابتنى مستشفى ، كان محجة كبار الاغنياء الذين ينفون شراء اثمن ما في الدنيا ، والمعدمين من الفقراء الذين لا يدفعون الا الشكر اجرة . وكان الدكتور يبهظ الاجرة على العني ولا يكتتر منها - على خطأ الناس في تقدير ثروته - الا شكر الفقير . فلم يخلف من المال ارثاً الا مكتبته وادوات طبه ، وضمانة حياته . أرزانه تلك التي قطبت جبينه ام هي كآبة ؟ ما هذا الذي يجلل شيخنا كأنه حزن عميق ؟ اي فاجعة مرت به لم يأت خبرها (الناس ؟ هو لم يقصر على الطب اعماله بل ألف كتباً علمية ، ونظم صفوف مواطنيه المهاجرين في جيش تفرق قبل ان يحشد ، ورجع الى بلاده في محاولة سياسية لم يكللها النجاح . فهل استصغر ذلك العظم محيطه ، والحقل الذي اشتغل به ؟ لقد احتك بشخصيات عالمية ، فهل قايسها ، بصمت ، بشخصيته فوجد في نفسه تفوقاً ، فتأوه وقال لماذا اخذت زاوية انيرها ، وكان في وسعي ان املأ الساحة شعاعاً ؟ انا لا ادري الجواب ولا اعرف ان في الدنيا من يدريه ، ولكن استنتاجي يقودني الى الاعتقاد ان قد كان في الرجل طموح الى الظهور بمظهر عالمي كبحته الايام ، وان هذا الحزن الذي غاص الى اعماق نفسه ، هو نتيجة اقتناعه ان حياته - على شمول اعتقاد الناس باهميتها - كانت فاشلة باقتصارها على ميدان صغير جال فيه .

تحدثه عن لبنان وسوريا فيستسيغ الكلمات عنها ، كأنهم يطبخ بطبق حلوى ، فاذا ما وصلت من تاريخها الى بعد الحرب ، اجفل وصمت ، شأن من فقد عزيزاً ، لم يمتض على وفاته وقت كاف ، حتى يبيح لنفسه التحدث عنه . فهل كان بسبب حبه لوطنه ، وشدة مباهاته ، ذا احلام سياسية عظمى نكبت بها الايام ؟ اجتهاد في الاستنتاج ، ولكنه محتمل .

اما المظاهر التي تطفو على نفسه والتي يبصرها العميان ، فهي ما شاع عنه من لطف ، وانس ، ولمات غضب ، وديمقراطية ، وبذخ ، وحب للتفاصيل متناهٍ ، وضم في المطالعة ، وغرام بقهوة « سودا » كالشيطان ، ملتزمة كجهم .

بالطبع كان يكثر من محاولة تنظيف نظارتيه بتدليه .

- الاغا وابنه -

يتقدم العصر ، كما يتقدم البقرة ذنب البقرة . ليس من احد يدري كم اردت « الزائدة المعوية » من نفس خفية ، حتى اكتشفها الاطباء ، وعلّموا انها بقية مصران كان ذا نفع في الاجيال السالفة وانما اليوم مصدر كثير من الالام ، والالتهاب ، والفساد ، والاضطراب ، وان الوسيلة الوحيدة لمنع اذاها هو قطعها .

كذلك لن يتسنى لبني الشرق الادنى ان يعرفوا كم اتزل بهم ، البكوات ، والباشوات ، وانشاخ ، والمقدمون ، والاغوات ، والامراء ، من مكروه ، ولن يقدروا ان يعدوا قتلاهم ، حتى يقهوا ان هذه الطبقة من الناس هي « زوائد » كان لها نفع في الماضي ، وانما اليوم لا تقوم بعمل ما الا المضرّة ، وان الوسيلة الوحيدة لمنع اذاها ، هو قطع نفوذها .

على ان بني الشرق الادنى ساثرون نحو التفتك من اذى هؤلاء الطفيليين سيرا هادئا ، سيطول زمنه لان العنف لا يرافقه ، ولكن نتيجة واحدة محتومة .

« فالأغا » في هذه الحكاية طفيلي يغزو موائد الشعب ويتصدرها ، لانهم لا يتفقون على من يتصدرها ، وهو يعتقد ان تفوق مكانة عائلته على الناس امر مسلم به ، هكذا كانت الامور ، وهكذا يجب ان تكون . يتعلق بمكائنه ، التي تدبر عليه عيشه ، تعلقا غريزيا كاطفال الحيوانات بانتهاء امهاتها . ويتوسل الى ذلك بتفرقة القوم وتضخيم احقادهم ، ولا يؤلمه ضميره ، فهو يلعب لعبة هذه قوانينها المشروعة . اراد ان يعد للمستقبل وطوارئه فارسل ابنه الى المدارس ليتثقف ، حتى اذا تطلّ الى مراكز الدولة رجل من العامة ، كان ابن الاغا احق بالوظيفة . ولكن ابن الاغا استهوت به حياة المدينة وفسقها فطير البقية من اراضي ابيه ، ولم يتثقف ، بغير اداب المواخير وكان خلال ذلك « العوام » من « وادي الارز » اصابوا المال في المهجر ، والثقافة في الوطن فاين هو الاغا الان ؟

هو حيث يجب ان يكون ورفاقه «الباشوات» «والمشايع» «والبكوات»
«والامراء» «والمقدمون» «والطفيلون جميعاً» - في «لا مكان» .
وماذا تنتظر ان يقاب ابداً بين يديه الا مسيحته الصفراء ؟ .

- راجي البيروتي -

الفتى النحيل ، المنرفز ، القلق ، الضجر - راجي البيروتي ، هو ابن «ابي راجي»
ولا اقول «ابو راجي البيروتي» ، اذ ان بيروت منذ فتحها العرب الى ان اقلها
الارمن ، لم ينشأ بها الا «ابو راجي» واحد - هو رئيس البحارة ، ورئيس المينا ،
وهادي البواخر الى امين مراسيها . ويظهر ان «ابو راجي» هذا نبت من نفسه ،
فليس في بيروت عائلة تدعى «البيروتي» ، سوى عائلته ، وعائلته هذه هي هو وابنه .
وما عاب ابا راجي انه قصير القامة ، نحيلها ، فابو راجي «قبضاي» صبوح الوجه ،
سموح الكف ، قاضي البحارة اذا اختلفوا ، دائنهم اذا افلسوا ، قائم اذا مشوا
في امر ، محامهم اذا نشأ بينهم وبين القانون سوء تفاهم . وهو بلا ريب امهر ببحار
عرفته بيروت . اما كيف شيد ابو راجي قصره ذا الاربعة طوابق ، وكيف ملك
عدة مراكب شراعية ، وكيف عاش باذخاً كالامراء ، فليس من الصعب تفهمه ،
فبنو لبنان وسوريا يعشقون الاسلحة ، وفي مصر حشاشون ، ورجال الامن بعضهم متساهل ،
وبعضهم يغمض عينيه اذا امتلأت يده ، وفي المآزق «هم رجال ونحن رجال»
ولم ينيك يا ابو راجي .

وراجي طبعاً لم يخلق من ابي راجي وحده فاين هي ام راجي ؟ سؤال اذا القيته على
حلقة بحارة يدخلون النراجيل في مقهى «الانيلوتي» صحتوا ، فاذا الحجت قالوا الموت
غير نفاد ولكنه في بعض الاحيان عادل ، والمدعي العام لم يثبت ان جثة المرأة كانت
جثة ام راجي ، ولا ان جثة الفتى كانت جثة «خرطليل الافقي» . ولعن الله كل
من عابت ، ويصقون ، ولعن الله النساء اجمعين ، ويصقون ثانية ، وابو راجي رجل
شريف ، ونحاطرك يا افندي .

كان راجي في الثالثة من عمره حين فقد أمه ، وأعاضه أبوه عنها بممرضة . ولكن شديد عناية الممرضة وكثرة الدمى التي اعطته اباهما المرأة اليونانية « طَاهَرَة » تلك التي تسكن الطابق الاعلى مع أبيه ، لم تعوض عن حنان الام ، خصوصاً وقد نبا عن راجي « ابو راجي » ومن يدري ان لم يكن في اعماق نفس الاب شك عظيم ، مع ان راجي صورة أبيه المصغرة . ولكن يكفي ان يكون الطفل من دم تلك التي عابت ، « ابصق معي » حتى يكرهه أبوه ، وهناك « طَاهَرَة » الفتاة اليونانية ، تشغله لياليه وفي المرفأ بواخر ، وفي عرض البحر عاصفة ، وفي مخدعه عواصف ، غير ان اباراجي جواد ولعله اراد رشوة الخفير في نفسه حين اغدق على راجي المال فشب انيقاً يلبس على الكاتلوك كثير السيارات ، والعشاء ، مسرفاً ، خليعاً ، يقال ان ليس في مواخر بيروت مومس تجمل الوان بيجاماته ، وهو ربيب المدارس بالطبع . كان في المدرسة كغريب يساهم في مأتم شخص لا يعرفه غير ان راجي ذكي الفؤاد فكان ياشي دروسه فما ونجه استاذ ولا اعجب به استاذ . اما اندفاعه في ملذاته ، فكان تهرباً من بيت فقد الروح العائلية ، ولاشباع عطش في نفسه ، ولكل شيء نهاية ، فقد تبرم بعيش البذخ والترف ، والحناء ، وملّ عشاءه ، وحياته ، ومومساته ، وسياراته ، وحجر عواطفه ، وطوح به الى الاسترخاف بفواجع الحياة ومهازلها ، فاجمة أبيه « فطاره » هربت مع ظابط في الجيش فتى ، وماذا تريد « طاره » (ابصق معي) بعد من ابي راجي ، وقد كثرت ثروة من نقوده وجواهره ، وشاء تهكم الدهر ان يجربا على باخرة يقودها « ابو راجي » من المرفأ الى عرض البحر ، ولابي راجي عيون على البواخر ، فما افاد الخبيدين تستبرهما في غرفة منعزلة . اما كيف انفجر صندوق الديناميت وكيف غرقت الباخرة بطاره وبجيبها وبابي راجي ، فلغز ما حلّه البوليس البحري ، وفي بيروت اليوم بحري شيخ يدخن الاراكيل ، ويعرف الكثير ، ويقول لك من هتك العرض وفاته السكين ، يناله الطوربيل .

وكان بيت ابي راجي من تلك الصروح التي تنهار مع بُنائها . وكلما قيل لراجي ان سعر المشمش ارتفع ، او ان الامطار هطلت في الزنجبار حين قيل له ان اباه

هلك ، فالدنيا ما عادت تحي . لراجي دهشة او انزعاجا ، كذلك لم يبعثه حجز
« اسحق ابراهيم السلطي » على املاكه تسديداً لسند ضخيم ادعى ان اياه وقعته ،
فحينما دخل مأمور الحجز من الباب ، قفز راجي من النافذة ، ففي بيروت غرف
كثيرة يستطاب النوم فيها .

وطبعاً لم يسكت رجال ابي راجي عن تسلطن اسحق ابراهيم السلطي فكثرت
الاحاجي حول ذلك المالي . من ارسل له تلك الخمسة في البريد ؟ من سمم لكاييه
الشهيرين ، لماذا كثر دوي الديناميت - وبيته على البحر - قرب بيته ، لماذا يكويه
البجارة بنظراتهم ويصقون ؟

الى ان نادى اسحق راجي وقال له لك مبي ١٠٠ ليرة شهرية تستلمها ما حيت
فازع الخبر بين الناس فانا لا ييك وفي .

هكذا كان راجي حين عانت نفسه نفس وسيم الحموي . فوسيم ، كما سترى ، هو
نقيض راجي في كل شي . وللنفس انعطاف على النفس اذ تحس ان فيها ثاقلاً ، ولكنها
تندمج وتتلشى في النفس النقيضة ، اذ تستشعر انها وقعت على ما ينقصها من
خصال ، فتنجذب النفس الى النفس ولا تنفصلان كأنهما اوكسجين الماء وهيدروجينه ،
فلا عجب اذا رأيت راجي ووسيم بلغا في الالفه ذروة الاخوة اذ يصبح
حديث الصديق للصديق شتيحة ، وسخرية ، وتهكماً ، ودعابة وقد يكون راجي
اشد اندفاعاً في صداقته من وسيم اذ انه حُرّم حب الام ، وما وقع في حب امرأة ،
وظافت عليه العطايا فما هو بطموح ، اي ان كل منازع نفسه مكبوحة ، فلما جاءت
اخوة وسيم ، طفت عواطف نفسه في مسالكها وانصبت في اخوته لوسيم . وراجي
هذا ليس من المرح كما يريد ان يظهر فهو يتستر بالمزاح كي لا يُظهر اثر جرح
عقيق . وهو في جوهر نفسه دهري (١) لا يثق بالناس ، ذو سلبية صادقة في بني
الانسان . غير انه وجد في « وسيم » صديقه وزعيمه فرضي ان يقاد من غير ان

(١) تعريب Man-of-the world اي المتحرس بالحياة ، العريف بأسرارها .

يقابلها في لغه التجار « ابن سوق » .

يشارك بسوق سيارة الحياة ، بأكثر مما يشترك الجالس الى جانب الشوفير -
« اخطأت . عجل . نهل . كنت قتلنا . » لم يرث من ابيه بأساً ، ولا طيشاً ، عيناه
ابرتان من نار .

اذا تزوج راجي فتاة تحسن سرجه ، وتجيد ترويضه ، ركض وخلف جمهور
الناس بعده باميال ، ولكن راجي اعقل من ان ينهز نفسه ، وصعب عليك ان تجرّه
فسيجوت رجلاً « كان في وسعه ان يكون . . . »

- وسيم الحموي -

اصحیح ان بني لبنان بانفسهم مغرورون ؟ العجب لو انهم كانوا غير مغرورين .
يخلق طفلهم على صوت الاهازيج ، والبارود . يتزوج على الحان الدبكة ، يدفن على
موسيقى النذب . يعرض فيعوده المئات فهو ابداء مدار اهتمام الناس . خراج الضيعة
اللبنانية هو الحد الذي يفصلها عن الدنيا . الدنيا ليست مهمة . الضيعة هي كل شيء .
وفي الضيعة مدفن الجدود ، وفي الضيعة ملك اللبناني ، بل كما يحق يدعونه « رزقه » .
قد لا نكون ارزاق الواحد منهم واسعة ، او غنية ، ولكن فيها ابداء شيء غير
عادي يفوق اعظم شيء في الدنيا . قد يكون فيها اشهى عنقود او اطول حبة ، او
اكبر صخر ، او مطار اكبر سرب حجال ، واذا ندر فحرم شيئاً من هذا فلا
يعدم ان يكون بين اجداده رجل عظيم . حدث اي لبناني عن عائلته يبادرك
« جدي كان ذراع الامير بشير . جدي قتل الضبع . جدي يحفن الجمر يبدن
عاريتين . جدي قاض ، قائد النخ . . . » فهذا التراث الحقيقي او الموهوم او المزيج
من الاثنين يخلق في اللبناني مركب (١) نفوق يتهرأ الى الغرور والخيلاء في البعض ،
ويُصهر الى اتران في الاخرين ، ولا تنس ان اللبناني دائماً اعداء ابن المدينة في وسعه

(١) - تعريب Superiority complex

ان يمش كأنه ثقب في حائط . أما ابن الضيعة فهو من الاهمية بميث يكون له اعداء ابدأ . والعداء يثير ، فيما يثير ، التهالك على التفوق . عار عليه ان يفشل لان الفشل عار بنفسه بل لان اولاد العائلة (فلاينية او الحى الفلاني) يشمتون .

فوسيم الحموي اذن حين طلب العلم في مدينة بيروت كان على شيء من الخيلاء بررته انتصاراته المدرسية ، وخففت من غلوّه انه كان في نظر رفاقه ابناء المدينة « حليّ » فقط لا غير . فابن الضيعة ، في المدينة ، عليه ان يفوز بالكثير قبل ان يتخطى ذلك الحاجز الذي يقفّسه في عبون ابناء المدن ، الى ذلك المستنقع الوخم الذي يسمى « الضيعة » . ووسيم كان طفلاً حين قتل ابوه فجعلت له امه من ابيه مثلاً اعلى يباريه . ابو وسيم كان اشجع ، واذكى ، واشرف ، خلق الله . اذن فعلى وسيم ان يكون كايه . حينما سمعت ام وسيم ان ابن الحموي اجريت له عملية « البحصّة » في بيروت - « بحصة ، هاه ! » صاحت ام وسيم وانترعت من صندوقها حجراً كاللحمونة وقالت « هذا الحجر اخرجك الدكتور من مبوله ابي وسيم . وهو اكبر من اكبر رأس في بيت الحمصي » .

لهذا نشأ وسيم ، وامامه ابوه المقتول ، مثل اعلى يتحداه . شديد الثقة بنفسه فوّار الطموح . تأدب فانصرف الى النوع الخطر من الادب ، ذلك الادب الذي يغوي صاحبه الى ان « يمش » اذبه بدلا من ان يقتصر على ان يكتبه فقط . هادى . فاذا ثار انقلب الى زوبعة ، كثير التخيل والاحلام ، لو جاءت مشاريعه الادبانية والتجارية سلسلة لوصلت جهنم بالجنة ودارت حول الارض ٦٧١ مرة . وفي يجب راجي حب الصديق ممزوجاً بعاطفة ابوة ، فراجي بنظر وسيم طفل قوي الجسم ، رزين الا في ساعات الدعاب ، نوره ليس بمصباح دائم الشعاع بل هو اسهم نارية تنفجر بدوي عظيم وتلمع في السماء لمعات جميلة متقطعة ، وبين اللوعة واللمعة ظلام كثيف . فهو جواد فتي ، جموح ، صبور ينقصه الكثير من الترويض ليصلح للترول الى ميدان الحياة وانعاشه الشوط في طليمة الجياد . ورث عن امه التحذرت لنفسه بصوت عال .

إذا بلغ الهرم فقد يترن الى نابغة • غير انه من اولئك الفتيان المتوهمين الذين
لا أقول يموتون باكراً بل يُصرعون باكراً •

-فرج الله-

ذلك الخاتم الالامي الذي تلاعبه اصابعه ، والذي يضرب فمّه الكبير الطاوله حينما
يحتد فرج الله هو الدليل المنظور على غنى هذا الرجل ، وتبدّل نفسه • سمين كثير
الشحم ، ناعم الحديث والعضلات • في كلامه ترق الجبن • له شاربان مخضمان اذ
هما همزة الوصل بين الشوارب العنترية العتيقة ، والخترية الحديثة • لا اذكر جيداً
اذا كان له لحية اسطنبولية تنسبط على وجهه كأنها حصيرة ، او ان على ذقنه عشرات
من الشعرات ، غير اني طالما تخليت ان اغزل منها ومن شاربيه خيطاً اشده على عنقه •
عيناه مرحتان زائفتان • ليس في الدنيا شيء لا يعرفه ، وهو في صيده الدولار ،
خاض مستنقماً من دم ، وحرائق ، ودمر بيوتاً كانت عامرة بالثروة والسكان •
على انه على ساديته (١) او تمذّله لا يوقع المضرة بأحد الا اذا كان له منها فائدة ،
وهذه الفقه الميكانيكية المسمولة (٢) هي صدى الفرج في نفسه فقد غالب الحياة
وحيدا ، واتصر على الحياة فهو يستخف بالناس والدنيا وبكل شيء ولكن يستخف
بنفسه لو جهل قوتها ولكن فرج الله لا يجهل شيئاً •

تلمن فما بين (٣) •

قد يبيض شعره وتسقط اسنانه فتلقاه ولا تحلم بان تناديه « عمي فرج الله او
خواجه فرج الله » ومن قال لك انه يطلب الاحترام من الناس ؟

(١) - تعريب Sadist اما التعذب فهي عصير « استلذ - التعذيب »

(٢) - هل رأيت الا وسيكارة بين اصبعيه ؟

(٣) - اي صار صاحب مليون •

- طعان -

طعان الحمصي يجب باثنين-عنترة العبدسي، والضيع . وكان اعجابه بهذين المخلوقين اثبت في طعان الكثير من خصائصها فله مشية عنترة وبأسه وله قوة الضبع «واناقته» . كان طعان يوم مقتله دون العشرين ، وهي السن التي بها يثبت الجبلي بأسه ، وينشر اطروحة الرجولة على الناس، بان يبطش برجل ما . فطعان تراه اما قاصداً الى معركة او راجعاً من معركة . ولكن قلّ من قوي ان يقف في وجهه . كان طعان (قبضاي) « وادي الارز » غير منازع . لم يدخل المدرسة ويحتر كل من دخلها فهي في نظره مؤنثة الرجال . بليغ الخطاب ويعرف من نفسه البلاغة ويجب بها . كان طعان يفلح ارضه ويزرعها حتى صارت امه ترسل له البوليصة الشهرية من المهجر اذ ذاك انقطع عن العمل . لا تصدق ادعاء اللبنانيين بشغفهم بالعمل . الشريون كلهم ما عدا اليابانيين لهم امنية واحدة في الحياة - البطالة والراحة . ومع البطالة ينبت القال والقال ، وترداد اقداح المسكر . وقد تضافرت هذه العناصر الثلاثة فسافت طعان الى حتفه . ابق هذا الخبر بسرك فطعان كان سمجاً رحمه الله .

- رشيد -

طفل في الخامسة والثلاثين من عمره . ربته « الماما » وقد تنخيله في الثمانين يلاعب صبيان الحي بالكلل ويستنجد « بالماما » اذا خطفوا له كلبته الزرقاء . عقل عصفور في جسم عجل . مغموص الصوت . اهم اعماله اليومية ثلاث « وقعات » هائلة يأكلها في اليوم الواحد . بالطبع يضيف الى افأفته محاولة تقليم اظافره باسنانه . يقال ان شعره يقص مرة بالشهر ولكنها اشاعة تنفيها المظاهر .

- هدى الحمصي -

ام طعان وساره ، هاجرت « وادي الارز » مع زوجها بعد واقعة « السنديانة »

الشهيرة التي قتل بها ابو وسيم ، اذ فضبت الاموال في الضيعة لكثرة مصاريف
المحاكمات وصارت العيشة جهنماً وهدى خائفة ابداً من ام وسيم تخفق هدى بفدائرها
فلما وصلت « غرانبلا » ووجدت ان النساء هناك مقصوصات الشعر ، رمت بفدائرها
فرحة كأنها هي رمت ببéal مشنقتها قوية الجسم تخيلته ، ليس فيها من الذكاء شيء .
مقلبة الاراء . مدهوسة الثياب معدومة الانوثة . الظاهر انها لم تحسن رباط بعض
البستها الخميعة فهي دائماً تنهض تنورتها .

بعضها لبيت الحموي عظيم ولكن الحجرة لطفته فهو حجرة صغيرة تكاد تنطفئ
تحت كومة رماد . ضيفة قوى النفس في كل جهاتها ، اذاً فلا تعجب من ميعان
مقاصدها وتناقض افعالها .

- المهاجرون -

- ٦ - ١ -

البشر ارقام واصفار . وماذا تنتظر من مستعمرة لبنانية في المهجر فيها ارقام
ضخمة كالدكتو نجيب ، وفرج الله ، وسارة ، وراجي ، وسيم ، وشمدص ان
يبقى فيها اذا استعرضتها الا الاصفار يشبه الواحد الاخر كما تشبه حبة الفول حبة
الفول . ترام في ليلة العيد يعمدون اللهو واين المرح الطاق السافي من نفوس
تشكالب على الرزق سبعة ايام في الاسبوع وست عشرة ساعة في النهار . ولا تنس احم
مضاربون ، بعضهم لبعض اعداء كاره . يتوهمون ان كل ريال يربحه الاخر محتطف من يد
مواطنه ، يعرفون انهم اغراب عن موطنهم اذا عادوا اليه ، اغراب عن مهجرهم وهم
مقيمون فيه ، وليس لهم من وطن صحيح الا هذه الوحدة في الاذواق التي تلتقي
في امور سطحية من مأكل ومشرب ، ومغنى - ولا ترد على هذا فقد ينمزق
الكيس وتندري حبوب الفول وتنباعد الى حيث يستجبل جمعها ثانية .

- شمدص جهجاه -

يفطس في الماء فلا يتل . شمدص ليس له في الدنيا عدو . ومن ليس له عدو

قفي الغالب ليس له صديق • شمدص صديق الناس اجمعين • ولكن لنفس شمدص حدوداً لا يتخطاها بشر • صاحب مروءة اذا كانت المروءة لا تكلف عملة • لا يقرض ولا يستدين • يصل الى الامور بدون ان يتخيلها • عدته تجارب اكتسبها في لبنان يوم كان يكرى على بعل شموس اسمه « زهران » في بلدة ساحلية يحمله الجرار والاباريق الفارغة من معمل الفخار في « خلده » الى « صيدا » • وكان يقول : « من عرف ان ينقل الفخار سالماً على بعل شموس مثل « زهران » فقد عرف ان يفعل اي شيء في الحياة » .

شمدص يعرف اكثر مما يظهر • لا يدري احد كم من المال معه ولكن ذكاه وحرصه كفتيلان بان يكون معه اكثر مما يرى • ساذج لا يحب التصنع فحديثه وثيابه وكل شيء فيه طبيعي • يعجب بالناجح لهذا يحس في نفسه شيئاً من العطف على فرج الله ، خلق ليكون رجلاً في جمع ويكره ان يكون كتفه اعلى من اكتاف الجمهور • مظهره الشخصي ؟ قصير • عريض الشفة العليا ، ضخم السفلى • قوي الجسم غير انه لشدة ما نزل به من متاعب يخرس عن سردها ، شاخ وهو في الخامسة والاربعين • مجعد الجبين ، مقوس السلسلة الفقرية عند الكتفين • هو اللبناني الوحيد في مهاجر الدنيا الذي لا يدعي امام الافرنج انه من « بيروت » وان عائلته ذات املاك واسعة في الوطن القديم ، وان رئيس الجمهورية ابن عمه ، واخواله وزراء ، واخاه « مارشال سوريا » وان المجلس النيابي اللبناني يعقد جلساته في مقعد ابيه وان اجداده باريسيون توطنوا سوريا زمن الحروب الصليبية .

مثل شمدص ما هي فلسفته في الحياة فأجاب « كنت اغني عتاباً اذا شمس البعل « زهران » ، واغني عتاباً اذا عثر « زهران » ، واغني عتاباً اذا اوصلت حمل الفخار الى المدينة سالماً • وفلسفة الحياة هي ان تغني « عتاباً » دائماً • شمدص من المهاجرين الذين يرجعون الى بلادهم بعد عشرين سنة هجرة وليس في حديثهم ولا طريقة تفكيرهم اهم ابتعدوا عن موطنهم اكثر من عشر دقائق •

الشهادة هم هيكل عظام الامم وفلاسفتها الصامتون .

- ساره -

قالت لي ساره وقد قرأت دورها في «نخب المدونة» اهذا كل ما تعرف عن
 قلوب المذارى يا محترم ؟ التحجيني عن الجمهور طيبة فصلك الاول ثم تبدأ الغرام
 بالزواج ، وتنطق شفهي بغزل اترلف به الى فتاي ، وتحرمني حتى قبلة من زوجي
 او حبيبي ، وتقيم من نفسك داية فتولدي بين نزول ستار وارتفاع ستار ؟ ألم تجد
 ضمة ورد تحماتها حبيبي فيطرحها على قدمي ، وتطوي ركبتيه فيركع امامي ويتهدد
 بالانتحار ؟ لماذا لم تتلق لي « نذلاً » يريد اغوائي ، و « بطلاً » يقحم النار من اجلي ؟
 ومالي احس بالعبارات المفصولة غلاً في ، والرسائل العليا اشعرها ولا انكلم بها ؟
 اتدعي معرفة لغة العرب وتعجز عن بيت غزل ، او عبارة ناعمة ترسل بها الي ؟ اين
 كانت جنيتك يوم مثلت امامك ؟ اممكن ان نكون والذين تغزلوا « بليلى » من
 امة واحدة ؟ قلت ان بينك وبين الذين تغزلوا بليلى اودية وجبالا ودهورا من ليالٍ
 مظلمة ولئن اتفق فالتقيت بفافلتهم فستجفل جمالهم من دخان بترين سيارتك
 التي تمطين ، وستسدين انفك عن رائحة الابلهم . سلي ليبي تخبرك كيف عرکوا شفيتها ،
 وجففوا بتبذلهم ريقها ، وشوهوا خلقها . لقد شاخعت ليلى في صباحها من رائحة البارود
 وآلام منظر الدماء وحثش العاشقين . انها تكاد تجن من تقريع الضحير اذ يذكرونها
 بتلك السهام التي مزقت بها القلوب . لقد نعت من النظرة ، فالابسة ، فالسلام ،
 فالكلام ، فالقتال ، فالزواج ، او الانتحار . اما انت فقد ظهرت الى الناس
 وعشيقك مسروج ، اليس الزواج قبله الفتيات ؟ تخور قواه ، فتجملين منه مقاتلا ،
 ويمرض فتوآسيه ، وتبفضك وتبفضه امك فتراضها ، وتلبسك اثواباً عصرية وخصالا
 طبيعية ، وتظهرك على المسرح بحيث لا تتجمل فتاة من فتياتنا تثيل دورك على المسرح
 فاذا بعد هذا الذي تبين ؟ اما طفلك فرويدك حتى يشتد ساعده ، فسأرقص له النساء
 في الشوارع ، واقيم له التانيل في الساحات وافرش باللائى طريقه وسيقول الشعراء

فيه من الشعر أكثر مما نظموا « بليلي » . انك لم تعلمي اي رجل انجبت حينما ولدت بين ارتفاع ستار ، وتزول ستار ، طفلك « فوزي » (١) قالت هوذا اهانة جديدة فاغراوك اياي بمستقبل ولدي دليل على انك لم تنصفي وها انت تكفر عن نقصيرك باغداق النعم عليّ ربّي . وسكنتُ وسكنتُ وتلاقت العيون فضحكنا فاهمين .

بلى متيقين يا ساره لغزاً فليس خالك شاعراً يسكنك الجنة التي يريد ، ولا مصوراً يعلق اطارك على الحائط الذي يروق له . خلقت لتختالي على مسرح فانت بحكم حرفتك مقصورة الازياء على ما يروق نظارتك . واخاف عليك ان انا كشفت نقابك الكئيف ان يرحمك اناس ويعبدك اناس ، ألا فلتكن كلماتك مخنوقة فان الذين يفهمون يسمعونها وان كنت عنها صامته ، والذين اصم الله اسماعهم فلن يعوا رسالتك بل يستشيظوا ، لتكون نفسك مغلقة بالظلام يتخيلها كل انسان كما يريد ويشتهي . وما احسست « بشرقيتي » مثل هذه الساعة فما ان داري تحفل بام ، وشكلى ، وطبيب ، وجمع من تجار ، ومغامرين ، وقرويين ، ومهاجرين ، وقلبي لا يضطرب الا عليك . ان الفتيات نقمة الالباء فاخرسي ولا تستغزيني . وخرست ، وتطلعت الى دخان سيكارتها ففهمت الكلمات ان تنفجر من بين شفتي لولا ان خارت في تلك اللحظة قواي اذ تحققت ان « ساره » التي اردتها لغزاً على الناس اردت لغزاً عليّ . وما عزائي في هذه البلية الا اني وجدت في « ساره » الشرط الاول في انوثة النساء الا وهو « اللغز » إذن فهي امرأة ولو جاءت غير ما صور الفنانون .

- ظطام -

يلتغ بالسين ، والصاد ، والزاء ، في الثالثة عشرة من عمره - العمر الذي يحلم به الصبي الاوروي بلبس البنطلون الطويل ، واستعمال موسى الخلاقة . اما ظطام فيحلم

(١) - فوزي - هي مسرحية تحت التأليف ستكون الرابعة في سلسلة درامات المؤلف ، والفصل (ثاني لـ) (نخب العدو) .

ببارودة موزر ، وبفرصة يمتدل بها احداً من بيت الحمصي . شديد القوة والبأس
ساذج ، همسه صياح . وسيرة حياته عراك وضرب احجار ، وصفعات تلهب رقبتيه
من عمه ابي مرعي . وياظطام اسق الحار ، واطعم الحمار ، واحمل التبن من اليسدر
للقبو . فالخمار وعمه مرعي نوأما مصائب يلبسهما كما يلبس اذنيه .

الفصل الأول



المشهد الأول

« عليّة » في بيت من بيوت « وادي الارز » ، لبنان ، وهذه « العلية » اللبنانية ليس لها نظير في اي مسكن من مساكن الدنيا . فهي اذا مدّت فيها المائدة اصبحت غرفة طعام ، او اصطفت فيها الكراسي صارت غرفة استقبال ، واذا ثاءبت فيها الفرش امست غرفة نوم . في حيطانها عتابر صغيرة كل واحدة تدعى الكواره اختبأت فيها مؤونة الشتاء من غلال وما اشبه وانت لا تعرف ان في الحائط كواره لولا الثقب المدور الكبير ، تسد فوهته كرامة من خرّق . يتوسط هذه العلية عمود يتهدل منه مفزل صوف ، وتتوجه روزنامة كبيرة واضحة تستلقت الانظار تعرف منها اتنا في ٢٧ ايلول من سنة ١٩٣٠ . كذلك على العمود « مدك » ومراة وساعة دقاقة يسميها الافرنج « ساعة جدي » . في الحائط الذي على يمين النظارة مكتبة صغيرة اما الحائط المقابل للنظارة فعليه صور العهد القديم من رجال

نقصت شواربهم ، وصور ملكات . وبين هذه الصور واحدة لجنرال ممطر حصاناً ازرق . كذلك يوجد « مشكلة » مثلثة الزوايا عليها اسلحة قديمة من جفت ، ويطقان ، وسيوف ، وحراب . يتوسط هذا الحائط نافذة عليها آنية زهور فيها نبات الفل ، والورد ، والزنبق ، والحبق . حصيرة وبساط وسجادة تغطي الارض . قرب العمود « دهليز » بابه جزء من ارض العلية يفتح ويغلق . كل شيء نظيف بل انيق . وعلى فقر متاع « العلية » يشعر الناظر ان وراء مظاهر هذا الفقر كبرياء صلبة وقوة معنوية هائلة . تسألني وكيف لاثاث بيت ان يظهر « قوة معنوية هائلة » او رضة سكان ، اجيبك وكيف لعين في صورة يبرق منها شعاع الحياة ، وثانية يخبو فيها الضياء . وقولاً من ان نستمر الى فلسفات ، نجيل النظر ثانية في العلية فنجد انه ليس من جو تلك الغرفة حقيقتان استندتا الى العمود يعرف الناظر اليها من جدتهما وجودة صنعهما ان صاحبهما ابن مدينة . في زاوية العلية جرتان ودويك وابريق . يرتفع الستار ، وقد آن له ان يرتفع ، فاذا بأمر وسيم تحي . ثياب شاب فتد الكلسات وتكوي القمصان ، وهي تتسم ، موهمة ، ترفة ، ثم تمشي الى الروزنامة وتقف امامها تعد الايام ، وتقلب الورقات

أم وسيم — ٢٧ ايلول سنة ١٩٣٠ ، ٢٧ ايلول سنة ١٩٣٠

(ويشر نظرها على صورها في المرآة فتقول) ما بقي من العمر اكثر مما مضى (وترجع تحوم في زوايا العلية مقومة حاحة هنا ، مرتبة متاعاً ، هناك الى ان تنتهي الى الجرتين فترفع الاولى ثم الثانية . وتقلبهما فاذا هما فارغتان فيشتد حنقها وتنادي)

أم وسيم — زليخه . زليخه ، زحكتك الله ايتها اللعينة النهمه . اقتنامين النهار كله الا ساعات الاكل . (لا يجيب)

زليخه ، افريقي يا عاهرة ، (تدق بعصا على الارض)
انهضي من نومك يا خائنة ، ادجاجة انت فتنامين
قبل المغيب (صوت خافت من يسار النظارة ، وكلمات
مخنوقة يعرف منها ان مصدر الصوت شخص كسول ارغم
على الاغاقة من نوم هنيء)

(تدخل زليخه متكلمة ، متثابة ، فلا يفهم من كلماتها المخنوقة
شيء ، ثم تمخط في مريولها وتتطوع الى المرأة تصلح من شأنها
وام وسيم خلال ذلك منفعلة ، مرفزة ، تصب شتاها على
تلك القطعة الهائلة الباردة من حيوان)

ام وسيم — اي نجم جهنمي كان يشعّ عندما وسخت وجهه
الارض بهذه السحنة الشيطاء ، يا لثيمة ، انزل الله
عليك التيفوس ، والجذري ، والعمى ، والطرش ،
والشلل ، والسرطان والاستسقاء . (تشدها بفداثرها)
افريقي يا خاملة . افريقي .

زليخه — (تفتح عينها) امرك يا ام وسيم .

ام وسيم — وسم الله الدم على قلبك يا بقرة . غابت الشمس
وليس في الجرة نقطة ماء . افترتوي من رؤية وجهك
يا فاجرة ؟ وفي البيت ضيف من بيروت .

زليخه — الله يقطع الضيوف ، ويدمر بيروت .

ام وسيم — ماذا يشرب الضيف اذا طلب ماء ؟ آسف ان اضعفني

العمر فلا اقوى ان اطحن عظمك بيدي . (تمسك
بها ثانية وتحزها) (زليخه تبكي وتئنم . آخ . آخ)
متى جاء ابني مع ضيفه ، متى رجع وسيم ، سأقول
له ان يدق عنقك يا خاملة . كيف تقضين النهار ؟
انوم ، وغناء ، واكل ؟ لماذا لم يخلقك الله ، ولا
اعتراض على حكمه ، حيواناً تدبين على الاربع
بدلاً من مشيك على اثنتين ، اذاً لحرثنا عليك بدلاً
من الثور . انهزمي الى العين . (تناولها الحبة) وارجعي
بها مملوءة . غابت الشمس — ياليتك تغيين معها
ولا ترجعين .

زليخه — آخ يا ام وسيم . بالله عليك يا معلمي . دخلك . ارسليني
الى جهنم ولا ترسليني الى العين .

ام وسيم — (تحزها ثانية) انا ارسلك الى العين والله يرسلك الى
جهنم متى دنت ساعتك . هيا الى العين .

زليخه — دخلك يا معلمي . لا اريد الذهاب الى العين . اني كلما
التقيت على العين بنساء عائلة الحمصي يهزأت بي
ويسألني صبيانهم « يا زليخه ، يا خادمة ام وسيم ، ان
معلمك وسيم ارشد وشب ، متى يأخذ بشاربيه ؟ »
فيضحك كل من سمع . والبارحة قالت لي ورد
الحمصي ساخرة : اتنا نوصد الابواب في النهار

خوفاً من بطش وسيم الحموي . كل من رآني هزأ
بي . كلهم يسألوني متى يأخذ وسيم الحموي بثار
أبيه . لا ترسليني الى العين يا ام وسيم .

ام وسيم — (حديث زليخه يثير في نفسها الهواجس ، فيثور دهاؤها
وينعم صوحها ، ويرتجف فزعاً فتضع يدها على كتف زليخه
برفق وتقول) زليخه بنيتي ! كنت يتيمة منذ صغرك .

زليخه — بل منذ طفولتي . انت التي ربيتني وحميتني اطال الله
عمرك يا ام وسيم .

ام وسيم — انا اخنو عليك حنوي على ابنة لي (زليخه تذب
سداخه) . فافعلي ما اقول لك . لا تشاكسي بيت
الحمصي ولا تقاتليهم . لا تكثرثي بهم ولا تحبيي على
هزؤهم ، لا تحركي عش الدبابير . (مهددة) ولا
تذكرني كلمة لوسيم عما يقولون ، ولا تخبرني
احداً من اقاربنا به . أفهمت ؟ انه اذا وقعت الواقعة
بسببك بيننا وبين عائلة الحمصي (ترجع الى لهجتها
الاولى) سلخت جلدك حية أفهمت ؟ اذهبي الى العين .

زليخه — (خائفة تخطف الجرة وتتطلع الى المرأة بنظرة غنيج ودلال
فتتسم وتنصرف .) (ام وسيم ترجع الى ثياب ابنتها
ترتّبها فتسمع صوت زليخه من بعيد مغنية « يا راجين عاحاب »

ام وسيم — الله يلعن حليب امك .

(من باب ثانٍ على يسار النظارة يدخل ابو مرعي متأبطاً
ما يشبه الخزمة الطويلة وهو يتسرق الخطي)

ابو مرعي — اختي . ام وسيم .

ام وسيم — (نواجهه مبغونة بعد ان كان ظمها اليه) اخي ابو مرعي .
ماذا جرى ؟ متى رجعت من بيروت . كيف كانت
سفرتك ؟

ابو مرعي — (باهجة الفخور الراضي عن نفسه الحامل خيراً ساراً)
يا ام وسيم كم في هذه الضيعة — كم في وادي الارز
من رجل مثل اخيك ابو مرعي .

ام وسيم — ليس في وادي الارز من ابي مرعي الا ابو مرعي .

ابو مرعي — لو تعرفين ما يجيبي ؟ (يعلق الباب) ولكن لاقل
الباب اولاً مخافة ان يرانا واش . نزلت بيروت
وانظري ماذا جلبت (يبك كمرّاً تنز به فينتزع
منه ورقة) ورقة . امر صادر بتعيين ابو مرعي
سليمان الحموي ، ناظر موقت على وادي الارز .

ام وسيم — (فرحة) الحمد لله على هذه النعمة . انك تستحق هذا
الشرف العظيم يا ابو مرعي . هناك الله به هذه
الوظيفة . سيحرق هذا الحبر آذان الحساد .

ابو مرعي — واحزري يا ام وسيم كيف صدر الامر ؟

أم وسيم — كيف ؟

أبو مرعي — امر مطبوع على الطرنبتو .

أم وسيم — هاه ؟ !

أبو مرعي — طبعته حورية (مقلداً الضاربة على الماكينة) طق .
طق . طق . طقطقطقطقط وأبو مرعي صار ناطور
وادي الارز . ليتك رأيت العروس التي طبعته .
اظافرها حمراء ، وشفتاها حمراء ، وكعب حذاءها
احمر طول الحياره . طقطقطقطقطقط . والان
ساعديني يا اختي على فتح هذه ، وتطلعي الى العروس
(يتساعدان على فتح الرزمة الطويلة ساكتين فعندما ينتهيان
اذ بام وسيم تصيح « موزر خيالي » وتقلب بين يديها
بارودة حربية قصيرة) .

أم وسيم — (تقاب البارودة كخبير تعود فحص الاسلحة) كم دفعت
ثمنها يا ابو مرعي ؟

أبو مرعي — اربع انكليزيات . فاض معي من ثمن حمل الزيت
ليرة سوري .

أم وسيم — معها خرطوش ؟

أبو مرعي — ٢٠٠ ضرب .

ام وسيم — ساخيط لك جناداً لها .

ابو مرعي — (يقل البارودة) متى وقعت الواقعة هذه المرة فلن
نقاتل بني الحمصي عزلاً . ستغني موازيرنا اغاني
الموت في اذانهم فكلنا مسلحون . ابناء عمي عندهم
موازير (يمشي الى النافذة مصوباً بارودته الى حي عائلته
الحمصي) يا بني الحمصي ! يا اذئاب الحنازير ، يا
ضفادع المستنقعات ، وقذارة المواخير . ستنتفأون
امام اسلحتنا كانكم مصاييح في زوبعة . ان رصاصنا
سيجعل من صدوركم غرايل . بل من ظهوركم فما
فيكم الا كل جبان بليل السروال في المعركة .

ام وسيم — تعال نخبئها .

ابو مرعي — اخبئها في برميل الزيت .

ام وسيم — تعال نخبئها في الدهليز هنا . (يتماون الاثنان على رفع
البساط) ، ويفتحان باب الدهليز ، فيقتل ابو مرعي ،
وتناولوه ام وسيم البندقية ، ثم ترجع الى المخدع فتترع منه
بعض الخرق وتقول لابي مرعي (لفها بهذه الخرق حتى
لا تصدأ . (يصعد ابو مرعي ماداً يده كأنه عليها قدراً) .

ابو مرعي — (حائقاً) من وسخ الدهليز (يتناول ورقة من مكتبة
وسيم فيمسح بها يده) .

ام وسيم — تلك اللعينة زليخه تركت باب الدهليز مفتوحاً امس
فسرح اليه الدجاج ، آ . هذا اثر دجاج .

ابو مرعي — لعن الله زليخه والدجاج (يضع يده على شاربيه)
اخ تفُسه (يمسح يده ثانية) .

ام وسيم — لماذا الله بلاني بتلك البغله زليخه (تأتي له بالصابونة)
غسل وجهك بالصابون . (ترى قنينة كولونيا) بل
تعطر بهذا (تصب منها على يديه فيغسل شاربيه)

ابو مرعي — آ . رائحة طيبة . هذه رائحة المجموزال التي طبعت
الامر بتعييني ناطور . لمن هذه القنينة . لوسيم ؟

ام وسيم — لا ، لصديقه راجي البيروتي .

ابو مرعي — راجي البيروتي — صديق وسيم .

ام وسيم — راجي دائماً يتعطر بمي القنينة — كُولُونِيَا .

ابو مرعي — ما قتل الشبان الا الكولونيا . مجموزال و كُولُونِيَا
فهنا . لكن شباب و كولونيا ؟ ولماذا وسيم لا
يتخذ صديقاً من ابناء طائفتنا ، أليس في طائفتنا
من يليق بالصدقة ؟

ام وسيم — حذرت وسيم مراراً من ائتمان ابناء الجماعه . من

جَدُّهُ عَادَى جَدَّكَ ، يَسْتَحِيلُ أَنْ يُوَدَّكَ (يَسْمَعُ قَرَعَ
بَابَ وَصُوتَ وَقُورِ رَزِينِ يَنَادِي) « يَا أُمُوسِيمُ ، يَا أُمُوسِيمُ »

أُمُوسِيمُ — أَهْلًا وَسَهْلًا . مَنْ هَذَا ؟

الصَّوْتُ — أَنَا الدُّكْتُورُ نَجِيبُ

أُمُوسِيمُ — (بَصُوتٍ يَفُورُ مِنْهُ الْإِخْلَاصُ) يَا أَلْفُ أَهْلًا وَسَهْلًا
بِالْحَكِيمِ . (تَذْهَبُ لَتَفْتَحَ لَهُ الْبَابَ فَيَقْتَنِمُ أَبُو مَرْعِي الْفُرْصَةَ
وَيُفْرِغُ بَعْضَ قَنِينَةِ الْكُولُونِيَا فِي مَحْرَمَةِ هَائِلَةِ يَنْتَرِعُهَا مِنْ
جِيبِهِ) (أُمُوسِيمُ تَفْتَحُ الْبَابَ لِلدُّكْتُورِ نَجِيبِ قَائِلَةً)
أَنْ ظَلَّكَ يَنْبِرُ دَائِمًا يَا دَكْتُورُ نَجِيبُ .

أَبُو مَرْعِي — أَهْلًا وَسَهْلًا بِالدُّكْتُورِ نَجِيبِ .

الدُّكْتُورُ نَجِيبُ — مَسَاءً الْخَيْرُ يَا أُمُوسِيمُ . oh ! مَرْحَبًا أَبُو مَرْعِي .
أَيْنَ قَتَانَا وَسِيمُ ؟

أُمُوسِيمُ — أَنْ لَهُ صَدِيقًا مِنْ بَيْرُوتَ ، رَفِيقًا لَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ جَاءَ
بِهِ مِنْذُ شَهْرٍ وَهِيَ الْآنَ فِي الصَّيْدِ . اسْمَحْ لِي أَنْ
أَشْعَلَ الْقَنْدِيلَ فَقَدْ أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا (تَشْعَلُ الْقَنْدِيلَ)
وَلَكِنْ عَوْدَتُهُمَا قَرِيبَةٌ فَالشَّمْسُ غَابَتْ مِنْذُ نِصْفِ سَاعَةٍ .

الدُّكْتُورُ — حَظِي قَلِيلٌ . حَاوَلْتُ أَنْ أَجْتَمَعَ بِوَسِيمٍ فِي بَيْرُوتَ
فَمَا اتَّفَقَ لِي ذَلِكَ وَهِيَ أَنَا لَا الْقَاهِ هُنَا (مَتَذَكَّرًا)
كَانَ طِفْلًا حِينَ هَاجَرْتُ إِلَى امْيُوكَا .

ام رسيم - في الثالثة من عمره وكنت يا حكيم قد اخذت
شهادة الطب من جديد ، وقد داويت عينه ...

الدكتور - اذكر ذلك جيداً . ما اسرع العمر في ركضه .
١٩١٠ الى ١٩٣٠ - عشرون سنة مضت !...

ام رسيم - ما افجع ان تكون قد قضيت هذه السنين في الغربة
عسى ان تطول اقامتك بيننا .

الدكتور - انا راجع بعد اسبوع .

ام رسيم - يا اسفي ، ينجبك هذا الوادي ، وينتفع بعلمك
الاغراب .

ابو مرعي - يا دكتور ، نحن نفتخر بالاسم الذي كونه في
المهجر . ما اسم البلاد التي انت فيها ؟

الدكتور - غرانبلا .

ابو مرعي - غرانبلا (بصر) من اسمها تعرف انها بعيدة (يضحكون) .

ام رسيم - غرانبلا ؟ كثيرون من الجماعة هناك ؟

الدكتور - الجماعة ؟ من هم الجماعة ؟

ابو مرعي - ليس من جماعة الاله .

الدكتور — من هم ؟

ابو مرعي — بيت الحمصي — اذئاب الخنازير ، وضفادع المستنقعات ،
وقذارة المواخير .

الدكتور — (مشمئزاً) ليس من حقك ان تتكلم هكذا . فاني
اعرف الكثيرين من آل الحمصي وهم قوم اشراف .

ام وسيم — انت غلطان يا دكتور . اذا كان هؤلاء اشراف
ابو مرعي —
فانت لا تعرفهم يا دكتور .

ام وسيم — اذا كان هؤلاء اشراف . فسم الحية تريق . ونعيب
اليوم تغربد !

ابو مرعي — حمصي وشرف ، زيت وماء لا يختلطان .

الدكتور — لقد درت حوالي العالم اربع مرات و ...

ابو مرعي — ولو درت حوالي العالم ٤٠٠٠ مرة لن تجد أرزل
ام وسيم —
من بيت الحمصي .

ابو مرعي — (وحده) — هؤلاء الافاعي يبتلعون حتى اولادهم .
يريدون رئيس البلدية منهم والنائب من حزبهم والطريق
تمر قرب بيوتهم ، وماء العين يسقي اراضيهم ، ولا

تنسّ انهم قتلوا ابا وسيم . بيننا وبينهم دم يادكتور

فلا تسمّهم اشرافاً .

ام وسيم — الجية اشرف من الثعلب ، والثعلب اشرف من

النمس ، والنمس اشرف من الحرامي ، والحرامي

اشرف من العقرب ، والعقرب اشرف من الخنزير .

ام وسيم } — والخنزير اشرف من بيت الحمصي .
ابو مرعي }

(الدكتور خلال ذلك يتحشّ منفرّجاً ويجاول ان يتكلم

فيطغى عليه طوفان الحديث . ان ام وسيم وابو مرعي)

ابو مرعي — ارادوا ان يكون وادي الارز منهم ولكن انظر

الى ما فعل ابو مرعي (بسحب الارز من عبه) امر

مطبوع نافذ مبوم مطاع مطبوع على الطربنتو ،

بتعيين ابو مرعي سليمان الحموي ناطور موقت على

وادي الارز . لبعض الحسد قلوبهم فلا حُكمن

وادي الارز (هازاً عصا النوطه) بهذا الصولجان

(الدكتور يضحك على الرغم منه)

ابو مرعي — اتدري اليوم (ما ذا يفعلون ؟ انهم يتسلحون ،

يتسلحون ليهدروا دماءنا . فليس في بيت من بيوتهم

الا وفيه موازير . كلهم مسلحون . اما نحن بيت

الحموي . فليس عندنا بارودة موزر . ولا جفت

صيد ، ولا دبوس بشكل (بالرغم منه يلقي نظرة سرية
على الدهليز فيجفل ولكنه يكمل) ولا ابرة ولا كبراج .

ام وسيم — (بلهجة الفام الامور) يا دكتور انت خبير بالطيب
والعلم الشريف ، ولكنك تجهل القوم اللثام اعطني دواء
اطهر به في اذا تلفظ باسم « الحمصي » .

ابو مرعي — ما اجل ان اطحن رؤوسهم بمجرفة ، واقطع عظامهم
بنشار صدى .

الدكتور — آه ما اجل ذلك « والطفه » يا ام وسيم ! سألتني
متى تترك الضيعة فقلت لك بعد اسبوع . ان
هذا الذي يتعجل رحيلي ويبغيضي بهذا الوطن الذي
اكاد اعبد . انا لهذا الوادي ، لهذا الوطن ،
ولهذه الضيعة ، وليس عندي فرق بين بيت الحموي
وبيت الحمصي وبين طائفة وطائفة . ليدي قلبي
كلامكم في بيت الحمصي ويمزق كبدي حديث بيت
الحمصي فيكم . فعلام تقتتلون يا بني وادي
الارز وعلى اي شيء تتنازعون ؟ فاذا نزل بكم وباء
اسألكم الى اي عائلة او طائفة تنتمون ؟ فاذا
انقطع خير الماء أفلستم كلكم تعطشون ؟ أفلستم
بنظر الغريب قوماً واحداً فلماذا تكونون في نظر
انفسكم شيعاً وادياناً واحزاباً تتطاحنون . يا قطعاً

من حجارة هذا الوطن تناثرتم ، فأنتم كوم يبول
عليها كل غابر سبيل ، بدلاً من ان تكونوا
صفوفاً متراحة ، هي حصن يتكفّ دونه الغازي
ويعصم كل من فيه . تتقاتلون على ناطور (ابو مرعي
يتفص) على بلدية ، على قنديل ، على طريق ،
وتتذبحون على حجل ، او دجاجة . في كل يوم
نزاع و قتال و دسائس ، أهكذا تطلبون الحياة
ايها المنتحرون ؟

ابو مرعي — هكذا خلقنا الله .

ام و سيم — هذه ارادة الله فينا .

المركنور — تلهجون بذكر الله وتسلكون سبل الشيطان ،
تقيمون من الاحقاد اصناماً تعبدون ، وتدفعون
ثمن عدائكم عملة مصكوكة بدمائكم . اصلكم واحد ،
ارجعوا الى اصلكم .

ابو مرعي — الى اصلنا ؟ ناد اشعة الشمس تتلم قافلة الى مشرقها ،
واصرخ بشعاب النهر ان تركض القهقري الى
نبعها واهتف بالرجال ان عودوا الى ارحام امهاتهم ،
اذ ذاك نرجع الى اصلنا . اما الان فالله خلق الدنيا
متضادة ، طويل وقصير ، طلعة ونزلة ، ابيض
واسود ، رجل وامرأة ، سمين وهزيل ، حموي

وحمضي ، مخاطرك يا دكتور (يخرج) .
(سكوت هنيهة يمز الدكتور خلالها رأسه وكذلك
أم وسيم) .

الدكتور — (يتغير الحديث) — سرتي ان اقرأ في جرائد
بيروت عن وسيم . اظنه شاعر .

أم وسيم — هو يكتب كثيراً ويخطب . وقد الف رواية
مثلوها (تنهض الى صندوق قديم « بشتخته » فتأخذ
منه شهادة) هذه شهادته فلها منذ شهرين . وهذه
اقوال الجرائد فيه .

الدكتور — (يقبل الجرائد بسرعة الذي يريد ان يتأدب فيشاركه الام
الاعجاب بوحيدها) كوكب للماع . خطيب مفوه .
برافو . شيء جميل هذه التقارير . ومديح اكثر
من دمي اطفال الاغنياء (الدكتور يستوي في مجلسه)
يا أم وسيم اصفي الي . اهنتك بابنك ، ولكنني
وقد حشدت الايام اختباراتنا بر ٥٥ سنة من عمري
اخاف ان يقتل المديح مستقبل ابنك . التقريظ
كالعملة المزيفة تفقر حاملها . فلا تترك وسيم يلا
جيبه منها . من اجل هذا جئت ازورك فاني
اريد ان اتعرف الى وسيم فاني لم اراه منذ كان
طفلاً ، واريد ان اضع يدي على كتفه واقول :

« بني » حذار النجاح الباكر ، فان اشجار الزيتون
في هذا الوادي يكثر زهرها ويقل ثمرها . على اني
راجع الى هنا بعد حين - بل قولي لوسيم ان
يزورني (يوم بالخروج)

ام وسيم سيشترف وسيم بزيارتك يادكتور والامثال الى
نصائحك الغالية . وحذا لو فحصد عينه ثانية
فهو ما يزال يشكو منها .

المركنور - سافحص عينيه (وفيما هو يوم بالخروج يباغته صراخ
زليخه ، ودخولها كأنها دبابة تبصق النار)
زليخه - دخلكم - دخلكم - يا ذلي - يا ذلي .

ام وسيم - ماذا جرى ؟

زليخه - آخ . آخ . (تستمر على صراخها واضعة يدها على قلبها حينئذ
ثم على رأسها .)

المركنور - ما بك . اين الألم ، قلبك ؟

زليخه - يا ليت .

المركنور - معدتك ؟

زليخه - يا ليت . آخ .

الذكر نور — دماغك ؟

ام وسيم — ليس لها دماغ يادكتور .

زليخة — آخ يادكتور .

ام وسيم — قولي ماذا جرى قبل ان اجري العصا على جسدك .

زليخة — (تسكت بفتنة) بيت الحمصي كسرولي الجره (ترجع ان

الصراخ . آخ . دخلكم . يا ذلي)

ام وسيم — اخرسي . اخرسي . ولا كلمة . حذار ان تخبري احداً

من رجالنا بهذه الحادثة . انصرفي الى المطبخ

(للدكتور) انظرت يادكتور فعل « الجماعة » بنا ؟

(الدكتور يجلس ثانية مفكراً)

الذكر نور — لعلها فعلة اولاد صغار .

ام وسيم — يا حكيم هذا فعل بيت الحمصي . قتلوا زوجي وفي

كل يوم يتحرشون بنا . (تفرك يديها متحيرة) ما اسم

تلك الآلة التي جلبتها معك من اميركا والتي تتنبأ

عن الطقس ؟

الذكر نور — اسمها البارومتر .

ام وسيم — انا تلك الآلة وما اخطأت نبوءتي خلال خمسين عاماً

في هذا الوادي . اقول لك يا دكتور اني اسم
رائحة البارود واسمع لعلعة الرصاص . العاصفة
قريبة . ان هذه الضيعة البارود حبل وكننا يلعب
بالكبويت . نحن جالسون على فوهة بركاث ولا
ندري متى ينفجر . ان النفوس حاقدة ، والصدور
تغلي ويا خرابك يا وادي الارز اذا اصطدم نظر بنظر
(زايفه تدخل وفي يدها فك الجرة المكسورة) انا مهمومة
على وسيم الغالي .

الدكتور — كل غالٍ يجلب الهم .

زليخة — هذا فك الجرة التي كسروها (ترجع للبكاء)

أم وسيم — قلت لك اختفي (نفع) (الدكتور) لو ان احداً
من رجالنا رأى هذه الجرة المكسورة ، لتكسر
قبل مطلع الفجر الف ضلع وجمجمة . وقال الله
يا وسيم شر الاعداء . ماذا افعل بوحيدي ! خذ معك
الى كرانبل يا دكتور . ولكن لا اذن من « الجماعة »
اناساً هناك . قل لي ماذا افعل بوسيم . ان بيت
الحمصي يكادون ينهشونه بعيونهم . ما اوجع انت
اسلخه عني ولكني سارمي به الى الغربة مخافة ان
يفتكوا به كما فتكوا بابيه — ما ربيت وسيم
ليكون مرمى رصاص بيت الحمصي .

(يدخل نبهان آغا مختار الضيعة ، ووراءه ولده اسعد

آغا ، فينتظران بانتظار ان يلقى عليهما السلام) .

ام وسيم — مساء الخير يا سيدي نبهان آغا ، وانت ايضاً
يا سيدي اسعد آغا .

نبراه آغا — بلغني ان بني الحمصي كسروا جواركم واغظوا
الشتائم لخدمتكم . غريب امر هؤلاء البشر ، يتحرشون
بالشر . اما كفاهم قتل ابي وسيم لماذا هم يتنمرون
عليكم الان . صحيح وسيم ابن مدرسة لكنه شاب
شجاع قد يخرجه التحرش الى قتل احدهم .

اسعد آغا — وسيم قبضاي .

نبراه آغا — ليس في بيت الحمصي من هو اشجع منه .

الدكتور — مساء الخير يا ام وسيم . اذكرك بارسال وسيم
الي ولا تأبهي بمجاذة الجرة ، فانا سazor الات
بيت ابراهيم الحمصي لانه مريض واذكر له الحادثة ،
ولا ريب انهم سينزلون العقاب بمن كسر الجرة
وينتهي الامر .

ام وسيم — يا حكيم تعرف على سيدنا نبهان آغا من آغاواتنا
ومختار هذه القرية . وهذا ابنه اسعد آغا من المتأدين
الذين يكتبون في الجرائد (للاغا) الدكتور

نجيب له صيت واسع في جرانبلا ، لا شك ان
جنايبك سمعت به .

نبراه آغا — (غير مكترث للدكتور . وهذا يحده بنظرة
استخفاف حنقة) جرانبلا ! هناك تسكن صديقتك
هدى الحمصي (الى الدكتور) في معركة السديانة
سنة ١٩٠٨ كسرت ام وسيم فخذ هدى الحمصي . آ .
ام وسيم في صباها كانت بطاشة . لا تزال هدى
تتذكرها تعرج حتى الان . وقد حلفت ام وسيم ان تحقق
هدى بغداؤها . آتني بهدى الحمصي وانا اكفل لك
خنقها . لعلك تعرف هدى في جرانبلا يا نجيب .

الدكتور — ان المهذبن من الناس بنادوني « دكتور نجيب » .

نبراه آغا — (ضاحكاً) — دكتور هاه ! لقد نبت للسحفاة
جانحان . عمن ورث هذا اللقب يا نجيب .

الدكتور — لم ارثه . كسبته .

نبراه آغا — اكتسب اللقب . هاه ! (للدكتور) نجيب لك ان
تهاجر ، ولك ان تتحدث الناس عن عظيم مقامك
هناك ، وكبير علمك ، ولكنك اذ تطأ ارض
هذا الوادي ، هنا ، فاعلم ان ابناء اسياك ابيك لا
يزالون اسياك ، وكل ما في مقدورك ان تفعله

هو ان تنقياً ظلالهم .

المكنور — تريد للنسر ان يأوي الى قن الدجاج !! خست ايها

الميت الغير مدفون . ان كلماتك تقزمك في عيني .

ان شمسك غربت يا آغا . رويدك قليلاً اذ يتحرك

هذا الشعب فيخنقكم بغيار اقدامه . نادني بالاسم الذي

تريد ، فالنور الذي اشعلته في بلاد المهجر سينير

طريق الناس بعد ان يدفن الناس آغاواتهم بزمان

طويل . ولكن لماذا اخرجتني الى التباهي ؟ خف

الله ، يكفيك جئت الى هذه المرأة تثير بغضاءها ،

وتذكرها بقتالها مع هدى الحمصي ، وتوش الملح

على الجرح في قضية كسر الجرة . اذكر الله ولا

تزرع قنابل التفرة بين حيوانك .

الاغا — يظهر انك اعور العقل .

المكنور — بل انا اعماه اذ اكثرت بمومياء مثلك .

اسعد آغا — (يريد ان يحسم الخلاف) طول بالك يا ابني ، وانت

يادكتور لماذا الغضب ؟ قل لي ما هو رأيك في

قضية القديم والحديث في الادب .

المكنور — ما هو رأيك في قضية زيت الخروع والملح الانكليزي

في الطب . (ينصرف ، فتلاحق بهام وسيم مودعة قائدة :)

ام وسيم — يا حكيم هذه الحادثة مع سيدنا الآغا تؤسفني و ..
(تخفني مع الدكتور) .

نبرانه اغا — دكتور !!!

اسعد اغا — سأهجوّه بقصيدة ، لا تخف . « دكتور انت من الـ .. »
لا بأس بساعة ثانية .

نبرانه اغا — لا اخاف هذا المتمدن فسيو حل . ولكنني اخاف

وسيم ابن هذه المرأة لانه سيقم هنا وهو طموح . خف
الطموح يا اسعد ، اذ لا نهاية لامانيه ، ولا حد
لمحتمل اعماله . هذا الغلام اذا ظفر بوظيفة في بيوت
فقد ينتزع منا وظيفة المختار . لنهلكه قبل ان
يصطادنا .

اسعد اغا — ما العمل اذن ؟

نبرانه اغا — اذهب الى طعان الحمصي ابن هدى انه فتى جبار ،

ديناميتي الطباع ، كبريتي المزاج ، قل له ان وسيم
يتوعد بقتله ثاراً لكسر جرة صانعتهم (اسعد ينصرف)

(ترجع ام وسيم قائلة :)

ام وسيم — آسف ياسيدنا ان يكون الدكتور تطرف بالكلام .

الآغا — هؤلاء المهاجرون الراجعون يتكلمون بما لا يفهمون .

لعن الله ساعة فتحت ابواب اميركا فوضعت الفلفل
في انوف العامة .

(صوت اغنية عصرية عربية او افرنجية يغنيها اثنان)
(يدخل وسيم وراجي بلباس الصيد وكلُّهما معه جفت ، في
يد راجي حمامة مقتولة . يركض وسيم الى امه)

وسيم — امي . امي . (يقبل يدها فتقبله ضامة اياه)

ام وسيم — يا تقبر امك . لماذا تأخرتم . ادخل الى الغرفة الثانية
فابدل ثيابك .

راجي — خالتي ام وسيم مساء الخير . انظري الى امير صياد
في الدنيا . قضينا النهار كله ولم ننظر بطريدة الا هذه .
(مشيراً الى الحمامة) طلق واحد من امير الصيادين
راجي البيروتي اوقع هذه الحمامة البرية وهي طائفة
(منهكاً) اسألي وسيم كم طير اصطاد ؟ ان الهة
القنص امننت الطير على ارواحها اذ يخرج وسيم
للصيد . اهون عليّ ان انظم قصيدة من ان يصيب
طريدة . زليخه ! عساك اكثرت الخبز ففي مقدوري
ان آكل محصول فرن . ويا خالتي ام وسيم اذا كان
العشا حاضر فانا حاضر .

وسيم — اتركه يا امي يجوع لعله يربحنا من ثروته .

راجي — ولا ؟؟ وسيم . ولا ؟ !

(يتاسكان ، هازلين ، مظهرين المراك)

ام وسيم — يسرني احمرار وجهك ورجوع العافية اليك ، فقد
جئنا اصفر الوجه هزيلًا فما اجمل لون الصحة على
حيالك .

وسيم — (الى الاغا) مساء الخير نبهان آغا . هذا صديقي
راجي البيروتي . هو كثير الدعابة فلا تكثرت
لمنازله ، واذكر انه بيروتي واهل بيروت (مشيراً
الى رأسه) .

رامي — واهل الجبل (يمشي متبختراً مقلداً المنكبرين)

الاغا — عساك تستطيب الإقامة في ضيعتنا ، مارأيك في هذه
القرية ، وادي الارز ، اليس السكن فيها جميلاً ؟

رامي — يعني اذا سكنها سواي . ولماذا
سميتوها « وادي الارز » فهي جبل وليست وادياً ،
وليس فيها أرز بل فيها شجر البلوط . قل للبلدية
ان تسميها « جبل البلوط » بدلاً من وادي الارز .

الاغا — وقل للبلدية بيروت ان تسمي بيروت « قوس القزح »
ففيها كل ألوان البشر .

رامي — سنسبها الطاحونة لان كل الدروب تؤدي اليها .

يا آغا اريد ان استفسر منك عن امر .

الاغا — تفضل .

رامي — لماذا انت آغا يا آغا ؟

الاغا — لان ابي كان آغا .

رامي — ولماذا ابوك كان آغا ؟

الاغا — لان اياه كان آغا ؟

رامي — حقاً انك ذكي تعرف كيف تنتقي اسلافك .

الاغا — وانت هل عرفت كيف تنتقي اسلافك ؟

رامي — ابي رئيس .

الاغا — رئيس ؟ رئيس ماذا ؟

رامي — رئيس بحارة بيروت .

الاغا — أهو حي ؟

رامي — لا ، انتحر .

الاغا — لماذا انتحر ؟

رامي — في المدينة قتش عن المرأة ، وفي الضيعة قتش عن الاغا .

ام وسيم — يا نبهان آغا شرفنا للعشاء .

وسيم — (غامزاً راجي) حقاً ابقَ تعشَّ معنا يا نبهان آغا .

الآغا — (ممسكاً الحماة) ارى انك صياد ماهر ، فان لم

تكن قد احسنت اختيار اسلافك ، فانت احسنت

اختيار الطريدة (وسيم يقلب كتفه مدمماً كانه في غيبوبة)

(ام وسيم تحيي الطعام مع زليخه) .

راجي — صياد ماهر !! ألم تسمع بما فعلته كفي في غوطه

الشام ؟ كنا في العام الفائت نصطاد في الغوطه

ولم يبقَ معي من الذخيرة الا رصاصة واحدة . واذ

اطلَّ عليَّ نمر وأسد . نمر وأسد . اسد ونمر .

الاسد عن يساري والنمر عن يميني وفي بارودي

رصاصة واحدة . أتدري ماذا فعلت ؟

وسيم — انا ادري ولكنني استحي ان اقول .

راجي — انتضيت سكينتي (ممثلاً) وغرستها في الارض هكذا .

ثم ايتعدت (يتعمد) واطلقت رصاصتي على حدِّ

السكين (١) فانشطرت الرصاصة شطرين ، الواحدة قتلت

النمر ، والثانية قتلت الاسد . حادثة هائلة .

(زليخه تنذهل وتصبح « يا ربي ! » فيقع الصحن من يدها)

(١) حادثة الصيد قصها المالني يدعى انه امير الكذابين .

- وسيم — هائلة وثخينة ، ثخينة !
- زايحة — سبحان الخالق .
- الاغا — (وهو يفحص الحمامة) غريب الامر هذه الحمامة البرية . انها تلبس الخلخال .
- رامي — خلخال هاه !! انا لا اصطاد رعاغ الطير بل آغواته .
- زايحة — هذه حمامة بيت الحمصي . هذه حمامة طعان .
- وسيم — (مهووماً) هذا جائز . فاذا ذكر انك اصطدتها في خراج القرية .
- الاغا — (الاغا يشرق وجهه كمن فاجأه فكر عظيم)
- الاغا — على كل حال بخاطركم (يخرج بسرعة)
- زايحة — سيدي وسيم — بيت الحمصي كسرولي ...
- ام وسيم — اخري .. (لوسيم) الدكتور نجيب زارنا .
- وسيم — (مثالاً) صحيح . ما أقل حظي لم اجتمع به حتى الآن
- رامي — من هو هذا الدكتور نجيب ؟
- وسيم — غريب ما اوسع مجهولاتك . بعد قليل ستسألني من هو ابو علاء المعري .

— راهبي (بيرودة) على فوقه ، من هو ابو العلاء المعري ؟

وسيم — (بخنق) صاحب كارج على «فرن الشباك» .

ام وسيم — لقد سألت الدكتور نجيب ان يفحص عينيك .

— راهبي لماذا لم تسأليه ان يفحص دماغه . ان ابنك يا خالتي

ام وسيم لولد عجيب . بالكرم — حاتم طي تقمص
في جسد وسيم الحموي . اكرم من السيف ! اكرم
من طالب وظيفة !

ام وسيم — لاحظ انه مبذر . ولكن الايام ستقطعه عن هذه العادة .

— راهبي سيقضي عمره يوحد في كتاب الاغاني (ياخذ كتاب

الاغاني من مكتبة وسيم ويقرأ منها) «دخل العمروط
بن هرموط على الامير مرقوع بن مرقوع —» أسأليه
ما هو طموحه ؟ طموحه ان يسمع التصفيق . ومستقبله
مثل التصفيق (يصفق) بؤه — يتلاشى .

ام وسيم — وانت يا ابني ما هو مستقبلك ، وفي يدك شهادة

مثل شهادة وسيم ؟

— راهبي يا خالتي في بيروت اوتومويلات اسمها « تكسي »

يوكبها من يشاء الى حيث يشاء . هكذا نحن
الشباب المثقف (منادياً) الى العراق ، فلسطين ،

مالطه ، السودان ، مصر ، السند ، الهند . الفرق
ان « التكسي » لها تعريفه ، اما نحن الشباب
المثقف فليس لنا تعريفه . اركب وادفع ما تشاء .

ام وسيم — ساتركك وسيم في دعابتكم . انا ذاهبة اسهر عند
ابنة خالتي . زليخه تقوم باموركم .

وسيم — ألم تنسي شيئاً يا امي ؟

ام وسيم — (بتذكرة ، فتنطلع الى وسيم ثم يضحكان) .

ام وسيم — } القهوة !!
وسيم — }

وسيم — ساهدي روايتي الجديدة « الى القهوة التي صنعتها امي »

ام وسيم — القهوة حاضره (تعطيه الفلايه) .

وسيم — قهوة ! ومغيب ، ووادي الارز . اين القبعة ، والعصا ،

والسيكار ؟ (راجي) هذا لباس الوحي (يلبس القبعة ،
ويحمل العصا ويولع السيكار) لا اقدر ان اخط

سطراً بدون ان البسه .

راجي — اذاً لا تلبسه .

ام وسيم — بخاطركم .

رامي — سؤال قبل ان تنصري يا خالي ام وسيم . هل
تجيبيني عليه ؟

ام وسيم — اذا قدرت !

رامي — ما رأيك بطائفتنا ؟

ام وسيم — (ضاحكة) ما اكثر سؤالاتك . بخاطركم .

رامي — ألا تلومين وسيم على انتقائه ضعفاً من غير دينه ؟
الصحيح يا ام وسيم . ما رأيك بي ؟ الصحيح .

ام وسيم — الصحيح يا ابني — ياغبك تكون من « الجماعة ! »

وسيم — ياغب « الجماعة » يكون فيهم واحد مثل راجي .

ام وسيم — بخاطركم .

وسيم — امي ادعي لي بالالهام .

ام وسيم — (متضرعة الى الله) رب يا من اغدقت المواهب على
بني وادي الارز اغمر بالهامك قلب وسيم (تقبله
ثانية وتصرف) (وسيم يجم بالدخول الى الغرفة الثانية)

رامي — (حانقاً) وسيم ! الام تسمرني في هذه القرية ؟
تعال ننزل الى بيروت الآن — هذه الليلة .

وسيم — ما اكثرو لجأك ! قلت لك غدا نزل الى بيروت
ألا ترى حوائجنا جاهزة ؟ صبرت ثلاثين ليلة ،
أضاعت انفاسك بهذه الليلة ؟ اصبر للغد فأريك مطلع
الفجر في الوادي فتري الصبح يتنفس . آه لو تأتني
الينا في الربيع اذ تنور الازاهير ... و

رامي — آخ — الفجر ، الربيع ، الازاهير ، أهذه الغلاطات
موجودة في كتاب الاغاني ؟ الفجر في بيروت ؟
متى سمعت (منادياً) كعك سخن ، قل طلع الفجر .
ومتى رخص سعر الفجل ، قل أطل الربيع . لا
كانت ساعة اطلت بها على هذه الضيقة . انا على
ابر ودبابيس . اريد ان اذهب .

وسيم — ألا يسرك الراعي بشابته يرعى قطيعه ؟
رامي — بل يسحرنني ! البارحة رأيت راعياً مع قطيعه فهربت .
وسيم — لماذا هربت ؟

رامي — الرائحة لا تطاق . غرام التيوس يفسد الجو .
وسيم — والطيور ؟

رامي — الطيور ؟؟ لم أرَ من الطيور الا البرغش والذبان .
وسيم — لا تكفر بنعمة الطبيعة . انشق العير .

راهمي — انشق البعير .

وسيم — انا اهوى هذا الوادي . انا الصق بهذه الارض
من صخرها .

راهمي — الله يقلعك . انا لاصق بهذه الضيعة كأني ذبابة في

صحن دبس . وسيم ! تعال نزل الى بيروت هذه

الليلة فانيمك في تحت فيه العبير والزهور والربيع

وكل ادوات الوحي ... ها انا استعجل الدهر

(يمشى الى الروزنامة فيترع منها ورقة) ها نحن في ٣٠

ايلول سنة ١٩٣٠ . ها هو فجر الغد فلنمش . قل

لماذا تسوفني . كل يوم تقول غدا .

وسيم — راجي لا تهزأ بي . اريد ان انهي روايتي .

راهمي — واين صرت فيها ؟

وسيم — في الفصل الاخير اذكره ؟ صديقان تغربا . مات

احدهما فاوصى رفيقه ان يأتي الى القرية بزجاجة

فيها رماد جسمه .

راهمي — اوف !!

وسيم — فيأتي الصديق بالرماد ويقف على عتبة الباب .

راهمي — اوووف .

وسيم — فيسمع الاب والام يصلبان ضارعين الى الله انت
يرجع ابنهما اليهما ، وابنهما ميت بوفاته لا يعلمان .
— اووووف ! راجي

وسيم — واذا يذر الرماد على عتبة البيت تهب نسمة تعبت
بالرماد فتقول الام لزوجها اني اشعر برعشة في نسيم
هذا المساء ...

— اووف ... اوف .. (يسحب محرمته ويتهكم باكياً) راجي

وسيم — راجي - اني احس بهذه الرعشة الآن في نفسي
واريد ان اضعها على الورق . غدا نذهب الى بيروت
ولك انت ان تنام في التخت الذي تستطيعه .

— (متظاهراً كأنه ملهم) وانا الفت رواية . راجي

— هاه ! وسيم

راجي — اما القنينة ففيها رماد سخن اذره في عيون كل من
قال الشعر والف الروايات .

وسيم — (مدغداً خد راجي) سأدخل الى الغرفة الثانية اكتب ،
فابق انت هنا هنيئة ، بعد عشر دقائق نتعشى .

— تريد ان تربطني هنا جائعاً اعلك لجامي حتى تعود ؟ راجي

وسيم — اعلك رسنك حتى اعود . واذا شئت انت تتسلى

فاقرأ هذا الكتاب (يرمى له بكتاب الاغاني) .

رامي — يا ربي . كتاب الاغاني (يأخذ عليه كبريت من

جيبه ويهم بحرق الكتاب فيوقفه وسيم) .

وسيم — لا تكن حقوداً كالجبلين . انتظري حتى انهي الفصل

(ينصرف) .

رامي — (بعد هنيهة) زليخه زليخه .

زليخه — نعم .

رامي — قولي لي . أكل اهل وادي الارز ينظمون الشعر ؟

زليخه — الذي لا ينظم الشعر ينظم قراي .

رامي — (مبسطاً) وانت ألا تنظمين الشعر ؟

زليخه — (تضحك متدلة) وانت يا راجي افندي ألا تنظم

الشعر ؟

رامي — انا ؟ ألم تسمعي بي ؟ انا امبراطور الشعراء .

زليخه — (بازدرأ) امبراطور الشعراء ؟ فقط لاغير ؟ في

وادي الارز الف امبراطور شعر . قل لي قصيدة

من قصائدك .

— على فوقه ، ماذا طبخت الليلة ؟

راجي

— (نضحك) قل لي قصيدة من قصائدك .

زليخة

— أتريدن شعر ام قرادي ؟

راجي

— من الاثنين (في هذه الاثناء يأخذ من حقيبته زجاجة

زليخة

ويسكي فيصب في كأس ويشرب) .

— نبدأ بالشعر ثم القرادي ! ..

راجي

قفا نبك من ذكر الزهور العوائب

ونهدي الالى في مطلع الشعر غائب

أنا إن قلت يا زليخة شعراً

ضحك الشعر في السنين الحوالي

فأنهكي حرمة الغرام واهد مني لك السلام

جدنا جدّ العظام

في البريق

والنبيق

نزعه مثل اللييط

بل هي زهر وماء

مثل زهر القرنيط

ايه خصر الحبيب يحتاجك صبح الغداة دولاب طهر

— (نصفق) وقرادي ؟ (في الاثناء راجي يشرب)

زليخة

— قرادي ؟ هذه قصيدة عنوانها « طليحة الحب او راجي

طراحة الغرام » .

نحنا ولاد الفن دجاجاتنا بالقن

الدنيا قايمة دربكي

والدبس دبس بعلبي

والزهر والوزال

والزعر والعرزال

يا قاف

يا راء

يا دال

تفسيرها يا قرد .

زليخه — (تصفق ثانية)

— وانت يا زليخه ، ألا تنظمين الشعر ؟ (زليخة تتدلل) راجي

قوليلي ، تعالي ... آو ...

زليخه — احكي لك الصحيح يا راجي افندي ؟

راجي — الصحيح يا زليخه افندي ، يا زليخه .

زليخه — كلما رأيت سيدي وسيم ... (تسكت)

راجي — (مشجماً) آ . (تضحك زليخه الخ) ترين وسيم معتزلاً

يكتب (زليخه نفاطه موثنه ضاحكة) . البرنيطة
على رأسه وفنجان القهوة في يمينه .

زليخه — آ . آ .

— والعصا بيده يضرب بها الجو (يتقلده) . راهبي

زليخه — آ . آ .

— وقد انفرج قميصه عن صدر نبت فيه الشعر راهبي

زليخه — آ ، آ ،

— تتمنين راهبي

زليخه — آ . آ .

— تتمنين لو ... لو ... راهبي

زليخه — آ . آ .

— لو انه كان زوجك . راهبي

— (حانقة) احشم حالك يا راجي افندي . زليخه

— لا تخفني علي يا زليخه . تتمنين لو ... لو ... راهبي

كنت ادبية مثله .

زليخه — (متهجة) صدقت يا راجي افندي . صحيح ان

البيارة شطار .

— (مظاهرا كأنه في تفكير عميق) اذا كنت تريدني
ان تكوني اديبة مثل وسيم فما عليك إلا ان تفعلي
مثله .. على فوقه ، ماذا طبخت للعشاء ؟
ذوقيني لقمه (تذوقه) .

— طيبه يا زليخه . عندما أنشر ديوان شعري سأقدمه
(مقلدا وسيم) « الى المحلوطة التي طبختها زليخه »
والان اذا كنت تريدني ان تكوني اديبة مثل وسيم
فافعلي مثلاً يفعل . هذه البرنيطة (يعطيها برنيطته
ثم يلبسها اياها) وهاك العصا . تمشي يا زليخه
مثلاً يتمشى وسيم (تتمشى) الان بقي امر القهوة .
هذه قهوة بيروتيه . البعض يسمونها ويسكي ، أو
جوني ووكر ، أو بدرو دوماك ، ولكنها في
الحقيقة قهوة بيروتيه . كل قنينة مكفولة ان تعصر
عشرة آلاف قصيدة . (يصب لها وله) . اشربي
(يثر بان) الشعر هنا يا زليخه (مشيراً الى القنينة)
وما عليك الا ان تستخرجيه .

— (بعد ان تشرب) هذه تحرق وليس لها طعمة قهوة .
— اشربي ثانية . اول كلاس مرة . الخلاوة في قعر القنينة
يا زليخه (تشرب ثانية)

- زليخه — كيف تصنعون هذه القهوة ؟
- راهبي — نخلط نصف رطل لبيط بغال ، مع اقة ديناميت ،
وعشرة كيلو من نار جهنم .
- زليخه — (وقد لوتحت معها) نار جهنم . بدأت ارى الجنة .
- راهبي — الآن انظمي الشعر .
- زليخه — طلّ القمر عاوادي الارز .
- راهبي — برافو زليخه . طل القمر عاوادي الارز .
(يعيدان هذا عدة مرات متغيرين (لهجة)
(ويمركان الردة بين طل القمر عا ارز الوادي . طل
الارز عاوادي القمر ، طل الوادي عا ارز القمر ، طل وادي
الارز عا قمر الوادي .)
- راهبي — فلتجي اميرة الشعراء . فليحي الادب . هذا هو
الادب (يقبلها)
- زليخه — (تصفحه) هذا قلة ادب ! (تنصرف ، بعد ان ترمي بالعصا
من يدها والبرنيطة من على رأسها)
- راهبي — (وحده . يريد ان يسلي نفسه فيأكل لقمة ، ويشرب
كاساً ، ثم يسحب كتاب الاغاني لابي فرج الاصبهاني ويقرأ :
« جادك الغيث اذا الغيث همي
يا زمان الوصل في الاندلس »

جاد - تكّرم

الغيت - المطر

همى - سقط

يا زمان الوصل ...

(صارخاً) - هنا قلة الادب يا زليخه . (يدق الباب

الذي خرج منه وسيم) وسيم ، وانا اريد ان اؤلف رواية

(يضع البرنيطة على رأسه ويمشي ملوحاً بالعصا) راجي

اليوروتي الروائي الشهير (يحاول بصراخه ان يقلق وسيم

في خلوته) عنوان الرواية :

قرن الديك - لا

ريش الحمار - لا

مجنون ليلي - لا

خرس العقل - لا

الوطنية والعلم - لا

الانتقام العادل - لا

رواية ادبية ، عصرية ، انتقادية ، حماسية ، وطنية ،

شعرية ، نثرية ، مبكية ، مضحكة ، منومة ،

يخصص ريعها « لجمعية قطع دابر الشعراء والادباء » .

الغها - لا

خلقها - لا

كونها - لا

سرقها - لا

ترجمها - لا

اقتبسها - لا

(منظامرا بالتفكير) وجدتها، وجدتها! Eureka, Eureka!

باضها راجي البيروتي !

الفصل الاول - تظهر بطة الرواية . الجببية ...

- يا قلب اخفق - يا جارة الوادي - ويا نار

اشتعلني - ينزل الستار ثم يطلع الستار -

(كل هذا بصوت عالٍ حتى يشاغب على وسم) ثم ينزل

ثم يطلع . وكل ما يطلع ينزل . وكل ما ينزل

يطلع . تظهر عروس الرواية ، ووراءها اولادها ،

واولاد اولادها . يأتي البطل . ها لطيف البطل . غرام

وغرام وعشق وهيام و amour ها لطيف الامور .

زواج وانتحار . انتحار وزواج واخذ بالثار .

يهيج الجمهور . المؤلف . المؤلف . (صارخاً بأعلى

صوته نحو غرفة وسم) المؤلف . المؤلف . (يظهر وسم

فيضربه ببندورة من على المائدة !)

- (شارقاً بالدمع) راجي اهزأ بي ما تريد واضربني

بالبندوره ما تريد ، والبيض ، والاحذية ، ولكن

اتركني في خلوتي وفني . ان شعلة من الوحي

بيضاء ترقص في صدري . فلا تطردها بدعابتك .

إن كلمة عليها فرت فلن تعيدها قوى الارض .

رسم

راجي ، ان الذي خلقتني ارادني ان اخلق هذه
 الرواية . أحس بموجة في نفسي تملكت ثم اشرأبت ،
 وها هي تكاد تدفع الى الدنيا بجوهرة . راجي ،
 اتركني واترك الناس يستمتعون برائعتي . لن تفهم
 في أي غيبوبة أنا . دعني فلن يهدأ بالي الا اذا
 صقلت هذا التمثال الذي اصنعه من الصلصال الذي
 وهبته ، ولن يستريح ضميري الا إذا سمعت هاتفاً
 يقول لي اكملت عملك سلمت يداك . ألا تفهم اني
 كأمن تمنحض بحياة . بربك اتركني في لذة عذابي
 ولك ان تفعل بي بعد هذا ما تريد .

راجي — (مأخوذاً باخلاص وسيم) ارجع الى عملك يا
 وسيم وسألجلم حنكي (يرجع وسيم الى غرفته) (يعاود
 المرح راجي فيخطب السقف) اني كأمن أنمنحض بحياة
 يعني كدجاجة تبيض . صدقت يا راجي البيروتي .
 انا اونهاشي الادب . انباشي ؟ شاويش ، كولونل ،
 جنرال ، حفلة تكريم للاستاذ راجي البيروتي
 (ضرب قوي على الباب وصوت وحشي يصيح)
 افتحوا . زليخه تفتح الباب وتغرب صارخة « يا ذلي ،
 طعان الحمصي » .

طعانه — واين هو عنقرة عبس ، والوزير ابو ليلى المهلهل ؟
 راجي — (يبرودة) عنقرة عبس ليس هنا . ابو ليلى المهلهل

غائب ، ابو العلاء المعري فاتح كراج على « فرن
الشباك » ، ابو الفرج الاصبهاني على الطاولة هناك .
داعيك اسمه راجي البيروتي .

طعامه — والداعي اسمه طعان الحمصي .

راجي — هاه ؟

طعامه — طعان الحمصي . طعان .

راجي — طرزان ؟

طعامه — طعان يا

راجي — آطعان . كيف حالك يا طعان افندي .

طعامه — انت افندي . ابوك افندي . وكل عائلتك افندية .

راجي — كلك لطف . هل من حاجة اقضيها لك ؟

طعامه — حاجتي الى البطل المغوار وسيم الحموي يخبرني لماذا

قوس حمامتي . اثاراً لجرة صانعة أم ثاراً لأبيه ؟

فان كان ثاراً لأبيه فقد اغلى الثار . كان يجب عليه

ان يقتل كلباً ليصير « دم بدم » .

راجي — انا قوست الحمامه . لم اعرف انها تخصكم حتى رأينا

الحلخال . اريد ان ادفع لك ثمنها (يسحب محفظته)

طعان — الضيوف لا يدفعون ثمن شيء ولكن بني الحموي
سيدفعون ثمن هذه الحمامة غالباً . كل ريشة برجل .
برجل ؟ كأن في هؤلاء الخنافس رجالاتاً .

رامي — هوّن عليك . انتم اخوان .

طعان — يا وسيم الحموي ، يا غنّرة اطل وخذ بثأر ابيك .
(يظهر وسيم)

وسيم — سمعتك تناديني يا طعان .

طعان — صدقت فمتى قلت لك يا غنّرة فانا اناديك . اراك
ساحباً العصا فانا مستعد الى لقاءك ولو ان في
يدك الناعمة مدفع متراليوز . (وسيم يرمي بالعصا جانباً)

وسيم — لك يا طعان ان تقول عني اني جبان . ولكن يدي
لن تولع هذه القبلة . لن اكون الشرارة التي تشعل
هذه الضيعة .

طعان — انا وانت ولا حاجة للضيعة .

وسيم — لن يسترجع أبي حياته ان انا فتكت بك .

طعان — انت جبان يا ابن المدرسة ، حلقت ساريك وخضبت
كالنساء بالعطر شعر رأسك ، فلماذا لا تلبس الفسطان
وتسمي نفسك مزموال (يضحك ضحكا وحشياً)

وسيم

— ان الحمامة خطأ وقعت .

طعان

— الذنب ذنب الحمامه هاه ! الحمامه اصابت الرصاحه هاه !
هكذا علمتك المدرسة ، مدرسة بيروت يا مزمال !

رامي

— قلت لك سأعوض عليك ثمنها . تعال . ننظم
قصيدة . هاك المطلع — طل القمر ... هذه قهوة
بيروتية (طعان لا يأبه به)

طعان

— جئت ارمد بيوتكم ، حسبت اني القى شبه رجل
اقاتله ، ولكن جنبك يعيب الارنبه يا مبصقة الرجال
لو ان خوفك كان اقداماً لكنت عنترة ، ولو ان
فسق امك كان طهراً لكانت امك راهبة يا ابن القجبة ،
(كالبرق ينقض وسيم على طعان فيرميه بيوكس . ينهض
طعان فيهجم على وسيم . يتقاتلان بضع دقائق ترى فيها وسيم
هادئاً يقاتل كالملاك ومتى ظفر فلا يتحدى خصمه . اما طعان
فيقاتل بفطرة وحشية حنقة فيخسر في كل جولة . تسمع
خلال ذلك ازير « السين » فاذا اشتبه احد ان « السين » كسرة
من الشنيعة الشائعة قل له معذرا انها صريف الانسان
وابتم . حينما ييأس طعان من التغلب على وسيم يبتعد
عنه ساجداً مسدسه ويصيح (خذها من يد طعان يا ابن
الحموي) فيسرع وسيم فيلوي يد طعان بحيث يطلق
المدس فتصيب رصاصة قلب طعان ، يتلوى هذا الماء
ويصبح آخ . آخ . قتلي ابن الحموي وينطرح على الارض

بحيث يختفي زناره وما فوق خلف الكواليس وتبقى رجلاه
على المسرح منظورين)
سكوت رهيب هنيهة وراجي ووسيم ينشاوران

— جس نبضه (وسيم يفعل) راجي

— ميت ... وسيم

— ميت ! راجي

{ لنهرب . فلنهرب (يقفزان من النافذة اذ)
وسيم
راجي

ينزل الستار

(اصوات بعيدة مغممة مخنوقة ضوضاء يتخللها طلق رصاص ،
وهتاف : جموي . حمصي . عليهم . ولا . زلاغيط واصوات
حدا وتألّم جازع)

المشهد الثاني

(ام وسيم كومت نفسها حزينة . الدكتور نجيب مرفز
يتمشى . ابو مرعي يقظ كأنه لاعب شطرنج يفكر
بالخطوة التالية .)

الدكتور نجيب — ما أهون التدمير . نستعبد النفس للعلم ، لنخلص
حياة ، او نخفف الألم عن حياة ، وفي نصف ساعه
تطفئون اربع عشرة حياة !?

ابو مرعي — ثلاثة عشر قتيلاً يا دكتور . سليم المحصي بعد ما مات

الدكتور — ولكنه سيموت . (متأملاً) اربع عشرة روحاً هدرت .
يا خرابك يا وادي الارز . ما اكثر تبذيرك في دماء
بنيك . من يدري ان لا يكون بين من قتلهم
الجهل ، شاعر كجبوان ، مخترع كالصباح ، بطل
كسلطان ، عالم كالبيستاني ، او جندي كفوزي .

ابو مرعي — هذا بدء الشر وليس نهايته . نصف الضيعه في الحبس .

الدكتور = (يمشي الى الروزنامه) الف وتسعماية وثلاثين . تكذابين .
تكذابين . ما نحن في القرن العشرين . لقد نام

الانسان في نفوسنا ونهض الحيوان ، نحن في العصر
الحجري في اخلاقنا ، ولم نلبس من المدينة الا
هذه الاثواب - اثواب فقط

ام وسيم - ان ابني ليس بشير ، ان ولدي لم يعتد على
الجماعة ، ابني لا يهتم الا بكتبه واوراقه ، جاء ابن
الحمصي ، حمص الله قلوبهم - الى زاوية بيتنا فشم
ابني - وحقره وضربه في النهاية صوب اليه المسدس
فلم يفعل وسيم الا ان لوى المسدس ، من يلومه
يادكتور ؟

الدكتور - هل قبضوا عليه ؟

ام وسيم - اذا كان الله يقبل صلواتي فلن يقبضوا عليه .

ابو مرعي - ولكن ليت الحمصي عيون وجواسيس . كَفَّوا يدي
عن وظيفة الناطور . الايام بيننا وبينهم .

الدكتور - هذه كم قرش (يعطيها كدسة اوراق نقود) ربما
تحتاجين اليها .

ام وسيم - كثر الله خيرك يادكتور . نحن في سعة عندنا مئة
زيتونه (لا تأخذ المبلغ منه)

الدكتور - اتكفيك هذه المئة زيتونة ؟

ام وسيم — كفت من قبلي آباي والله وكيل ان تكفيني
ووسيم . ليس هذا الذي يشغل بالي يا حكيم
(فاركة يدجا باكية) ولدي ، ولدي ، ربيته وثقفته
ليمسي طريداً في البراري؟! واذا قبض عليه الجند?
واذا ظفر به بنو الحمصي؟! رب ماذا فعلت لتنزل
في هذه الحنة؟! (يدخل المختار الاغا)

الاغا — هكذا فلتكن الرجال . ان وسيم رجل . اخذ بثار
ايه فقتل ابن هدى الحمصي (ضاحكا) فما عليك الا
ان تحنقي ام طعان بفدائرها ليكتمل الثار . هكذا
فلتكن الشباب . وانت يا ابا مرعي ، عزلوك من
وظيفتك?? هذه دسائس بيت الحمصي فالنائب
من حزبهم .

الدكتور — اربعة عشر قتيلاً ، عشرون جريحاً ، معظم رجال
الضيعة في السجن . ألا تكفي هذه المصائب لتشرح
قلبك القدر يا نمام . ابورة دسائس في صدرك?
يا ويلك من يوم يملك بك الشعب ويقول (متددا)
يا آغا (الى ام وسيم) هذا تقرير وفاة طعان .
فاحتفظي به ، قد يساعد وسيم في المحكمة اذا مثل
امام القضاة ، التقرير يثبت ان وسيم كان مدافعاً
عن نفسه ، الله معك يا ام وسيم ، بخاطرك يا ابا مرعي

ابو مرعي — بخاطرک یادکتور

ام و سبهم — مع السلامه یا حکیم ، الله یحرسک

الاغا — یخرج بدون ان یودعنی ! سألق به وأریه (یتظاهر

بالهجوم للخارج)

ابو مرعي — طول بالک (الاغا یقف)

المختار — إذا فقد عزلوک یا ابو مرعي .

ابو مرعي — الدنيا دولاب !

المختار — عزلوک یا ابو مرعي .

ابو مرعي — انا كنت أهم بالاستعفاء .

المختار — عزلوک یا ابو مرعي .

ابو مرعي — أنا لا أحب النوبة . المشي یتعینی .

المختار — عزلوک یا ابو مرعي .

ابو مرعي — (تارکا برقع التظاهر) عزلوک یا ابو مرعي (جدد

بقبضتيه اذ :

ینزل الستار

المشهد الثالث

(فرشتان متقاربتان . زليخة نائمة كانها رحي طاحونة .

ام وسيم قرب القنديل بين يديها كتاب صلاة تبتل :

ام وسيم — « رب سدّ خطواته وابعده الشر عنه . رب ان

اردت به سوءاً فانزله بي واجعلني فداه . يا الهي .

ياسندي . وملجاي . ومعبودي رجوتك وتميت

عليك راحة باكية ان تحفظ وحدي وفلذة

كبيدي . رب ...

(يدخل وسيم وراجي متلصحين)

ام وسيم — بني لماذا رجعت . ولدي انهم يفتشون عليك .

وسيم — جئت اودّعك امي ، واخذ اوراقني . فانا وراجي

مسافران . سيهربنا بحارة بيروت الى المهجر . الى

اميركا ، فوداعك امي ، سأكتب لك من حيث

اكون (يتعانقان) (كل هذه الاحاديث خمس خمساً)

ام وسيم — ستكون غريبتك موجعة ولكنني سأحملها في سبيل

سلامتك . هذا (مشيرة الى راجي) أرافقك ؟

وسيم — يصر على ان يرافقي .

ام وسيم — لا تأمنه . ليس من طائفتنا . سيخونك . يستحيل ان يخلص لك . من جده عادى جدك يستحيل ان يودك .

وسيم — لآخذ اوراقى (وسيم يأخذ اوراقه وكتاب الاغاني من المكتبة . راجي يشير عليه - بالاشارة لا بالكلام - ان يرمي بتلك الاوراق وذلك الكتاب . ام وسيم تفتح صندوقها وتزج منها صرة)

ام وسيم — هذه صرة اليقين . فيها عشرون ليرة ذهبية خذها يا بني والله معك .

(قرع شديد على الباب) افتحوا باسم القانون .

ام وسيم — (تشير لابنها وراجي . مخاطبة الفارع) مهلاً ، مهلاً ،

فسأفتح لكم (حينما تدير ظهرها وسيم يفتح الصندوق فيرمي بصرة اليقين فيها ، ثم يفرغ ما في جيبه من نقود ايضاً . كذلك راجي يفعل نفس الشيء . كل هذا يجري بسرعة خاطفه . راجي ينحني على زليخه التي بدأت تتحمل ويقول « طل القمر » . يقفزان من النافذة فيختفيان)

ام وسيم — مهلاً يا حضرة الضابط .

الضابط — (من الخارج) افتحي باسم القانون ، باسم القانون

افتحي يا ام وسيم والا كسرت الباب

ام وسيم — ألسنت انت ابو شكيب ؟

الضابط — (من الخارج) بلى ، أنا هو . انا السرجان سلوم افتحي

باسم القانون والا كسرت الباب

ام وسيم — انت لا تكسر باباً على عجوز ، ولا تريد الدخول

على غرفة فيها امرأتان في ملابس النوم ، كان

اسمك ابو شكيب قبل ان سموك السرجان سلوم ،

و كنت تحلف باسم الشرف قبل ان تحلف باسم

القانون ، رويدك حتى البس ثيابي

الضابط — (من الخارج) امهلك خمس دقائق

ام وسيم — شكراً لك ، كلك ناموس يا ابو شكيب (متظلمة

من النافذة التي قفز منها وسيم وراجي ثم تحكم قفلها .

زليخه خلال كل هذا المشهد تشخر . ام وسيم توقف

زليخه)

ام وسيم — زليخه ، انهضي يا بقره ، انهضي

زليخة — (نصف واعية) ظل القمر ...

ام وسيم — (هامة) اسمعي ، الضابط والجنود سيدخلون علينا

ليفتشوا المنزل . وسيم محتبي ، بهذا الدهليز (تشير الى

الدهلين (اياك ان تجبري الضابط ان وسيم هناك ،
أفهمت ؟ اياك ان تدلي الجنود على مجباه ، فهمت ؟

زليخة — فهمت !

ام وسيم — اين مفتاح الدهلين ؟

زليخة — (تقطع المفتاح من خيط علقته بربطها وتعطيه لام وسيم)

ام وسيم — (بصوت عال) افتحي الباب لحضرة السرجان .
(يدخل السرجان وجنود فيتفرقون)

الضابط — نريد وسيم .

ام وسيم — لا ادري اين هو ، لم أرَ وجهه منذ الحادثة .

الضابط — أريد وسيم .

ام وسيم — قتش البيت . احلف لك انه ليس هنا .

الضابط — (للجنود) قتشوا البيت (يتفرقون) (زليخة) اين
وسيم يا زليخة ؟

زليخة — هاه !

الضابط — (يرم يدها) أين وسيم ؟ قولي والا سحقته عظامك .

زليخة — في الدهلين . في الدهلين يا افندي (مشيرة اليه) هنا .

الضابط — (يصفر فيجتمع الجنود • يخاطبهم) وسيم هنا . خذوا

حذر كم . (يكشف عن الدهليز فيراه مغفلاً) ابن المفتاح ؟

زليخة -- مع ام وسيم .

ام وسيم -- (تترع المفتاح من عيها فتبلمعه وتصيح) شقوني وخذوا المفتاح .

الضابط -- سنكسره . (بينما يكسرون قفل الدهليز ام وسيم تتضرع للضابط)

ام وسيم -- بربك يا سرجان لا تطلق الرصاص على ابني . لا تقبض عليه . انهم يشنقونه في بيروت (كانها تخاطب ابنها داخل الدهليز) وسيم ابني تجلد . لا تقاتل الجنود فهم مسلحون . لا تحاول الهرب فقد يطلقون الرصاص عليك . بني تجلد . (وفيما هم يكسرون القفل يرفعون الباب ثم يصطفون حول الدهليز بشكل دائرة وبواريدهم مصوبة نحو الدهليز . ينحدر احدهم شاهراً المدس) (سكوت رهيب)

الضابط -- هل قبضت عليه ؟ (خارج من الدهليز وفي يده ديك) قبضت على هذا .

الضابط -- إذاً فقد ضللتنا ام وسيم لتسهل سبيل الفرار له . لماذا خدعتنا يا ام وسيم ؟

ام وسيم -- لأنني ام وسيم .

ينزل الستار

الفصل الثاني

المشهد الأول

(بعد عشر سنوات • بلاد غرانبلا • يرتفع الستار عن مكتب تجاري يظهر ان اصحابه تجار بالجملة اذ تناثرت في جوانب المكتب مساطر البضائع من • مثل كاسات ، برانيط ، احذية ، اقشّة ، صحون ، ملاعق ، شاسي ، ابيض (أرضيه) الخ . . . بواجه النظارة رقعتان الاولى عربية كتبت بحروف هائلة « الدين هو المعاملة » والثانية انكليزية بنفس قياس الحروف العربية :

« Light gains make heavy purses »

« Money is made on turnover and lost on leftover. »

على يمين النظارة صندوق حديدي • وفي المكتب طاولة كبرى ، وثانية صغرى للماكنة الطابعة • والان راجي يطبع على الماكنة بسرعة ووفرة وغضب • على يسار النظارة كرة عظمى ، هي كرة الدنيا يلعبها وسم مدمدا اغنية ووسم بعكس راجي يظهر ان الدنيا مروقة معه • بين مساطر البضائع

نحو خمسين رزمة مختلفة الاحجام تلفها اوراق زاهية ، وشرائط ملونة ، كالرزم التي يتبادلها الاصدقاء في الاعياد . الوقت اول السهرة . خلف الكرة الارضية مرآة كبرى)

وسيم — (اذ هو يداعب الكرة الارضية ويقبس بمسطرة صغيره)

أوووف . أتدري يا استاذ ان بيننا وبين بيروت سبعة آلاف ميل !!! أحسب ! هجرنا بيروت منذ عشر سنوات . عشر سنوات غربه . والآن بيننا وبينها سبعة الاف ميل . اذا ضربنا عشر سنوات طوالاً بسبعة آلاف ميل أتدري ما هو الجواب يا استاذ ؟ (يتقدم من المرآة فيتطلع الى شعره) الجواب ١٤٣١ شعرة بيضاء (متأوهاً) ونفس حزينة ! (لا جواب من راجي) . ما بال الاستاذ مشوّمًا ؟ هذه الليلة ؟ (لا جواب) (وسيم يتناول حزمة جرائد عربية فيفتحها مدممًا اغنية ويقلب صحيفة)

وسيم — هالله هالله يا دنيا !! احزروا من هو حاكم طبريا اليوم (يقرأ) : قدم بيروت لترويج النفس الاستاذ الاكبر رفله وهاب ... (متهمًا) — رفله وهاب صار حاكم . خبر ثانٍ اسمع يا استاذ :

(١) شوّم — اسرف في الاعراض نسبة الى بلاد الشام اذ اضرب سكانها وقاطنوا حكومتهم حتى نالوا معاهدة الاستقلال مع فرنسا . يقابلها في العامية برطم . شفت الخ ...

« ستكون حفلة الشهداء هذه السنة تحت رعاية معالي وهيب باشا سعادته » (مقهيًا) وهيب سعادته صار باشا وصاحب معالي .. كل أولاد صفنا . كل رفاق تلك الشجرة صاروا ذوات إلا أنت وأنا نبيع كلسات .. حفلة الشهداء !! (متذكراً) تراههم اذكرون من نظم أول حفلة للشهداء . ما اجمل ان تسمي بيّاع كلسات بعد ان تقود المواكب !! (يمزق الجريدة) اووف لماذا يطبعون هذه الاوراق (يعود للمقهيّة) رفله وهاب حاكم . وهيب سعادته صاحب المعالي .

— إذا كنت تفتش عن شيء يضحك فتطلع بهذه المرأة . رامي

— احمد الله الذي انطقك اخيراً يا استاذ . من الضروري ان يتطلع الانسان بالمرأة مرة بالنهار ثم يضحك . (مخاطباً المرأة) صار عمرك ٣١ سنة . ما شأنك بالحياة ؟ اخترعت آلة ؟ لا . اكتشفت بحيرة ؟ لا . الّفت كتاباً ؟ لا . افتتحت مستعمرة ؟ لا . من انت ؟ لا شيء . وسيم

انت العود بالزبيب
انت الشمس بعد المغيب

انت العرض بتلّ أيب

انت لا شيء

انت حفلة خطابية

انت بضاعة يابانية

انت معاهدة دولية

انت لا شيء

انت اسفنجة معصورة

انت كمبيالة غير ممهورة

انت قنينة مكسورة

انت لا شيء

(يصدق على المرأة)

— (مصففاً) فليحيى الخطيب . صدق الخطيب .

راجي

(يتقدم وسيم من الرزمة الملونة يقلبها متمتاً الاسماء التي

عليها ، مخاطباً راجي)

— ليس بين الهدايا هدية لانيس سعادة

وسيم

— ناولني الدواة (يتاوله دواة زرقاء) الدواة

راجي

الجراء يا حـ... الحمد لله عندما نعمل ميزانية السنة

لا نحتاج إلا الى الاحمر من الجبر .

— ما رأي الاستاذ في هدية لانيس سعادته ؟

وسيم

— (حائفاً) ارسل له اصبع ديناميت . ارسل لهم كلهم

راجي

اصابع ديناميت . هؤلاء « الاصدقاء » الذين ربيتهم
 في هذه البلاد . لا تدري اي معتوه تجعل من
 نفسك اذ تغدق الهدايا على هؤلاء النصابين .
 (متهمك آخذاً رزمة بعد رزمة كأنه مناوئها لاصحابها)
 كل عام وانتم بخير هدية صغيرة لاختي نبيه النجار .
 كل عام وانتم بخير هدية صغيرة لاختي فؤاد ابوهنا .
 كل عام وانتم بخير هدية صغيرة لاختي سعيد الشركسي
 (ياخذ غلاماً الأصبص (الارضيه) فيضربه بها ويصيح :
 كل عام وانتم بخير .

— ألا تعتقد يا استاذ انك تجعل من الحبة قبة . فكل
 هذه الهدايا لا تبلغ قيمتها المئة ريال ولم اشتوها
 على حساب المحل بل على حسابي الخاص . وانه
 لجمل ان يهدي الانسان اشياء ولو تافهة في عيد
 رأس السنة ؟ ألا تعتقد يا استاذ ان لهجتك الحادة
 لا تليق بليلة رأس السنة .

— رأس السنة وذنبا سبان . أتخسب اننا في ليلة عيد؟
 انظر الى حسابات المحل وانظر الى اين صرفنا بعد
 غربة عشر سنوات (ينتزع الورقة من الماكينة ويقرأ فيها)
 ثقبنا دين للبنك خمسة وعشرون الف ريال . المحل
 ١٤٠٠٠٠ مرهون لفرج الله العسلي بخمسين الف ريال . أي
 علينا ٧٥ الف ريال . عندنا في البنك خمسة الاف

ريال . لنا على الناس دين ٤٦ الف ريال - ستري
وجه ربك قبل ان ترى منها فلساً . وتقبض على
قوس القزح قبل ان تقبض منها ريالا . عندنا
بضائع بـ ٢٤ الف ريال . اي ان مجموع ما علينا
٧٥ الف ريال ومجموع ما عندنا ٢٩ الف ريال .
كل عام وانتم بخير .

وسيم — لكل حديث زمان . والليلة ليلة عيد . ليلة رقص
يابومة . ومرح . وههجة . فاترك نعيبك الى ليلة ثانية .

راجي — ليلة رقص ؟! اليوم استحق رهن فرج الله العسلي .
اراهنك انه قبل ان يطلع وجه الصباح سيطلع
وجه فرج الله ويقول « ادفع او احجز » .

وسيم — فرج الله رجل شريف ...
راجي — كل انسان هو رجل شريف حتى تتمكن يده
من عنقك .

وسيم — تزيد له الفائدة . ندفع له ٢٤ بالئة بدلا من ١٨
بالئة فيسكت الى ان تمر هذه الازمة .

راجي — ما أشد تفاؤلك . لو كنت في سفينة نوح لسبقت
الحمامة الى غصن الزيتون . فرج الله لا يشبعه الا
المال وليس عندنا من المال الا الخمسة الاف في البنك

وهذه (يفتح الصندوق) السبعة ريالات و ١٥ سنتيم .

وسيم — ودوآنا رشيد؟! آف له ان يرجع من البر .

بدون ريب جمع عشرة الاف ريال نرضي بها البنك

رامي — اذا رجع الدوآر بالف ريال اركبك على ظهري

الف ميل .

وسيم — تركبي على ظهرك؟ « من قال لك اني اركب حمير؟ »

رامي — غرانبلا . غرانبلا . ما الذي اغراك بهذه البلاد؟

قلت لك تعال نهرب الى بلاد متمدنة — باريس .

نيويورك . لندن . لا . لا تريد الا اميركا الوسطى

غرانبلا . انظر الى هذا المكتب بل الى هذا

القصر الذي يحبسنا منذ عشرة اعوام . نعيش مع

القذارة . ونعجز بالقذارة . ونعاشر القذارة . والآن

الافلاس . وماذا انت فاعل لحل هذه المعضلة؟

تريد ان تفرق الهدايا . وتدعو اصدقاءك الى وليمة .

وتذهب الى مرقص الحاكم متنكراً بثوب بدوي .

نعم التاجر ، والمفكر انت . كل اخلاقك اخلاق

بدوي . ولا اعرف انه نبغ من البدو تجار .

وسيم — راجي انت طفل . والطفل متى واجه المصاعب لا

رامي . يفعل شيئاً الا البكاء (يتباكى) راجي ...

راجي — لا تنادني « راجي » ألم تفهم بعد ؟ أتريد ان

تريد مصائبنا مصيبة ان يفتضح امرنا لدى البوليس ؟

أتريد ان يفتك بك ابناء الحمصي ؟ هؤلاء المواطنون

اذ هاجروا البلاد هاجرت معهم احقادهم . لا تنس

ذلك يا غبي ، ألم تتعلم بعد ان اسمي سليم الصيداوي

واسمك سلوم الصيداوي ونحن اخوان وتجارتنا

« صيداوي اخوان » . تجارتنا ؟ ! طابق افلاسنا

اعني . (برن التلفون فيجواب راجي) هاو . هاي .

(متهمًا) ها . ها . ها . كل عام وانتم بخير .

اما بعد ... انا سلوم وانا سليم وانا كل عائلة

الصيداوي . ولماذا لا تعرفنا الى لون عملتك قبل

ان تطلب كلسات من جديد . (وسيم يخطف التلفون

من راجي) .

وسيم — (بلطف) سليم يكلمك يا نبيه . كل عام وانت

بخير يا نبيه . اربعين دزينة كلسات ؟ تكرم .

عشر دزينات صبايط ؟

راجي — الصبايط على الراس والعين (وسيم يسد فم التلفون

بكفه) يا نصّاب .

وسيم — (على التلفون) الحساب لا يهم . لا تنس ان تحضر

العشاء عندنا هذه الليلة . (يقفل التلفون) .

رامي — حسابه عمره سنه ويطلب بضاعة . يطلب بضاعة في
٣١ كانون الثاني . لماذا لا تنزع الغشاوة عن عينيك
فتري هؤلاء المحتارين .

وسيم — لأن الله خلقي ضعيف البصر . وخلقك ذا رأي
صائب ، وفكر ثاقب . رويدك راجي — سليم .
لا تحاول ان تحل كل مشاكل الدنيا هذه الليلة .
امرح هذه الليلة وغداً فكر .

رامي — من يخرج في الليل لا يفكر في النهار . والله اكاد
اجن . اعطني مورفين ، وكوكايين . ان اعصابي
تكاد تنقطع . اريد ان انطح السقف . ربي الى
اية حالة وصلنا . غربة ، وتنكر تحت اسم مستعار
والان افلاس . اهم في النهار مئة مرة ان اصبح
بالناس ما نحن باخوين . لسنا سلام وسليم
الصيداوي . نحن وسيم الجموي وراجي البيروني
ولتهبط السماء ولتنزل الارض . راجي البيروني
صار اسمه الصيداوي .

وسيم — وسيم الجموي صار اسمه سلام الصيداوي ؟! هذه
ليست المصيبة . المصيبة ان اصير اخاً لواحد
منك يا استاذ .

رامي — اهزأ وداعب . اشعر كأنك حجر مطحنة في عنقي .

وسيم — الا تعلم ان الغضب دليل الخوف . وان الرجل
ثليثه زنة قول الرجل هو من يبصق في وجه العاصفة ؟

رامي — من بصق بوجه العاصفة ارتد بصافه الى وجهه .

وسيم — لا يقهر الحياة الا من هزأ بمصاعبها . ابتسم في
الازمة (يقف وقفه عسكرية) وقل لها تعالي . انا لك .

رامي — الحق معك . في الحرب العظمى ، جندي جاءته

الازمة متسربة ثوب قبلة فابتسم لها (مقنناً وسيم)
وصاح تعالي انا لك .

وسيم — صحيح ؟ ما اسم ذلك البطل ؟

رامي — صاو اسمه الجندي المجهول .

(يرن التلفون فيركض اليه رامي)

رامي — اب . اب . اب . انا بييب . مرحباً رشيد .

أهلب كلب . لبلبلب . نحن بانتظارك يا رشيد

(يقفل التلفون) كل عام وانتم بخير . جاء رشيدك .

(كمن اثبتق على عقله نور فكر جديد) وسيم ، قل

لي لماذا انت قوَّار المرح هذه الليلة ؟ رأس السنة ؟

لا اصدق . رأس السنة وحدها لا تهزك بمثل هذا

الفرح .

وسيم — ها . ها . ها . الان بدأت تبهرن ان الذي بين

ولبقا لك هو راس انسان وليس راس بطيخ .

راجي — ساره ؟

وسيم — ساره .

لانا — ساره .

راجي — وهل رضيت امها عن زواجها منك بدون ان

تعرف دينك (مستعظماً) أخبرني ماذا جرى .

وسيم — (يسكت ضاحكاً فيضرع له راجي) أتريد ان

تسمع الخبر ؟

راجي — قد قل لي فكلّني اذان .

وسيم — وهل لكّك السنة ؟

راجي — (يمد لسانه فيجمل انه قطعه فرماه ويتكتف مدعماً

كلاخرس) .

وسيم — قطعت لسانك وصرت اخرس اذاً فاخبرك بما جرى .

تزوجنا منذ اربع ساعات — زواجاً مدنياً عند

القاضي . سيبقى هذا الزواج سرّاً .

راجي — (فرحاً . يقبله) عرس كهربائي هاه . ! كل عام

وانتم بخير . انظروا لي قصيدة فاني اريد ان اهنئك :
« والحب نقاد على كفته جواهر يختار منها القباح »

— سانتقل الى اللوكندة . انت وساره عيشا هنا . راهبي

— لا . ستبقى انت هنا كما انت . فساره تعيش مع
امها وانا اعيش هنا . وسيم

— هاه ؟! تزوجت وانت تعيش هنا ، وساره تعيش
هناك ؟ هاه . راهبي

— هاه . وهاه . وهاه . ان مخطبتك يا استاذ تحتاج الى
قليل من جامض الفتيك . هذا زواج عذري . وسيم

— (مدهوشاً) سمعت بالهوى العذري والان اتعرف الى
الزواج العذري ، وكل عمري اعتقد ان الحب هو
عذر للزواج . (التلفون يرن فيسرع اليه راجي) راهبي

— (سماعه التلفون على اذنه - الى وسيم) هذه جوليت
يا روميو . هلو ساره . الان اخبرني سلوم بالحادثة
يعني الزواج « علوّ في الحياة وفي الزواج » يعني كل
عام وعندكم توأم بنات (وسيم يدفعه ويخطف التلفون منه)
هذه ليلاك يا مجنون . وسيم

— هلو ساره . لا ، لا ، ليس من احد هنا . سليم هنا
يعني ما في أحد . ثوبي جاهز . سألبس العقال وسيم

واكون بدوياً يا زينب . لا تلسي ان البدويات
يكتحلن . صبرك فارى ورقة الدعوة (يفتش ويفتش
فلا يجدها) أين ورقة الدعوة يا استاذ ؟

— تحت عينيك يا روميو (مشيراً الى مغلف قريب من وسيم)
حقاً ان الحب اعمى

وسيم — (يرجع الى التلفون) الساعة التاسعة يبدأ الرقص
فاسرعي . اسرعي . سأكون حاضراً اذ تمرين .
(يقبلها على التلفون ويرقص بينما راجي ينمض عينيه ويقفل
أذنيه ثم يتطلع الى السماء ويقول)

— الطقس جميل هذه الليلة يا وسيم !

وسيم — الحب . الحب . يا استاذ . اتدري ما هو الحب ؟ أما
تحسّ ان في قلبك اجنحة ؟

راجي — احسّ ان في قدمي مرساة .

وسيم — أما تحسّ هذه الرعشة تهزّ جوانحك ؟

راجي — نو سنيور .

وسيم — وهذه البهجة تصبغ الدنيا امام عينيك بألوان زاهية ؟

راجي — نو سنيور .

وسيم — وديب الحياة حارّ في عروقك كأنك تغتسل في

تلميذا نا شلال من شعاع ؟!

— نو سنيور .
راجي

— والفرح يغمر رأسك وقلبك .
وسيم

— نو سنيور وعدا ذلك فليس لي رأس ولا قلب .
راجي

— اجلس هنا . سمر نفسك الى هذا المقعد واجمع
وسيم

واطرح واحسب وانقلق . فانا مختل الى نفسي
فلا ن فكر علي عزلي . ان الالهام يغشاني ثانية .
انا في الجنة من جديد .

— خذ البرنيطة والعصا (يتناولها وسيم من راجي) .
راجي

— ان روايتي ستم . ان طيفها يتبعني هذه العشرة
وسيم

اعوام كطفلة عاجزة تناديني مستنجدة : « لماذا
وأدنتي يا ابي ؟ » .

— وان طيف ثروتي الصغيرة يتبعني كطفلة تقول لماذا دفنتني
راجي

يا ابي فاجيبها اسألني عمك (مشيراً الى وسيم) يلعن
اباك (مشيراً الى نفسه) .

(وسيم ينصرف الى الغرفة التي الى يسار النظارة . راجي
ينترع كتاب الاغاني من بين المساطر) .

— (مخاطباً الكتاب) كل مصائبنا جاءت منك . لماذا
راجي

لم يحرقوك مع مكتبة الاسكندرية؟ (يقرأ) « دخل
صعلوك على الامير جان فالجان فقال بونجور قال
الامير خذ بنطلوني وسترتي ورطلاً من لحيتي »
(يدخل رشيد حاراً حقيبة هائلة هي حقيبة المساطر) .

رشيد — م . م . م . م . مساء الخير .

رامي — اسعد الله مساء الامير رشيد (افرفة وسيم) يا مسيو
عبدالله بن المقفع . يا ابا القاسم غوستاف لوبون .
يا ابا جوزف الاخشيدي . يا كاتب الكتاب وشاعر
الشعراء ، ومفقوع المفايع (وسيم بطل) في الباب
رسول يامولاي يحمل الهدايا من الرعية (يفتح الصندوق)
فلننظف الصندوق (الى رشيد) ناوولني اوراق
الالف ريال اولاً .

وسيم — مرحباً رشيد كم جمعت ؟

رشيد — ج . ج . ج . ج . جمعت . لا . لا . لا . شي .

رامي — برافو كنت اخاف ان تجمع اقل من هذا .

وسيم — (لأول مرة يمس ويظهر الهم) كفى هزلاً كفى .

كم تبلغ قائمة الديون التي اعطيتها اياها ؟

رامي — (يفتح الدفتر) ٢٥،٣٢٠ ريالاً . من اليسار الى

اليمين — اثنان ، خمسة ، ٣ ، ٢ ، صفر . قبض

راحمه (آه) السفر الثانية يقبض الباقي .

وسيم لماذا لم تقبض يا رشيد ؟

رشيد لأن . از . از . انهم ما دفعوا .

راحمي — سبب معقول . لو دفعوا كان قبض امر جلي

واضح شفاف كالوحدل .

وسيم — (مفكر مبهوماً متمشياً) اترك هذه (مشيراً الى الحقيقة)

جاهزة . انا مسافر هذه الليلة .

رشيد — البحر كبير والعاصفة . تش . تش . تش . تشدد .

وسيم — البحر كبير هاه ؟؟ العاصفة تشدد هاه ؟! (يسمع

اربع صفرات طويلة) .

راحمي — علامة الخطر ثمرو ٤ .

وسيم — علامة الخطر ثمرو اربعة هاه ؟! ابقى الشئنة مضبوكة .

الليلة اسافر بعد سهرة الرقص واريك يا استاذ

كم اجمع وكم ابيع .

رشيد — هاني الارناؤوطي يقول ما لكم عليه دين

راحمي — حينما اردت ان اجعله يمضي الفاتوره صاح ابو الحسن

موليير (مشيراً الى وسيم) لا لزوم . لا لزوم

وسيم — هذا غير صحيح . الآن اريك الفاتورة وعليها الامضاء .

(يفتح السجل « هاني الارناؤوطي » « هاني الارناؤوطي » بعد ان يفتش ويفتش فلا يجده) اين وضعت اسمه يا سليم ؟ لم اجده تحت الهمة ولا تحت الماء فاين هو ؟

راهمي — تحت حرف الكاف .

وسيم — هاني الارناؤوطي اما همزة او هاء . فلماذا وضعته تحت حرف الكاف ؟

راهمي — لانه كلب ابن كلب . مع الاعتذار للكلاب .

وسيم — (يطلع السجل غاضبا) رشيد . كل عام وانت بخير

(يفتح الصندوق) خذ هذه السبعة ريات والكم سنتيم عيديتك . لا ياخذ على خاطرك فشلك في هذه السفارة فالدنيا كلها في أزمة هائلة .

رشيد — بخا . خا . خا . خاطركم (ينصرف)

راهمي — ليتك اعطيته تشاك بالمبلغ فقد تحتاج الى النقود هذه الليلة .

وسيم — رح انظر الى دفتر الشكايات تعرف لماذا لم اعطه تشاك .

راهمي — (يفتح الصندوق الخديدي وياخذ دفتر الشكايات ويصيح)

وسيم . وسيم . ماذا فعلت ؟ ابن الخمسة الاف

ريال ؟

وسيم — اشتريت بها اسهماً في معدن الذهب .

راجي — من ذلك النصاب وطسن ؟

وسيم — من ذلك النصاب وطسن .

راجي — الذهب الذي فوق الارض لم نحصل عليه فهل نظفر

بالذهب الذي تحت الارض .

(وسيم يأخذ كتاب الاغاني ويقاب صفحاته)

وسيم — سأحاول الفوز فوق الارض وتحتها — وكل فشل

جديد يثير محاولة جديدة .

راجي — (من الكتاب) « دخل جبلة بن الايهم على يحيى بن

يزيد . فقال السلام عليكم . اجاب يحيى ابيت

اللعن خذ برنيطتي وبنطاوني . وذبح له الانعام »

وسيم — (يثور) اخرس . كفاك هزءاً كفى . تتحرق على

التستر باسم مستعار كأنني انا التذ بان اخسر حتى

اسمي واستبدله باسم سليم الصيداوي . تبكي ضياح

ثروة كأنه لم يكن لي نصفها وكانك كسبتها

وحدك . من جمع الثروة يا راجي ؟ من هزأ

بالاخطار ؟ من نام بين اجلاف الناس ومشى

الكيلوات حافي القدمين ، دامي القدمين ؟ هل
مرّت زوبعة خلال العشر سنوات الماضية ولم
انقلب بين اشداقها في عرض البحر ؟

— انا لا اقول انك لم تشق .

رامي

وسيم — من اخترع اساليب تجارية لم يعرفها اولاد العرب
قبلنا ؟ كم مرة قال لي الدكتور نجيب لا تجهد
عينيك والا تعمى — ويشهد الله اني ما زلت اجهد
عيني وانى لا اخاف العمى . اليوم الفوز تسكت ،
ويوم الفشل تهزأ ؟ اصفعني ، قوّسني ، ولكن
لا تهكم عليّ — الهزء ، الهزء انه يحزني حتى العظام .

رامي — انا لا الومك يا وسيم . الوم ثقّتك بالناس . الوم
المدوسة التي علمتك ان لا تكون لصاً ، ولم تقل
حذار . فالدنيا ملاءى بالصوص . الوم البيئة التي
انشأتك جواداً على الغير ، بجلاً على نفسك . الوم
من ربك ولم يعلمك الانانية ، وعدة النجاح هي
الانانية . الوم الكتب التي غمرتك بالشرف ، والمرؤة ،
والمعروف — ادوات انتحار في دنيا فقدت الشرف
والمروءة والمعروف .

وسيم — ولا تحسبني جئت اقامر بحياتك وباموالك واموال
دائنيننا . (يأخذ من يده بوليصة سوكرة حياة) انت

لماذا لم تراه هذه بعد (يفتحها) انظر ان حياتي مضمونة
بمئة الف دولار . افهمت ؟ (يتشغل من جيبه مسدساً)
وان ضغطة من سبائتي تدفع لك ولدائنا . افهمت ؟
الحياة جميلة وغالية ، ولكني اطرحها كزجاجة
مكسورة ، متى دعا الداعي . صار دعابك لازعاً .
احس ان قد انفتح بينك وبينني واد عميق .

— (متفتياً) واد ؟ اعمل زنودي جسر ، وبقطعك ايّاً .
يتطلع اواحد بالآخر لحظة ثم يصيحان معاً « ولا ! » .
ويتعانقان مغمغمين) .

راجبي — يلعن دين الغضب .
وسيم — يلعن دين النفرة .

(راجبي يذق على خزانة صغيرة مخاطباً اباه « يا جابر
المكسور ، وصديق المخدول ، في الباب اخوان ، اليك
يلتجئان » يتنزع قنينة) في لبنان ينتخبون ملكة
للجمال . هذه ملكة القنوط يشربان

— اصحح ان بيني وبينك وادياً ؟
وسيم — اصحح انني في رقبتك حجر مطحنة ؟

راجبي — ها انا اقطع الحجر (يتنزل امة يقطع حبلاً من عنقه)
تدحرج الحجر للناس وشي

وسيم — وسدّ الوادي .

وسيم — ما اجمل الدنيا اذا نظرت اليها من خلال كأس . .

راهي — حقاً انها وهاجة جميلة .

وسيم — خطر على بالي امر .

راهي — ما هو ؟

وسيم — تعال نستشر الدكتور نجيب بجالتنا .

راهي — هذا أول رأي صائب خطر على بالك هذه السنة .

وسيم — تعال نخبره بامورنا المالية .

راهي = وامورنا - امورك - الغرامية . تعال نخبره بكل شيء .

وسيم = انا اثق بالدكتور نجيب .

راهي = انا لا اثق إلا به - وبنفسي (بعد تردد) لا . لا اثق

بنفسي كثيراً . على كل حال ان امر زواجك

سيعرف يوماً من الايام . وهدي حماك ستقيم

الارض وتقعدها . ومن يدري فقد يفتضح امرنا

كذلك . تعال نخبره بجائحة وادي الارز ايضاً .

وسيم — نخبره بكل شيء . أي نبيل هذا الرجل !

راجہ

کاس الدکتور نجیب . کاس الافلاس .

وسیم

— متى وصلت الى الكاس الخامسة انتصب امام عيني

و بسم

قصران في راس بيروت . انا وساره في قصر . وانت -

وانت ومن؟

راہی

— أنا ونفسي .

وہم

— أَلن تتزوج ؟

راجہ

— انا اتزوج ؟ معاذ الله . الله خلقي اعزب وسأبقى

اعزب .

و

— باسم جمعية النشوء والارتقاء اشكرك . هل تريد

ان يكون للقصر جنينة ؟

عربی

— طبعاً جنية . فيها اشجار التفاح والليمون .

و

— والerman ، والحوخ .

راجی

— واشجار معرفة الخير والشر .

و

— وانا عندي ولد وحيد - صبي . هاه !!

اجبی

— صبي الله يخليه . اسمه ابو الفرج . وَقِفْ . اذا صار

عندك صبي ، فانا سأقتني كلباً !

ولماذا ؟

ليحمي الجنيّة من ولدك !

رد كلبك عن ابني .

رد ابنك عن جنيّتي .

الكلب .

الصبي .

الكلب .

الصبي .

(يدخل الدكتور مخيب باسمًا)

الدكتور مخيب — من هو الصبي ومن هو الكلب ؟

انا الصبي يا دكتور .

(مضافاً) كل عام وانت بخير يا دكتور .

طبعاً لا تريد ان تشاركنا بكأس . فما رأيك

بفنجان قهوة صغير (مشيراً بيديه ان الفنجان كبير

من تلك الفناجين التي نجها ؟

الدكتور — لا وقت عندي حتى للقهوة . فقد تركت المستشفى لحظة حتى اعابذكم وحتى (يشد أذني وسيم) ارى هذا المتمرد على الطب اذا كان قد لبس النظارتين . هل تريد ان تلبس النظارتين . ام اطيل هاتين الاذنين ؟

وسيم — آخ العفو يا دكتور . سالبس النظارتين وحتى هذين الشاربين (يميل اشارة كأنه يحلف بشاربيه وهو حليق) امهلني للسنة القادمة . بيننا وبينها بضع ساعات .

الدكتور — السنة القادمة ! كل صعب مؤجل . هذا آخر انذار . لا تأجيل بعد غد . حالة عينيك يا سلام ليست من الامور التي يستهان بها . افهمت (يقاب جنفي عينيه ففحصهما) (ويهز رأسه ويقول) يلزمك معالجة . تعال اليّ في المستشفى مرة كل يومين (يرن التلفون . فيسرع راجي اليه) .

راجي — هلو . أو يا دكتور تلفون من المستشفى . (ينما الدكتور يتكلم على التلفون بصوت غير مسموع . راجي ووسيم يرجعان القنينة والكاسين الى الخزانة . الدكتور يرجع المصفاة) .

الدكتور — سألي مدير البوليس اليوم عن شخص اسمه وسيم

الحموي مطلوب من بيروت بتهمة قتل طعان الحمصي ،
اخى خطيبك يا سلوم . غريب ما اصغر هذه الدنيا !
كنت في « وادي الارز » يوم الحادثة ، وقد
كتبت انا تقرير الموت بيدي (تلفون . راجي يجيبه)
راجي — دكتور . الممرضة تقول وصلك اربع بوقيات من
حين تركت .

الدكتور — اسألها ان تفتح التلغرافات وتخبرني اذا كان فيها
شيء مهم . (يعود الى التطلع بعيني وسيم . راجي يغازل
الممرضة على التلفون ويظهر انها اهاتته فيرمي الساعة من
يدها كأنها حجرة وبصبح « دكتور الممرضة تريد ان
تكلمك انت » . فيذهب الدكتور الى التلفون بينما يرجع
راجي الى وسيم) .
(راجي ووسيم يتهاوسان) .

راجي — تعال نخبره الان .
وسيم — اريد ان ازحزح هذا الحمل عن صدري (يرجع
الدكتور) .

الدكتور — اين السهرة هذه الليلة ؟
وسيم — ساذهب وساره الى بيت الحاكم .

الدكتور — صحيح . ليلة راقصة متنكرة . ماذا تلبسان .

وسيم -- بدوية وبدوي .

الدكتور -- (يذكرك) وانت يا سليم ؟

راجي -- أنا سيدة المنزل . ساستقبل المواطنين اولاد العرب ونحي ليلة صحابة هنا .

الدكتور . -- (وسيم) يسرني انك تحضر المراقص . لو ان المواطنين يوقضون . ويلعبون العولف والبردج لكان لنا في هذه البلاد مقام اجتماعي .

راجي -- مقامك الاجتماعي يعني

الدكتور -- لا تخاف الوصية الحادية عشرة .

وسيم -- ما هي الوصية الحادية عشر .

الدكتور -- لا تمسح جوخ ' .

(التلفون يرن . راجي يجيب خائفاً ان تكون الممرضة . قبل ان يرفع السماعة) .

راجي -- (الى وسيم) أمن الضروري ان أجيب على التلفون

انا دائماً ؟ (واخيراً يشجع نفسه فيرفع السماعة ويحك

اذنه كاذباً غله (سمعها) المستشفى يا دكتور (الدكتور

(١) - تعبير يبروتي معناه لا تتعلق . في غير بيروت يمكن استبدال

هذا التعبير اما باصطلاح محلي او بر لا تبالغ .

يذهب الى التلّون فيتكلم بصوت غير مسمع) .

— اَجَلًا .

— ان هذا الكتان يشويني . لنفرغ له اسرارنا هذه الليلة

(يرجع الدكتور) .

— لنا معك حديث طويل .

— يا حكيم ان الناس تأمنك على ارواحها ...

اذكر الوصية الحادية عشرة

(تلفون . يجيبه راجي بعد ان يتردد . وكأنه سمع

خبراً هاماً)

— اسرع يا دكتور . امرأة كامل الاميوني تستنجد بك .

زوجها انتحل في دكانه .

— بخاطركم نمتحدث ساعة ثانية (يترك بسرعة . وقبل

ان يخرج يكاد يصطدم بفرج الله الذي يقول ليلة سعيدة

ولا يا دكتور . فلا يجيبه هذا)

— اهلاً بفرج الله (على خدة) وألعن خلق الله .

— هو ! فرج الله ؟ !

فرج الله — كل عام وانتم بخير يا احبائي (يتقدم الى وسيم ثم

الى راجي فيقبهما : كل عام وانتم بخير .) (راجي

يفجس مندليه بالويسكي ويمسح مكان القبة) كامل الاميوني

انتحر (يضحك ضحكة سادية (١) فتش عن

الدولار . يربح عشرة ويصرف عشرين . الآخرة

انتحار . (يرجع الى القهقهة) الصحيح استقنا .

كيف حالكم ؟

— حالنا نصفه ملعون ، والنصف الثاني العن .

راجي

فرج الله — سلوم دائماً يجب الولدنه . عساك تبقى فرح القلب

يا حبيبي (يقبله ثانية فيمسح راجي مكان القبة ثانية)

سلوم . مالك كئيباً ؟ لا تخف الأزمة خاتمة في كل

مكان . الناس كالشجر تعري وتكتسى . الدنيا

فور وغور .

— فرج الله — قل لي ، هل اتيت بسبب الرهن ؟

وسيم

فرج الله — الرهن . لا والله العظيم . بشرفي . بديني . بروحة امي .

بعرض اخي نبيهه . اني لا أهتم بالرهن مطلقاً .

وحياة عينيك . وحياة الحبز والملح الذي بيننا

كنت في طريقي الى العاصمة فقلت لأمرن بشقيبتي

روحي سليم وسلوم . الصحيح ان الحالة التجارية

(١) - لا اعلم هل في العربية لفظة Sadisme ولعل سادية .

سادي ، تعريب لا بأس به او لعل لفظة تعذيب (من استلذ - التمتع)

ترضي المحافظين .

تعسة جداً !

رامي — آنت تشكو من الحالة التجارية ايضاً ؟

فرج الله — أتحسب اني بمنجى من هذه الازمة ؟ وحياة عينيك .

بشر في . بدني . برحمة امي . بعرض اخي نبيهه .
اني خسران . خسران . خسران .

رامي — يعني بدلا من ان يكون عندك خمسة ملايين صاروا

اربعة ملايين ونصف ؟!

فرج الله — (الى وسيم) ما رأيك في هذه الحالة يا حبيبي سلوم ؟

وسيم — رأيي بهذه الحالة مثل رأي مدير البوليس بصاحب
المحششة .

فرج الله — اذا سألتني رأيي اقول يا بني انك شاب ذكي . لم

ارَ في اولاد العرب منذ اتيت هذه البلاد لثلاثين

سنة خلت فتى دأب وشقي واشتغل مثلاً دأبت

انت وشقيت واشتغلت . ان قلبي يتفتت كلما

فكرت في امرك فوجدتك بعد جهاد عشر سنوات

تتدحرج الى هاوية الافلاس . سلوم لا تخدع نفسك .

تجارتكم في خراب .

وسيم — هذا صحيح .

فرج الله — انت مضحكة اولاد العرب اليوم . والذين كانوا
يصفقون لك بالامس هم اليوم يصفقرون .

وسيم — ان صغيرهم لا يهمني .

فرج الله -- انت طموح . اما الدنيا للظافر . للقوي . للغني .
فان انت فقدت الغنى والقوة فلن تكون ذا شأن
بين الناس ولو طبّلت لك الملائكة وهلت الشياطين

راهي — قرأت هذا الرأي في كتاب ثمنه خمسة قروش .

فرج الله — قرأته ولكنك لم تفهمه . لو انك فهمته . لو ان اخاك
سلوم فهمه ، لكنتم اليوم في غير هذه الحالة .
اليوم انتم شباب لا تفهمون حرقه الفقر . اذ ان
الفتوة حمقاء تستخف بكل شيء . ولكن متى نزلت
بكم الكهولة وكثرت زجاجات الادوية في غرفكم ،
وتطلعتم الى الشارع من زري نوافذكم فنظرت
الاجلاف يتصدرون السيارات الفخمة اذ ذاك
تذكرون صديقكم فرج الله وتقولون آه ..

وسيم — هل لك ان تفصح لنا عما تريد واكف نفسك
مؤونة التمهد .

فرج الله — لقد وجدت مستورياً لتجارتك يدفع لك ٢٠٠ الف

ريال نقداً . ومن هو هذا المشتري القبرصي ؟
فرج الله - اسمه ؟ ! اسمه شركة السكورتاه .

وسيم - يعني تريد ان تزيد الضمانة على بضائعنا ونحرق ؟

فرج الله -- اعني انك تريد الضمانة على بضائعك ثم تقطع شريط التلفون هكذا (يذهب الى التلفون ويمثل) وتصل الشريط بالبضائع ثم تذهب الى مكان ما فتنادي هذا التلفون فيتسبب Short circuit ويطير الشرر من الشريط ويحترق المحل . اترك التنفيذ اليّ ليس لك الا ان توافق على ما اقول . في الماضي كانوا يحرقون بالشمعة ولكنها موضة بطلت . اليوم Short circuit . ما اسمه بالعربي ؟

رامي - اي حريق من بعيد لبعيد ؟
فرج الله - اي نعم .

رامي - حريق عندي او افلاطوني . حب عندي . زواج عندي . حريق عندي .

وسيم - سمعت الكثير عن لؤمك والاعيبك وشرورك .
الآن اصدقها . ان هذا الفتى المائل امامك الذي

تشفق عليه من التدهور الى الافلاس ، يشفق عليك
من لظمة تطحن اسنانك ان لم تكبح رزاتي غضي .

فرج الله — على مهلك يا سلوم . والله اجبكما كأخوي .

راهي — الظاهر حضرتك وحيد .

فرج الله — بشرفي

فرج الله } بديني برحمة امي . بعرض اختي نبهه .
راهي

فرج الله — اني لا ابقي الا مصلحتكم . سلوم ! انظر الى ذلك

القصر الذي تتلأأ انواره . والى الاسهم النارية
التي تصعد الى السماء كأنها قافلة نيازك شدت الى
القمر الرحال — هذا قصر علوي اخوان . اتدري

ما مصدر هذه الابهة . وهذا النور ؟ (يشير عود
كبريت) هذا . من يعبرهم اليوم بما جرى امس ؟
من لا يبجل عظمتهم ؟ اي فتاة لا تحلم بالزواج
من احد الاخوة الخمسة . سلوم بينك وبين الغنى
شرارة نار .

راهي — (يتفنى) بينك وبين الغنى بصة نار .

فرج الله — كان لجمع المال موسم في هذه البلاد وولتي . يوم

كنا نشترى كيلو الساعات بربال ونبيع الواحدة
بخمسين ريالاً . أما اليوم فاهل هذه البلاد اشتر من
تجار حلب . لن تصل الى الغنى عن طريق التجارة .
— ولا اريد ان اصل على طريق اللصوصية .

فرج الله — لا تريدنا . هاه ؟ كلما اردت ان تمترك الدنيا
دولارات ، تضع فوق رأسك مظلة . حينما ترجع الى
البلاد هل يسألونك كيف جمعت المال ام كم جمعت
من المال ؟ واذا انت تربح من شركة الضمان هذه
الثروة -- تسرق من ؟ تسرق السارق . اذ ان اكبر
لصوص الدنيا هي شركات الضمان . فكّر بهذا
الامر ولا تدع ابناءً مزيفاً يجمع بعقلك . ان ماوى
الفقراء ملائى بالثقفين ، الاذكياء ، المجتهدين
الاشراف . انظر الى اسعد معصّب . كاتب ، شاعر ،
خطيب ، يحسن اربع لغات ويشغل عندي بمئة ريال
فى الشهر (يعود للقهوة) لا تنس — حينما تموت
يدفنون جثتك انت لا جثة سواك .

وسيم — كفى . كفى . ان منطقك يخيفني . ان مجرد
اقتراحك ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء يهين تربيتي
ومروئي . منطقك معقول . ولكن النفس الالبية
تطيع الطبع اكثر مما تطيع المنطق . لماذا لا تحرق

وتقبض ؟ ولماذا لا تتزوج اخنك نبيهه ؟ في وسعي
ان افعلك انه لا عار بزواج كهذا ؟ ان كل ما بيننا
وبينك من علاقة هو هذا الرهن نجدده ثم ندرس
علم الاجتماع على غير الاستاذ فرج الله .

— ندرسه على الاستاذ أي الفرج الاصباهي ، صاحب
كتاب الاغاني .

فرج الله — الرهن يجدد ؟ ! (يهقه) قد يكون هذا في كتاب
ابي الفرج ولكنه ليس في كتاب فرج الله متى
استحق الرهن بدفع الرهن ، هذا هو القانون .

وسيم — قانون الباب والمحب . ان كنت لا تحب ان تجدد
الرهن نضاعف لك الفائض .

فرج الله — تدفع قيمة الرهن والا احجز .
— يا فرج الله لا تضيق انفسنا .

وسيم — اذاً من اجل هذا جئت .

فرج الله — (نصف متهم) لا . جئت لاقول لكم كل عام
وانتم بخير . ولأهنتك بزواجك بساره .

وسيم — كيف عرفت بزواجي ؟ فقيد كتمت الخبر عن
جميع الناس .

فرج الله — سر النجاح ان تعرف ما لا يعرفه الناس .

وسيم — ألا تعرف شيئاً آخر لا يعرفه الناس ؟

فرج الله — أعرف ان البوليس يفتش عن وسيم الحموي وراجي البيروتي .

وسيم — هكذا اخبرنا الدكتور نجيب . وانت الا تعرف اكثر من هذا ؟!

فرج الله — (بمضى) رأس الحكمة ان لا تفشي كل ما تعرف .

اسمع جلبة . لعل ضيوفك قادمون . كل عام واتم

نجير . الدفع الدفع او الحجز . انما بينك وبين

الغنى (يضرب عود الكبريت فيشعل سيكرته) بصة فار .

وسيم — اخرج يا لص .

فرج الله — لا تغضب . الغضب دليل الخوف . انت لا ترى

الخطر لان الخطر ليس امامك بل هو راكب على

ظهرك (ينصرف)

راجي — لو كان هنالك طريقة ان نحرق دون ان نحترق .

وان نقبض دون ان تدفع الشركة لكنت اوافق

على هذا المشروع . ولكن مشاريع كهذه هي

ليست عذرية فقط بل فوق العذرية . Super عذري .

وسيم

— ارى الغيوم السوداء تتلبد . (جلبة وضحك)

راجي

— اقبل الضيوف . (يدخل ستة مهاجرين يلبس اكبرهم

السرة المقلدة حتى العنق . لبس بينهم تشابه كبير .
اكبرهم رجل اسمه عباس هائل الجثة . احدهم يضرب
على الدريكة وكلام يتقنون :)

مهما تفرنجنا منظر اغراب

مهما تبيلدنا منظر اغراب

وهما تقاتلنا منظر احباب

نحنا الاشاوسه

اولاد العرب

الهنا واحد ما مشترك فيه

يبرقنا واحد نتظلل فيه

عدونا واحد ماله منسيه

نحنا الاشاوسه

اولاد العرب

(ضوضاء وسلامات وكلام غير واضح وكل عام واتم

بخير الخ ..

وسيم نا اهل وسهلا يا اخوان . ارجو المعذرة منكم . اذ

انا ساترككم لاحضر الليلة المتكررة الراقصة عند

الحاكم . اخي سليم يبقى معكم ويخدمكم . اسمحوا

لي بان ادخل فاغير ثيابي .

مرآبر — باي ثوب ستنكر ؟

وسم — بثوب بدوي .

مرآبر — اذا لزم البدوي جل فعباس (مشيرا الى صاحب الجنة

الهاثة) حاضر . (وسم يضحك وينصرف)

رامي — أين شمدص يا شباب .

مرآبر ٢ — شمدص يكون هنا بعد هنية .

مرآبر ٣ — شمدص اعتمد الرجعة الى البلاد .

(يدخل شمدص)

شمدص — يا اخوان الرائحة عاطلة .

مرآبر — كنا نتحدث عنك . (اصوات هاي شمدص سيور

تشارلي جو .)

شمدص — مساء الخير . يا اخوان كل عام وانتم بخير . اذا

لزمكم خدمة للبلاد انا حاضر . باذن الله اسافر في

١٣ الشهر .

مرآبر ٤ — ما الذي جعلك تعتمد على السفر ؟

شمدص — تعبت من اسم « تشارلي جو » احن الى مناداة

الناس لي يا شمدص جهجاه .

مراهجر ٥ — هل ترجع حليقاً ، أم تري الشارب ؟

شمص

— سابقى حليقاً . لا شوارب .

كلهم يتغنون :

سافر بالشارب رجع بلاه

صار اسمه تشارلي شمدص جهجاه

— (على يده صينية هائلة ملاءى بالمشروبات) من منكم

راجي

عطشان ؟

— هاي .

كلهم

— انا اعطش من الاسفنجة .

مراهجر ١

— انا اقدر ان اشرب معمل بيده . في بطني حريقة .

مراهجر ٢

— انا اعطش من كيس رجل .

مراهجر ٣

— انا اكاد اشرب عطشي .

شمص

— اطفئوا عطشكم (راجي في هذا المجلس متأذب

راجي

ولكنه متقزز من هذا المرح) .

— شمدص . بما انك راجع الى البلاد (يسير به الى

مراهجر ٤

مقدم المرح) سلم على عمي حسن . وقل له الحال

عاطل فلا اقدر ان ارسل له دراهم . اعطه هذه الساعة وقلم الحبر (يناوله اياها ويرجع بينما شمدص

مشتغل بوضعهما في جيبه . يتقدم منه مهاجر ٣) .

مهاجر ٣ — سلم على ابي واعتذر عن عدم ارسال فلوس واعطه

هذه الهدية (قلم حبر وساعة يرجع فيتقدم مهاجر ٢)

مهاجر ٢ — شمدص انت ادرى بالحالة هنا . فقل لحالي ابوسامي

انشاء الله ارسل له بوليصة بعد كم شهر وهذه

هدية له (يسلمه ساعة وقلم حبر) .

مهاجر ١ — الله يوصلك بخير يا شمدص . هذه هدية اعمل معروف

اوصلها الى ابن عمي سليمان . التجارة في كساد .

فلوس ما فينا نبعث .

(يدخل مهاجر اسمه خليل وهيته ابله) خليل — ليله

سعيدة يا اخوان . كل عام واتم بخير .

الحضور — مساء الخير . كل عام واتم بخير .

شمدص — (يحنق) — خليل تعال الى هنا . (يتقدم) عرفت

اني راجع الى البلاد ؟

فخيل — بلى اخبروني .

شمدص — ما اسم ابيك يا خليل ؟

منه فلو كان . . .
خليل — ابو خليل
شمص () — ساسلم لك عليه واقول له الحالة عاطلة فلا ينتظر
فلوس (يحنق ياخذ بتلايه) هات الساعة وقلم الجبر
خليل (يناوله الساعة وقلم الجبر ويصفر مستغرباً) الله يرد

العين عنك يا شمص .
راجي — يا شمص . كل شيء حاضر الا صحن الحمص .
وليس فينا من هو اسطر منك بعمل الحمص فادخل

الى المطبخ فالحمص جاهز .
شمص — أدخل الى المطبخ واترككم هنا تشربون ؟ لا .
اعمله هنا (شمص ينصرف ويرجع يمد قبايل وفي يده
صحن حمص ومدقه يهرس بها الحمص)

مرابجر ١ — هل قرأتم جرائد البلاد ؟ وصلني حزمة اليوم .

مرابجر ٢ — كل جرائد البلاد قتل وضرب .

مرابجر ٣ — ما في العن من الجرائد منذ ثلاثين سنة ولم أرفع
الاشتراك انا تصلي « بويد الخليل » .

مرابجر ٤ — انا صار لي في هذه البلاد ٢٠ سنة . لا دخلت
محكمة ، ولا أخذت شربة ، ولا دفعت اشتراك
جريدة .

مرآجر ٥ — جرأنا بلادنا تحبنا . كل كلمة يا أفندينا اكبر من

رأس البطيخ . من يفهمها ؟

مرآجر ٧ — وماذا تفهم حصرتك حتى تفهم جرأنا ؟

مرآجر ٨ — فيها قصيدة لحسون المصايف بدعية ، بدعية ، بدعية .

مرآجر ٢ — وكيف عرفت أنها بدعية ؟

مرآجر ١ — لاني ما فهمت منها ولا كلمة !

محمد ص — انا بحبائي لم أقرأ إلا كتاب الزير (يتدعه من جيب

تطوونه الخلفي ويقرأ متعنياً ومشيراً بمدة الحمص)

يقول الزير أبو ليلى المهمل

الا يا بنات ان السعد جاكم

غداً جساس اقتله بسيفي

وأخبرني يا بنات بشار اباكم

فلاقوه على الحبل الضوامر

واني سوف اهجم من وراكم

مرآجر — ناولني كتاب الزير (اصوات من المهاجرين : هات

كتاب الزير . اعطنا الكتاب)

محمد ص — لا ، لا ، لا ، اطلبوا روجي ، وسيفي ، وحصاني ،

وروجي ، وحفظة تقودي . انما لا تطلبوا مني

كتاب الزير . لنرجعه الى المكتبة (بيده الى باب
بطلونه الخلفي)

مرابجر ٣ — يا اخوان تذكرون ان بيني وبين فؤاد مراهنه على
عشرة ريلات . الآن جاءنا جواب المقتطف (يقرأ)
« سؤال نرجو ان تفيدونا هل اسكندر ذو القرنين
ولد قبل عمر ابن أبي ربيعة . أم ان عمر ابن ابي
ربيعة ولد قبل اسكندر ذي القرنين ؟

— نبيه غواص —

— فؤاد الحداد —

عن غرابلا اميركا الوسطى
« جواب المقتطف — اسكندر ذو القرنين ولد قبل
عمر ابن ابي ربيعة » هات العشرة ريلات يا فؤاد .

فؤاد — على الرأس والعين (يدفع له)

مرابجر ٣ — (لوحاً بالعشرة ريلات) على سلامة قرنيك يا اسكندر

فؤاد — انما اراهنك على عشرين ريالاً اني مصيب في جدال
هذا الصباح — الارض مسطحة .

مرابجر ٣ — مربعة .

فؤاد — مسطحة . اتراهن على عشرين ريالاً ؟

مرابجر ٣ — اراهن على عشرين ريالاً ان الارض مربعة .

قواعد
 ٣ مرابجر } لنسأل « المقتطف » .

٢ مرابجر — (متضاداً من هذا الحوار) خلص صحن الفول يا شمدص
 شمدص — اسألوا المقتطف !
 (صغير متواصل)

٤ مرابجر — يا اخوان هل تسمعون الصغير ؟ العاصفة تشد !
 ٥ مرابجر — الله يساعد الذين في البحر .

٨ مرابجر — في كل راس سنة عاصفة . العام الماضي غرق
 اربع بوابير .

رامي — كيف حال كامل الامبوني ؟ صحيح انتحر ؟

٣ مرابجر — الرصاصة دخلت الصدغ الايمن وطارت من الصدغ
 الايسر . دماغه يوشج . هكذا اخبرني الممرضة .

٤ مرابجر — الدكتور نجيب يعالجه . شفاه الله .

٥ مرابجر — كيف تريد أن يشفى اذا كان الرصاص اخترق رأسه .

٢ مرابجر — أهذه اول عجيبة قام بها الدكتور نجيب ؟ ستري
 كيف يشفيه ، ستري (شمدص يخرج)

مرابط ٧ — أي نسمة خير هذا الحكيم ؟ أمس كفل ١٤ مواطن
 من « خاصيا » حتى سمحوا لهم بالدخول الى
 « غرانبلا » . وهذا الصباح توسط لابن انيس الحلبي
 وفعينه طبيب بلدية ، مع انه كان مرشح لهذه
 الوظيفة ٨٢ طبيب من اهالي غرانبلا .
 (يرجع شمدص فيخطف المقتطف ويقرأ)

شمدص — نرجو ان تفيدونا اذا كان الاستاذ شمدص جهجاه
 أي السنيور تشارلي جوه انهي صحن الحمص .
 جواب المقتطف — ضغن الحمص خلص تفضلوا .
 (اصوات : هاي . يحي شمدص . ثم يجمعون للداخل)
 (راجي يبقى وحده يرتب الكؤوس ، ثم يتطلع الى
 الكراسي ويصفر صفرة طويلة كأنه متضايق من معشر
 كهذا ويشرب كأساً . فيما هو يشي يعثر بكرسي فيخطب
 الكرسي معانياً « وانت ايضاً يا بروتوس ؟ »
 (يتدخل هدى)
 راجي — أهلا وسهلا بخالتي هدى . اين ساره ؟

هدى — ساره التقت بصديقة لها وهما يتكلمان خارج المنزل .
 ستكون هنا بعد قليل . انا سيقبها أرجوك ان
 تكتب لي مكتوب تعزية للبلاد .

راجي — مكتوب تعزية ؟! أهون علي أن أموت من أن
 راجي

اكتب مكتوب تعزية . اسألي صهرك .

هدى — صهري يا ثثار . من قال لك اني ازوجه ابنتي من
غير أن اعرف دينه . لعله من الجماعة ؟! ان كان
من غير ديننا فاهون عليّ ان امزق ابنتي من ان
ازوجه اياها !

— هنا يتزوجون زواجاً مدنياً .

هدى — مدنياً ؟ لعن الله المدنية ان كان الزواج يعقده
كاتب عدل كأنه كونتراتو رهن .

راهبي — الزواج رهن يا ست هدى ؟ الزواج بيع بات .
هل سمعت ببني عذره ؟

هدى — بني عذره ؟ من أي ضيعة هم ؟ ما هو دينهم ؟ قل
لي ما هو دينكم ؟ في أي كتاب يصلي سليم ؟

راهبي — كل حياته يصلي بكتاب « الاغاني » واطنه يعبد
ابو الفرج الاصبهاني (صائحاً للداحل) يا سليم ،
يا سليم ، خالك هدى هنا (يدخل وسيم بثوب بدوي
رلحي جرب متفتناً « ضاقت ولا استحكمت حلقاتها »)

وسيم — مساء الخير يا خالتي هدى . اين ساره ؟

هدى — ساره تعلقك مع صديقتها خارج المنزل ستكون

هنا بعد قليل . اعمل معروف اكتب لي مکتوب

تغزية واقراً لي هذا المکتوب (وسيم يأخذ المکتوب
من هدى ويقرأ : -)

وسيم = « جناب حضرة ست النساء . وزينة الارض والسماء
خالتنا هدى حفظها الله . . »

هدى — آمين .

وسيم = (متاباً) « من بعد اهدائك السلام نخبوك ان

البارحة وقعت عركة بيننا وبين بيت الحموي فبحرح

ابو مرعي .

هدى — الله يبشرك بالخير .

وسيم = وقتل اخوه .

هدى — الحمد لله .

ومذا قتل ابن خالك جميل عوضنا الله بسلامتك .

هدى — يا اسفي عليك يا جميل . يا سبع الرجال يا جميل .

وسيم = من خصوص البوليصة ٢٠٠ دولار وصلت وحالا

صار دفعها للافوكانو في بيروت وانشاء الله في

المکتوب القادم نخبوك اننا رجنا الدعوى العتيقة

على الجماعة . قال اذا كنتم تريدون رصاص في

صدور بيت الحموي لازم يحكم بارود
 من اميركا ، واليوم ورد علم انت وسم الحموي
 ورفيقه البيروتي موجودين عندكم في بلاد « جرانبلا »
 واسعد بك اشتغل في بيروت لارسال علم لحكومتم
 ففتشوا على هذا اللعين والشبان هنا مستعدون للسفر
 واخذ الثأر اذا لزم الامر . انما الاحسن ارجاعه
 لنا محفوظاً حتى اذا نجا من الحكومة فشبانا
 مستعدون لعمل اللازم . وام وسم الان نصف
 مجنونة ، خرافة اكثر كلامها مثل كلام الاطفال ،
 انشاء الله ينشرح قلبها بالزايد بروية ابنها يتمرجح
 برقبته ، قبل انتقلها الى جهنم ... الباقي سلام
 وكلام

همدى — ام وسم الحموي . الحية الرقطاء . ابنها قاتل ابني .
 ابنها في جرانبلا . اين انت يا ابن اللعينة لاخنقك
 بيدي . اين يدك التي احمرت بدم طعان لاحزها
 عن جسمك يا ابن اللعينة . سليم . سليم فتش معي
 عن هذا اللئيم ، واذا وجدته ازوجك ساره ولو
 كنت من الشمس .
 (تدخل ساره في لباس بدوية . وسم وساره لا يسلمان على
 بعضهما . بل تشعّ العيون ، ثم تبتسم الشفاء فتشاك
 الايدي) (راجي يطل لابساً البرنيطة ، حاملاً العصا ،
 فينحج) .

راجي - خالتي هدى . تعالى اكتب لك مكتوب التعزية .
وسيم - (متقلداً وسيم) فان الوحي يغشاني من جديد .
هدهد - (يقابط ذراعها ويحاول الخروج فجاً) .

هدى - ليس من اللائق ان نتركها هنا وحدها .
وسيم - يا خالتي هدى الا تربيتني باثواب العرب ؟ العرب
لا يخونون . ائتمني هذا العربي ولو على ابتك
البدوية زينب (راجي يسر هدى متغنياً ه الخيل والليل
والبيداء قهقري ، (السيف . . .)
هدى - يا ربي في اي زمان نحن .

ساره - سنة ١٩٣٧ (هدى وراجي يتصرفان ساره تم بضم
وسيم فيدفعها هذا باطف) .

وسيم - لا . لا . انت في مصافتي . اذكري وعدي لامك .
ساره - ولكني زوجتك . أنسيت ؟

وسيم - كيف انسى ولكن العربي لا يحنث بالوعود . ساره
ما اجملك هذه الليلة ، وكل ليلة وكل نهار .

ساره - اذا لم تسكت عن مغازلتني صفعت خدك بشفتي .

وسيم - اريد ان اخبرك خبراً هاماً .

ساره - ما هو ؟

وسيم — هو اني احبك ، وأعبدك ، وأحيا لاجلك .

ساره — اليس لديك خبر جديد ؟

وسيم — بلى هو اني اهوأك .

ساره — وغيره ؟

وسيم — وانك حبيتي .

ساره — وعروستي . وقلبي . وروحي . ومالي .

وسيم —

ساره — سليم . كدت أن اخبر أمي بأمر زواجنا فلماذا ...

أمي تقول ربما تكون انت من « الجماعة » فما

معنى « الجماعة » ؟ كلمة على لسان أمي كل ساعة .

إذا اتى مكتوب من البلاد فكلامه عن « الجماعة »

كل النهار « الله يقطع الجماعة » . فمن هم الجماعة

في البلاد ؟

وسيم — « الجماعة » في البلاد هم من ليسوا من حزبنا ،

أو ديننا ، أو حينا ، أو عائلتنا . لولم تأتي الى

« غرانبلا » طفلة ، لكنت تفهمين أي ديناميت

في كلمة « الجماعة » .

ساره — يعني في بلادنا الناس « جماعة وجماعة » ؟

وسيم — يا ليت ! في بلادنا الف جماعة وجماعة .

ساره — انما انا وانت جماعة واحدة . آ سليم ؟ هل قرأت

المكتوب لأمي — أراهن انه فيه قتل . « وادي
الارز » ضيعة تسكن أم هي ساحة قتال ؟

وسيم — هي جنة تسكن لو لم تكن ساحة قتال . لو لم
تكن « جماعة وجماعة »

ساره — لماذا اختارت التنكر بثوب البدوي عقيل والبدوية
زينب ؟

وسيم — انت وانا إذ نلبس ثياب العرب لسنا بمتنكرين .

ساره — صحيح ؟ أرى العرب في السينا وفي الجرائد
اضحوكة .

وسيم — اضحوكة سفلة صحافي الغرب . النخوة . العرض .
المروءة . النجدة . هل تجدن هذه الالفاظ إلا في
لغة العرب ؟

ساره — لا

وسيم — أي ساره اني إذ استردت اثواب العرب اشعر
برعشة فخر .

ساره — لماذا خلقتك الله كتلة من عواطف . وما بالك
كتيباً هذه اليلة ؟ قل لي . من حقي أن أعرف .
وسيم — أو . ليس بي شيء تعالي نرقص .

ساره — « تعالي نرقص » ! اذاً فأنت كباقي اولاد العرب .
زوجتك للهو ولليت . إن إنكارك علي مصاعبك
ينطوي على احتقارك اياي ، فكأنني أفته في عينك
من ان أشاركك بمصاعبك . قل لي ماذا جرى ، اني
أشعر ان أمراً يقلقك فما هي الحيرة التي تغمرك ؟
سليم ما أنت بالرجل الذي أعهدده . لا تخف عني
شيئاً . اهذا هو الحب الذي غمر قلوبنا أهو عاطفة
وانفعال جنسي ، أم هو تفاهم روحي ؟ لي الحق
ان أفهم كل شيء . أرى علامة استفهام على
وجهك . لماذا لا تضع رأسك على صدري وتحدث
ساره عن همومك ؟

وسيم — (بعد تردد) هذه الجرائد .

ساره — أفيا خبر مكدر عن ذوبك ؟

وسيم — لا . ولكنها تسخري . كل جريدة تحمل انباء
العظماء . فهذا رجل اخترع مكينة . وآخر جاد
على الدنيا بكتاب ، وغيره اكتشف او اكتسح .

هذه الجرائد تسخر في كلماتها تحلق بوجهي
متهكمة تسألني : من أنت أيها النكرة وما شأنك
في الدنيا ؟ أي عظيم أمر قمت به في الحياة فننقل
خبره الى الناس ؟ اجيبها لا شيء . لا شيء . أنا
يِّماع انظري (بقع ويكي)

ساره — لا تستسلم الى الانفعال .

وسيم — وكنت أمر بها غير آبه ، لو لم اكن ذقت طعم
الظفر في فجر حياتي . ساره اتي عاهدت الناس في
مطلع العمر على الفوز . وما أنا اخنث بالعهد .
أنا فاشل وخائن . خائن . رجعت الى سخيـف
الذكريات . بل من ليس له مستقبل تعلق بماضيـه .
أن مستقبلي مضي . رب كم صرت اقبض نفسي

ساره — (نأخذه بيديها) إي زوجي وجيبي قف . قف

(يقف) قف كمن يهم بالقتال (يفعل) اصرف باسنانك
وليلع الغضب في عينيك (يفعل) ضم قبضتيك بكل ما
في جسدك من قوة (يفعل) الآث قاتل .

قاتل الدنيا ولا تنطرح على الارض كهزيم . ليس
العار أن تغلب . العار ان تهرب . انت رجل
وكل رجل تفكر وتصل الى استنتاجاتك عن
طريق الفكرة . أنا امرأة ، اشعر واشعر فقط .

شيء لا أراه ، ولا المسه ، ولكنني احسه واشعره .
 اني اشعر انك ستكون عظيماً . اي حبيبي ستكون
 عظيماً ولا يعني ان كنت اليوم مفلساً ومفلوباً .
 البارحة حلمت حلماً مريعاً . رأيتك متمطياً جواداً
 ابيض شأن الفاتحين وفي يمينك علم خفاق ، وعيناك
 محدقتان بقمة الجبل ، والحصان يتخطى بك السفوح
 من القمة الى القمة ، وانا احوم حولك وفي يدي قيثارة
 اغني لك الاناشيد ، وفجأة زل الجواد فرعبت ،
 وحذقت فاذا انت بالوادي مهشم الجسم دام . ولكن
 الجواد على حوافره الاربعة واقف ، وانت مستمر
 الى صوته ، والعلم في يمينك خفاق وعيناك في
 القمة تحدقان . هكذا أريد ان اراك !

وسيم — وهكذا سأكون .

ساره — أنتعد ؟

وسيم — وعداً عربياً .

ساره — ألا تقبلني الآن ؟

وسيم — أتريديني حائناً بالوعود ؟

ساره — اذا لا تقبلني .

وسيم — أريد ان احثك بسر هائل كتبتك عنك حتى اليوم .

ساره — ما هو ؟

(يرجع المهاجرون وراجي في طلبهم يتنحج)

ساره — سمعت سليم يقول « أحب حتى الذبابة في فنجان قهوتك والبراغيث في شعر هرتك ، وأطرب لبناح كلبكم .

ساره — وسمعت ساره تقول أحب حتى اخاك سلوم ينهق من عطشه ويلبظ من بطره .

شهرص — اقترح يا اخوان . ما قولكم اذا رقص البدوي عقيل والبدوية زينب هنا قبل الذهاب الى المأدبة !
(اصوات : موافق . موافق . وسّعوا الحلقة)

(ساره وسيم يرقصان . الباقون او من صوته حلو يني)

بين داري ودارك درب	توصل بابينا
في صدري وصدرك حب	يغمر قلبينا
نرمي مع ساري الريح	أحقاد أبويننا
وفي وجه الدنيا نصيح	من يقدر لنا
نهدم وراثه البغض	من عهد اجدادنا
ونحيا لبعضنا البعض	ونبني لأولادنا

ساره تضع ذراعها على ذراع وسيم ويخرجان . اصوات تحي البدو . تحي العرب . لا ترجموا الا بالجائزة الاولى . هدى تأتي رأكضة فمها مملوه أكلاً وتصبح وهي تنهض .

امعدة في راي فسطاها « لا تسبقوني . لا تسبقوني » اذ :

ينزل الستار

ثم يرتفع حالا فنرى

رأيتنا في آخر الليل وكل ما على المسرح مبثوث . راجي
لنا في شجرة . شمدص سكران يخطب لجمهور يظهر انه
بين السماء والارض بكلمات نصف مفهومة .

شمدص — اين اولاد العرب ؟ فلتجي اولاد العرب . فليسقط

اولاد النور . فليجيا الزير ابو ليلي المهلهل .

فليسقط جساس . فليجي العنب والتين والصير .

فليجي اللقطين . فلتجي شواربكم .

راجي (يأخذ بشمدص ويخرجه صارخاً) وليجي

شمدص جهجهاه .

(يدخل وسيم نصف سكران وفي يده كأس فضي) .

وسيم — هاي مسيو سلوم . يا سنيور سلوم . انظر الى

هذه . هذه الجائزة الاولى بالرقص قدمها لنا الحاكم

بيده (يرقص ثم يقبله) . كل عام وانت بخير . اعاشك

الله الى زمن تكنس به الارض بلحيتك . اي

سنيور سلوم (يطوي ذراعه) جس هذا فانه لا

يزال صلباً كسنديان لبنان . ضع يدك على هذا

(مشيراً الى قلبه) فهو لا يزال يدق دقة عسكرية

هاي سنور سلوم ليتك سمعت خطابي اذ قدموا
لنا هذه الجائزة . راجي لقد ظفرت بامنية حياتي
فقد سمعت التصفيق كالرعد . اذكر قولك لي ان
طموحي هو سماعي التصفيق ومستقبل التصفيق
بتلاشي . ولكن التصفيق يرحل قبل ان تتلاشي
يا مغفل ولذة الحياة هذه الرجفات . قلت لهم ما
هذه باول مرة غزت البداوة الحضارة ، وما هي
باول مرة ميز علم العربان في لبنان قلت لهم ..
ولكن هل اعددت حقائي يا استاذ ؟

راجي -- يا مجنون اتسافر في هذه العاصفة ؟ أتريد ان
تأكلك الاسماك .

وسيم -- السمك يا كلني ؟ انا آكل السمك . (يصب في الكس

الفضي ويثررب) ما اطيب كاس الفوز في ليلة العيد

(صفيح بعيد قوي) علامة الخطر هاه ؟

راجي -- ولكنه البحر يا مجنون أتريد ان تغرق ؟

وسيم -- اذا غرقت فجثتي تشطط برأس بيروت . لا تنس

وصيتي ، احرق جثتي وذري رماها على تربة تلك

الشجرة التي زرناها يوم نخرجنا . انما ضع اعلاناً

كبيراً (يهمس باذنه ثم يضحك) والا تيبس

الشجرة اما انت فعش وامرح ولا تنس ان تفتح
 صيدلية في زاوية بيتك اذ متى كبرت ستحتاج الى
 اسبرين وحبوب الحياة للدكتور روس ، وقطن ،
 وقطرة لعينيك (جمس باذنه وبضحك) ستحتاج
 الى ذلك ايضاً . (صابر) صفري . صفري .
 اخبرني الناس عن العاصفة ولا تخبرني . انا الذي
 اكل العواصف مئة مرة . انظر الى الامواج تجن
 في هجومها على الشاطئ متدفقة كأنها رجال «سلطان»
 حاملة على العدو - ايها البحر . ايها الجواد الصاحب
 المزجر . ما هذه باول مرة امتطيك وانت جموح .
 كم مرة علوت ظهرك وقد قوسته عالياً عاليها
 كجبل « الباروك » وفتحت شداً عميقاً كوادي
 « حمانا » فالعب ، وارمح ، وزجر ، وليلاً الجو
 زبد اشداً ففارسك منع الله الخوف عن قلبه .
 فارسك البدوي عقيل غير هيا بك :

« ملأنا البحر حتى ضاق غداً ومساءً » البر « نلأه سفينا

عندنا — عندنا . (يتصرف بالحقيقة)

— بصمت وجرم يأخذ القنينة فيكسرهما ، ثم يتدارك نفسه فيمسح

الحمر بتدبيله ويعصره بفمه ويرقي على الكرسي نابشاً شعره
 صارخاً : كل عام وانتم بخير .

ينزل الستار

المشهد الثاني

بعد ثلاثة ايام . المكان نفسه . شمدص وفرج الله . شمدص
كاشدوه . فرج الله في تشوة الغراب اذ يترك جيفة حصان ثقمة .

شمدص — اوضح لي الامر . اصحيح كل ما اسمع ؟ ماذا
جري يا فرج الله ؟

فرج الله — الذي جري امر بسيط اوضح من هذا الالف الذي
يضايقك . على وجهك . بعد ان خرج وسيم من بيت الحاكم
جاء الى هنا ، واختطف حقيقته وركب البابور
والعاصفة في طورها السابع الخفيف . بعد ست
ساعات اذامعن البابور في البحر ، نزلت « الفاجعة »
(يضحك) فرقضت الباخرة كأنها طاية فوتبول ،
وانقطع جبل دفتها ، وطافت الامواج على خزانات
البخار ، فانفجرت ، وتناثر ركلها ومنهم وسيم بين
تلك الجبال المتلاطمة ، حتى عثر وسيم على قطعة
خشب تمسك بها . ٥٨ ساعة في تلك الصحراء المائية
لا اكل ولا شرب ذاقوا بها احوال الموت احياء .
كلاب البحر اختطفت تسعة منهم (يضحك) الى ان

مرت بهم دارعة اميركية فانتشلت بقيتهم وصاحبك
وسيم منهم .

شمر ص — أهو في خطر ؟

فرج الله — كلنا دائماً في خطر يا شمدص . انت في خطر وانا
في خطر . انا وسيم الآن اعمى (يضحك) فقد
بصره من وهج الشمس على البحر .

شمر ص — وراجي ؟

فرج الله — راجي في السجن لانه شريك وسيم قاتل طعان
الحمي . وطعان هذا هو ابن هدى واخو ساره ،
وهدى شبه مجنونة تريد الانتقام من قاتل ابنها ،
وتريد الانتقام من ابنتها التي تزوجت وسيم سراً ،
وراجي ووسيم سيرسلان تحت الحفظ الى بيروت
للمحاكمة .

شمر ص — اكاد لا اصدق ما اسمع . هوليود لم تصنع مثل
هذا الفيلم الذي نشاهده .

فرج الله — لنعجل باخذ قائمة البضائع فبعد قليل سيأتون بوسيم
الى هذه الغرفة .

شمر ص — ولكن أمن اللياقة ان تضع يدك على تجارتهم وهي
في هذه الحالة ؟

فرج الله — ... وانت ايضاً يا شمدص ؟ لماذا كل اولاد العرب
يبعضوني ؟ لاني نجحت حيث فشلوا لأنهم يحسدوني .
الغني محسود . ولكن قل لي من يحتاج الآخر ،
انا ام هم ؟ يستدينون مني ، انا لا استدين . حينما
يعطشون الى المال ينادون بفرج الله . وحينما يأتي
موعد الدفع يشتمون فرج الله .

شمدص — ولكن حالة هذين الشابين تستدعي الشفقة . والله
انعم عليك .
فرج الله — الله انعم عليّ فسأحاسب الله وليس غيره .

شمدص — فرج الله تبصر بالامور . شابان غريبان احدهما اعمى
وكسيتج تخلص من الموت غرقاً بنصف روحه .
والثاني سجين . ألا ترى من المروءة ان توقف
الحجز حتى تستقيم امورهم ؟

فرج الله — من المروءة ان احمي حقوق فرج الله اولاً وثانياً
واخيراً . كل ما في هذه الغرفة وهذا المحل هو
ملكي أفهمت ؟ وانت من ارسلك ؟

شمدص — ارسلني الدكتور نجيب .
فرج الله — لماذا لا ينصرف الدكتور نجيب الى الطب ، ويترك
الناس في امورهم .

شمس — فرج!؟ بعض من يكبرون اللقمة يحنقون .

فرج الله — طيب — انما في يدي امر يفوضني بالاستيلاء على كل ما في هذا المكان ، وسأستولي على كل ما في هذا المكان .

شمس — فرج! من اخبر البوليس عن وسيم وراجي؟

فرج الله — لعلمكم تتهمونني؟! وصل لمدير البوليس مكتوب مغفل الامضاء . هل وجدوا توقيعى عليه؟ (يضحك)

شمس — مؤكد لا!

فرج الله — هل الخط خطي؟ (يضحك)

شمس — طبعاً لا . واراهن انك كتبتى وعلى يدك قفازان .

فرج الله — انا قلت لوسيم الجموي : اقتل ابن هدى الحمصي في « وادي الارز » ثم هاجر الى غرانبلا وتزوج ابنتها سرّاً ، ثم اسكر ليلة راس السنة وسافر في البحر والعاصفة تشتد؟ انا رجوته ان يستدين المال مني ويمثل ادوار حاتم طي والسموأل وهارون الرشيد في هذه البلاد؟ شمس! لا تتكلم كالاغبياء فانا اعلم انك شاطر . فلنبداً بالتفتيش .
(يفج المكتبة ويأخذ شهادتين)

فرج الله — شهادة مدرسية ، وشهادة مدرسية . تعجبنى هذه

الشهادات فهي ماركات غباوة وقعها حمار كبير
يشهد ان حاملها جشش صغير يصلح مطية للاذكياء .
هل دخلت مدرسة يا شمدص ؟

شمدص — لا . ولكنني تتلمذت على الكثيرين من امثالك .
وتعلمت أمثلة مجانية ثمينة .

فرج الله — أرخص الامور اثنها . الابتسامة لا تكلف شيئاً
فالبسها . وكلمات الاطراء مجانية فانغمز بها قلب
عدوك ، واليمين فأقسم بها مغلفاً واذا ذكر ان
جمهور الناس اغبياء . متى اردت الايقاع بشخص
لا تعبس بوجهه بل صادقه . فاهون ان تصطاد الذباب
بالعسل من ان تصطادها بالخل . كن كالحمرة ودیعة
في كأسها تغوي العين ، حتى تسرق الى الفم فاذا
انزلت الى الكبد نهشتها . المهم ان تربح المعركة
ولن تجد من يسألك كيف ربحتها . واعلم انه ليس
في الدنيا صديق .

شمدص — انا ليس لي في الدنيا الا صديق واحد .

فرج الله — من هو ؟

شمدص — الزير ابو ليلى المهلهل .

فرج الله -- انت رجل حاذق لم تطل المدرسة اذنيه . لا حاجة الى تقويم البضائع . سأخذها كلها واترك للاستاذين كل الشهادات المدرسية . ولكن هذا الصندوق لا اريد نقله مقفلاً مخافة ان يدعوا ان كان فيه الملايين ، فقل للدكتور نجيب اني اريد المفتاح .
شمص -- الدكتور نجيب في الغرفة الثانية يداوي وسم . اسأله انت عن المفتاح .

فرج الله -- انت مندوبه فاسأله انت . (شمص يخرج ويرجع بالدكتور نجيب لابساً سترة الاطباء بينما فرج الله يقبل اوراق وسم ويضحك) .

الدكتور نجيب -- (الى شمص) اذهب الى السجن (مشيراً الى النافذة) هو قريب منا جداً . لقد سألت مدير السجن ان يطلق راجي ساعة بكفالي فان لم يكن قد فعل بعد فعجله . (شمص ينصرف) (الى فرج الله) ايها الضبع المعسوس في خراب هذا البيت ، لا تخرج الدكتور نجيب ان يستعمل نفوذه ضدك . في حياتي كلها ما حالقت مواطناً ضد مواطن . لاتجعلني ابدأ بك .

فرج الله -- ولكن حقوقي . حقوقي . اريد ان افتح الصندوق
الدكتور -- سأتيك بن يفتحه . ولكنك اذا مضيت في قسوة تعسفك سببت طردك من هذه البلاد حتى لا تستطيع رؤيتها الا بمنظار . بعض الامور في هذه

الدنيا لا تشتريها الملايين .

(ندخل ساره في لباس النوم)

ساره — بدأ يتحرك .

الدكتور — طيب . متى استفاق اذهب اليه . (بشدة) وانت

قلت لك انصرفي الى فراشك . كفاك سهراً وتعباً

ساره — مورفين الدنيا كلها لا ينمي ووسم في هذه الحالة .

(تبكي فيراضها الدكتور بنحيب ويصرفها قائلاً) ما عليه

شر . قلت لك ليس عليه خطر . (يرجع شمدص

وراجي . هذا في لباس السجن وعلى ظهره صدره

غرة ١١٣)

الدكتور — هل معك مفتاح الصندوق يا سليم — يا راجي ؟

راجي — ها هو يا دكتور .

الدكتور — افتحه .

راجي — (افرج الله) ذاب الثلج وبانت الاوساخ . سافته .

ولكنك يا فرج الله لماذا لم تحجز على هذا

السوط ايضاً (يتناول الكرباج من الخائط) انظر

اليه . هذا ملكك ايضاً يا من اشترى اثباتنا

بعملة مزيفة . اما الصندوق (يفتحه) فهو خال من

المال ، خلوا نفسك من كل مروعة .

فرج الله — يا راجي انا لا اريد الا خيركم . اذا لم احجز انا
حجز الينك ... بشرفي

راجي — (مع كل كلمة ضربة سوط) بدبني ، بوحمة امي ، بعرض
اختي نبيمة . وحياة الخبز والملح الذي بيننا .

الدمكنور — (يفصل بينهما) راجي ، إجمد ، إرم الكرياج
(راجي يفعل) .

راجي — ايها الممثل العبقري . اهنتك بنجاح دورك . ان
امهر مثلي العالم لم يسرجوا على مسرح بل هم بيننا
في كل يوم يمثلون ادوارهم .

فرج الله — هذه بلاد تمدن وقوانين . ما نحن في « وادي
القرن » . لن تضربني وتنجو من الحكومة يا مفلس
يا محتال . يا قاتل . سأريك . سأريك (ينصرف) .

الدمكنور — (لراجي) انت أحق وبعجوت .

شمس — (يتناول الكرياج) ثم يقول لراجي على حدة وهو ينظف
الكرياج) — وسخفت الكرياج .

الدمكنور — افسحوا مكانا هنا لكرسي وسيم . (الدكتور يساعدهم
على الترتيب ثم يذهب الى الغرفة الملاصقة فيأتي بكرسي
ذات دولابين يجر وسيم عليها . وسيم يصرخ متألماً .
العصاب تشد رأسه ورجليه وبده البسرى) .

وسيم — الله . الله . آخ . آخ . يا الله .

الدكتور — (بينما يشعل بابور سيرنو ليظهر الحقنة) صبرك وسيم .

وسيم — سأعطيك حقنة مورفين تقتل الألم .

وسيم — اقتل الألم . آه . ربي ان جسمي يلتهب كأني أسبح

في بحيرة من النار . (لوتس راجي) —

راجي — صبرك وسيم . ان الألم سيضمحل .

وسيم — انت هنا يا راجي ؟ يدك وعفوك . عفوك عن

هوة سجنك اليها . كنت نبيلًا في اخوتك .

تناس حماقتي .

راجي — ستمضي هذه المصاعب ، ويأتي يوم نذكرها ونضحك .

وسيم — احس ان جيوش الفناء تسير في دمي . انطفأ

النور من عيني . صرت اعمى يا راجي . وأحس

ان روحي تتراقص لتنطفيء . لا تدعهم يدفنوني

هنا يا راجي . لا تسكني مقبرة الاغراب . أياضطجع

اربعة عشر جيل في قريتي وادفن في مدافن

الاغراب ؟ اريد ان يواكبني الى القبر الف شجاع

ومجرّ وجهي تلويح الف مندبل . اريد ان أسمع

الندب في مأتمي . راجي إن لم تقوَ على ارسال

جثتي الى هناك ، فلتحرق الجثة والرماد فليذر على

تربة تلك الشجرة التي زرناها يوم ودعنا المدرسة
أتذكرها يا راجي ؟ ما اقبل هذه الحاتمة يا راجي .
انظر ان الستار يكاد ينزل والجمهور يصفر ،
وابتسامة التشفي على شفاه اللثام . ما هذه الحكاية
المشوشة التي مثلتها على مسرح الالام كانت كل
شيء فاتنا حين ارتفع الستار . وكانت النظارة
مصغية ، معجبة ، فلماذا هم الان يصفرون ؟ آه
(يضرب بقضته على مستند كرسيه) ما هكذا كانت
تنتهي رواياتك يا وسيم الحموي . ساره ساره . اين انت ؟
(ساره نبكي في صمت ولا تجيب) . راجي لا تقل
لهم اني مت هكذا ، قل لهم قتله العبيد ، غرق
او انتحر ، ولكن لا تقل لهم اني قتيت هكذا
كقشرة بطيخ تهرأت .

— ساره نائمة .

راجي

الدكتور

الآن وقت المورفين . هذه آخر حقنة . بعد اليوم
يخف الالم (يحس ساقه) وفي اقل من شهرين تستطيع
المشي ، فخفض من هذه الثروة عن الموت وعن
دفن الجثة . (بصوت عال) ساره . يا ساره .

(ساره تنسحب من المسرح ثم تنادي من بعيد « نعم يا حكيم »)

الدكتور — تعالي ساعديني (راجي واقف واجم)

وسيم — أصبح ما تحدثني يا دكتور ؟ أم هو حديث
الاطباء لمرضاهم الميتين . آه . أخ . الله .
ساره — (تقبله وتسد شعره) ما عليك شر باذن الله .

وسيم — ساره لماذا انت هنا ؟ يجب ان تكوني قريبة من
امك . عفوك يا ساره . لقد خدعتك . كنت
غشاشاً حين تزوجتك متخفياً باسم زائف . ولكني
لم أقصد شراً . كنت متفائلاً احسب الامور تصلح
نفسها في آخر الامر . ان كنت اتألم من العمى
فلأني لن أرى وجهك يا ساره .

الدكتور — (بمقته) مستشعر اولا بانقطاع الآلام ثم بتخدير
حتى تنام .

وسيم — كوني بقرب امك فهي بحاجة الى العزاء .

ساره — سأكون بقربك وحدك . احببتك سليماً وسأحبك
وسليماً ، وكيف كنت وبأي اسم دعوت نفسك ،
وانجاه الدنيا الى جانبك .

الدكتور — كيف تشعر الآن ؟

وسيم — زالت الآلام . شكراً لك . آه ما ألدّ التفت من
الآلام .

الدكتور — (بلهجة فرحة) اذاً فانت وسيم الجموي .

وسيم — انا حطامه !

الدكتور — أتدري اني صديق لاهلك ؟

وسيم — أدري . وامي كانت كثيرة التحدث عنك .

الدكتور — (يلتقط الشهادة) وهذه الشهادة ؟ . جملة هذه الشهادة .

اظن ان بين اوراقى واحدة مثلها .

وسيم — حسبتها مدرجة لعرش فاذا هي مزلفة لهاوية .

الدكتور — ربما لا اوافقك على هذا الرأي . الشهادة كسليم

في وسعك ان تستعمله للصعود او للنزول .

وسيم — سيد وانا اسأت استعماله .

الدكتور — وهذا ما لا اوافقك عليه . كم عمرك ؟

وسيم — (٣١)

الدكتور — امامك تسع سنوات حتى تتخرج من جامعة الحياة

وتعرف كيف تستعمل السلم .

وسيم — دكتور ما انا بيجان . اريد ان اعرف الحقيقة .

هل انجو من هذه الحالة ؟

الذكرور — طبعاً تنجو . له آنا (مستحق نعمه كغيره من المخلوقات)

وسيم — اليس كلامك تطميناً ؟

الذكرور — لا . انا لا اؤمن بالخداع ولا استعمله . كن على

ثقة اذك ستشفي — باذن الله .

وسيم — وهذا العمى .

الذكرور — كفاف موقت . ان اعصاب عينيك كشریط

كهرباء انفصل عن مولد القوة . الكهرباء موجودة .

الشریط موجود . ولا ينقص الا ان تمس الكهرباء

الشریط حتى يظهر النور .

وسيم — وكيف عيسى ؟

الذكرور — ارتجاج عنيف . مفاجأة . خوف . انفعال . هزة ارضية .

رؤية امك . حزن مفاجئ . فرح مفاجئ . حينئذ

تستعيد بصرك . انما يلزمك اليقين . اليقين اني لا

اخذعك .

وسيم — انا موقن بك .

الذكرور — ولا اعتقد انك ستجد في « بيروت » صعوبة في

اظهار براءتك . ان تقرير الحادثة كتبته بيدي

وفيه برهان الدافع عن النفس .

- وسيم — وهل سنرجع الى البلاد ؟
- الدكتور — هذا امر المدعي العام .
- ساره — ولكن ساكون معك يا وسيم .
- راهبي — وانا كذلك .
- الدكتور — ويكون قلبي معكم .
- راهبي — ان ترجع الى البلاد يا دكتور ؟
- الدكتور — (يجز رأسه متحمساً ثم يغير الموضوع) انت اديب ،
روائي يا وسيم .
- وسيم — كل اهل بلادنا ادياء . روائي ؟ لقب اقرب الى
الجزء والسحرية منه الى المديح .
- الدكتور — ولماذا ؟
- وسيم — لاني انا شبح ذلك الروائي .
- الدكتور — لماذا انت متشائم ؟
- وسيم — ولماذا لا اكون متشائماً ؟ اطلت في فجر العمر
على جنة حسبت اني سأخلد بها . وها انا اليوم
في جهنم هذه الحياة — خامل الذكر ، مجرم ، اعمى

كسيح ، ان مرارة هذا الفشل تزداد اذ اذكر
حلاوة ذلك الفوز في صباح حياتي .

المكنور — فوز بماذا ؟

وسيم — فوز أدبي - روايات ، مقالات .

المكنور — ولماذا لا تكتب ؟

وسيم — اشغال ، اضطراب بال ...

المكنور — اتعرف لماذا لا تكتب ؟

وسيم — قلت اني ...

المكنور — انك لا تكتب لانك كسول اولاً . ولانك جبان

وتخاف الفشل بمحاولات جديدة . ولانك قنوع تجتو
ماضيك ولا تخلق مستقبلك .

وسيم — في رأسي مواد ...

المكنور — في رأسك لا شيء حتى تنتجه .

وسيم — سأنتجه .

المكنور — برافو - اريدك منتجاً لا متبجحاً . كن مقاتلاً اذا

خسرت يمينك فقاتل بيسراك . واترك التأوه

والتحسر على الماضي ، تلك العادة الذميمة التي تشلّ

ثلاثة ارباع قوى مواطنينا . ها انا اقترح عليك
موضوعاً فأعمل فيه قريحتك . اكتب لي رثائي .
هل تكتب لي رثائي ؟

وسيم — سيرة حياتك يا حكيم ؟ ... لا تحتاج الى من يكتبها
بل الى من ينسخها . فكل يوم فصل مجيد ، وكل
ساعة سطر خالد . لقد كتبتها انت وهي رائعة
في يد اي نسخا .

الدكتور — اذكر الوصية الحادية عشرة ... قل لي ماذا تقول
في الدكتور نجيب ؟ « مات النطاسي » ؟ « جبل
هوى » ؟ « يا آسي المرضى » ؟ كيف ترثيني ؟

وسيم — (ابتداءً يفيض عيذه من فعل المورفين) اذا قدّرت لي
الحياة ، فسأرثيك كما لم يرث حامل قلم حامل مبضع .
(ينثم)

الدكتور — زام . اذا نسي الرثاء فذكره يا ساره . راجي ارجع
الى السجن .

راجي — أصبح كل ماقلت لوسيم ؟ هل سيشفى من
كل شيء حتى العمى ؟

الدكتور — بالطبع صحيح . نزيف الدم أضعفه كثيراً .

راجي — اذا لزم نقل دم فانا مستعد .

الدكتور نجيب - هذا منتظر منك . بطريقك الى السجن مرّ
بالمستشفى وليفحصوا دمك . ربما نحتاج الى نقل دم
(راجي ينصرف) (تدخل هدى . يدها اليمنى قابضة
على سكين بين طيات فستانها) .

هدى - اذًا فانت هنا يا زانية . ليتني ولدت عقرباً ولم
الدك يا خائنة . تضاجعين قاتل اخيك . هنيئاً
لكما الزواج وهذه هدية العرس مني (تهجم والسكين
بيدها على وسيم النائم وساره التي تلاعب شعر رأسه
فبردها الدكتور نجيب ويقول لساره) : « روحي الى
الغرفة الثانية » (فننصرف)

الدكتور نجيب - هدى . كلّاك عقل وحكمة . لا تحاولي فعل الجهالة .
هدئي روعك .

هدى - كيف اهدى روعي وانا امتع نظري بروية هذا
الخنزير . ليت لي قوة الضواري فامزقه قطعاً .
انظرت كيف الله اعماه ، وكسر رجله ، وسينزل
به بعد هذا البوص ، والاكرزما ، والبسه ،
والنقرس ، والعصي ، والتيفوس ، والتيفوئيد ،
والشلل ، وذات الرئة ، والطرش ، والخرس ،
والقرع ، والجذري ، والسرطان .

الدكتور نجيب - اتركى لله امر تدبيره . واذكري انه زوج ابنتك .

انت وانا لن نعيش على هذه الارض طويلاً .
فاعفني عنه . وليكن لك ابناً ، هكذا قال الله
في كتابه ، لا تترك في هذه الحياة حقداً ولا
ثأراً . اعفني عنه . وسيم لم يقتل « طعان » نحن
قتلنا ابنك . اقرأي هذه الجرائد وانظري كم تقتل
الاحقاد من ابناء الامهات في بلادنا

هدى — انا ابنة الحمصي . انا الشكلى ، وهذا قاتل ابني
وسارق ابنتي . مالك تتكلم عن العفو ؟ من تحسبني
انا . مبشر اميركاني ؟ الدم بالدم . تلك كانت
شريعتنا يوم كان الرجال رجالاً .

الدكتور نجيب — اسمعي هدى . لقد عانيت مرارة الموت مئة مرة
حتى ولدت هذه الفتاة ، فواجهي قساوة الحياة
وحدة واحدة لتفسي لها مجال الحياة ، ابنتك صبية .
امامها عمر . وهي زوجة هذا الفتى وحبيبته ، لماذا
تريدن ان تقيمي القيامة على جناية انا اعرف ان
هذا الفتى ليس بمقتوفها ؟ لماذا تريدن تشويش
الحياة على هذين الـ . . .

هدى — اذاً فانا حجرة العثرة هاه ! ؟ ! انا الجيفة النتنة
في هذه المأدبة الشبقة ؟ ! هاه ؟ يا عتي عليك
يا دكتور نجيب تقضي عمرك تعمل الصالحات ،

وتريد في آخر هذه المرحلة تلويث يديك بالدفاع
عن هذا المجرم ، وتبرير زواجه من تلك الحية .
لا أعرف ان مثل هذا الزواج هو زنا . أعرف ما
دين هذا الجيث .

الدكتور — لا ما هو دينه ؟

هدى — (تقرب من الدكتور وتمس باذنه وتنفعل) .

الدكتور — صحيح ؟!؟ هذا دينه ؟! يا لطيف (يتأمل متفكراً)
تعالى نقتله .

هدى — برافو عليك يا دكتور . هكذا تنطق الرجال .

اعطني السكين لأحزّ هذا العنق . اين انت يا لعينة
فتربني انحر ابنك . اطلّبي يا امرأة مجيد الجموي .

الدكتور — (هساً) أووس . على مهلك . قد يرانا الناس

(بهم باعطاها السكين) اذا قتلناه بالسكين يفتضح امرنا .

تعالى نسّم له فلا يكتشف امرنا . (يفتح حقيته)

خذي هذا الدواء . سمّ زعاف نشقة منه تقتل

حالا . (تأخذ الفئينة وتحاول فتحها فيصيح بها الدكتور)

ويحك افتحها تحت انفه اذ لو طار منها

عطسة تقتلك . (تمهل هدى بالمشي نحو وسيم وتصبح)

هدى — « يا لثاراتك يا طعان » ليت ليت الحمصي انف

واحد املاه بهذا السم . خذها من يد بنت الحمصي

مديرة عيبتها الى الناحية (الثانية) .

الى الدكتور فيسرع هذا ويضعها في حقيبته ويقل الحقيقة

• بدالك

_____ (يُنْزَلُ بِهَا الرِّجَالُ وَالْأَنْدَادُ) مات . مات . مات .

ربي ماذا فعلت؟! وسم ولدي لا تمت . بريك يا

دكتور اعطه دواء يرد اليه الحياة من جديد • ربي

المرئور _ (هسأ) أوروس . لا تفضحننا . قلت لك مات

مات . مات . مات . كيف تردن أن بعش

مرة ثانية . ياها انت ملا رجعت ؟!

هـرى — وسيم ابني ولدي حبي لماذا قتلتك . عش مرة

ثانسة وكنى لى ولدأ واللہ سارك زواحك ساره

وانت في حل من دم طعان . احه با دكتور .

كيف تركتني افعال هذه الفعلة يا حكم . أمستحيل

احیاءه؟

الدكتور — مستحيل • لا تفضحنا •

هـرى — اذاً فاعطى زجاجة السم اريد ان انشقها وأموت

يحيى الله ايضاً . هاتما . هاتما . قلت لك .

(يفتح الخفية ويعطيها القينة مترددا) (هدى تأخذ القينة)

ماذا اجيب الله اذا سألني لماذا قتلت روحاً يا

هدى . بخاطرك يا دكتور . (تفتح القينة وتنشق وتنشق)

بخاطرك اني اموت (تنشق وتنشق ثم تنشق ثم تنطلق

بالدكتور وتصبح) هذا ليس بسم (الدكتور يهقهه

ضاحكاً . ساره نطل) اذاً انت كنت تضحك مني .

وسيم حي . حي . حي . شكرياً لله : ما أعذب

العفو . وما أمر الانتقام . ساره ضمي زوجك .

ضحكت مني يا دكتور (ساره ضم وسيم) (هدى

تروح مصففة وغنية والدكتور يهقهه ويمسح عويناته اذ . . .)

ينزل الستار

مجلس الشايفين شال بل شال آتلاو يل شال آتلاو (يفتح حقيقته)
بومته لا يملح نالطه او انم لاصه بومته شال حقيقته منسه تقبل
راحتسا . هياكل لا تلغفال عليه لايضا يتكافى يفتح ويمسح بالدكتور
ويحك افتحها تحت اذن مؤبدا طار منها
عطية تقبل لتبصق لا مدي بعينه مرميه منها
شعرا ليعقنا ان لا نلوا الهالا قطمانا يخطيف آتلاو الحصى رقيقه

الفصل الثالث

نفس المكان في الفصل الاول اذا ترى ان « العلية » قد شاخت وترهلت وفارقتها تلك القوة المعنوية فالشعبدان مقلوب ، والكواردة فارقتها سدتها ، ام وسيم هرمت وثقل سمها وايض شعرها وتقتوس ظهرها ونراخت كلامها ، زليخه لا تزال زليخه انما الان يظهر انها في ازمة جوع . على العاود منه من الساعات التي تدق دقات متقطعة ربما كرة كل نصف دقيقة ام وسيم نفني :

ربي لماذا بني غيبته عن دياره
اعياي حمل سني ومهجتي في غماره
هلا رجعت لأم دنياها انت هلا رجعت ؟
فارقت وهي لهم استسلمت لم هجرت ؟
مهلا ملاك المنون لا تعجلن علي
فقبل نمض جفوني اريد ضم بني
(الساعة ترن . فتنهض اليها ام وسيم كأنها تبغي قتالها)

ام وسيم - اخرسي . اخرسي ايها الساعة فانا اعلم من دون
ان اسمع ثرثرتك ان الشمس أهوت الى المعيب .
ليت شمس حياتي غابت يوم غاب وسيم . وسيم ؟
اين انت يا بني . أفي عافية انت وهناء ؟ في اي

بلاد من بلاد الدنيا مقرك ؟ ما اقفر هذا البيت
 من بعدك ؟ ! كان أهلاً بشخصك يا ملاك أمك
 فصار اوحش من كهف مهجور . عشر سنين
 وليس منك كلمة تظمنها عنك . بيت الحمصي !!
 يخاف ان يكتب فيعرفوا من مكتوبه مفره .
 بيت الحمصي افاعي « وادي الارز » هم . هذا
 مغيب الشمس الذي كان يسحرك مرآه . وهذه
 قهوتك . (ترفع الغلاية) ودواتك واوراقك
 (ترفها ايضاً وتقبها) فهل سطر فيها خواطرك .
 ارجع الى امك ، فانا اقاتل الموت من اجلك فاني
 اريد ان احيا لاراك . ولكن الموت سيغلبنى قبل
 رجوعك (نبي) (كلنا هو يخاطبها) « فنجان قهوة
 آخر ؟ » (مخاطبة السطحية) ادخل يا وسيم (نبي
 حتى نكاد ان تقع ثم ترحف الى كوة في الحائط فتأخذ
 منها كتاباً قد يكون الانجيل او القرآن ، او كتاب
 الحكمة ، او اي كتاب آخر من كتب الله ونصاي
 منتجة راكمه)

زليخة — يا ستي ام وسيم ،

ام وسيم — اينبني نهيقك الى القبر ؟ ماذا تريدن ؟

زليخة — انا جائعة .

ام وسيم — ان الله خلقك بطناً خاوياً . لماذا تجوعين ؟

(يدخل ظطام جريح الرأس تلفه العصاب) انا لست
بجائعة .

ظطام — مساء الحير يا خالتي ام وسيم (لا تسمعه ولا تراه)

زليخة — صار لنا يومين بدون خبز . ان مصارينني في فهي
(يخرج ظطام كمين دبر خطه) .

ام وسيم — ليت مصارينك كانت مشدودة حول عنقك . اطبقي
مطحنة فك . أتريدن ان يسمعك بيت الحمصي
فيشمتوا بنا ويقولوا بيت الحموي جياع ؟ (زليخة
تلتقط فجلة ونطحنها باسنائها) (صوت فونراف
« يا ليل يا ليل » من بعيد) .

ام وسيم — ففغغراف الجماعه . (صوت قهقهة) ضحك وغناء في
بيت الانجاس . جعل الله اعراسكم مآتم يا خنافس
الارض .

زليخة — ابن الحمصي رجع من اميركا ومعه مال كثير .

ام وسيم — سبحانه في ملكه — يجود برزقه على اسقط خلقه .

زليخة — حظهم كبير . حتى نساؤهم لا تند إلا صبيان .
اليوم خلق للحجم عباس صبي .

ام وسيم — خلق لنا عدو !
(يدخل ظطام وفي يده رغيفان)

ظلام — خالي ام وثيم ، امي بعثت لك هذا لتذوقي خبزنا .

ام وسيم — رد الجوز الى امك يا ابني . عندنا من فضل الله خير كثير .

ظلام — ولكنه خبز ثخن احبت امي ان تذوقيه .
(ام وسيم تجيب بدمدمة حنقى)

زليخة — انا اذوقه . (ظلام يعطي رغيفاً الى ام وسيم فتضعه هذه في الخزانة ، ويعطي زليخة الرغيف الثاني فتبدأ هذه بنهشه)
من يومين ما أكلت . (صوت فونوغراف : يا ليل يا ليل)

ظلام — (متطوعاً الى ناحية مصدر الصوت) بيت الحمصي اصحاب كيف صاروا (مغنياً من النافذة : يا ليل ، يا ليل ، الله يلعن ليلكم بهزا نهاركم) يأخذ من حول وسطه مقلعه ، ويرتفع من جيبه حجراً ويضرب به الى ناحية بيت الحمصي)

ام وسيم — اعقل ولا ، لا تحرك عش الدبابير .

ظلام — عش النمل ادوسه بقدمي . قولي لي اكان خالي وثيم يجيني ؟

ام وسيم — خالك وسيم يحب كل الناس . كان عمرك سنة يوم الحادثة .

ظلام — (يسحب سكينه من وسطه ويسنه على حذائه) آخ لو

خالي ابو مرعي يشتري لي بارودة موزر ، في المدرسة .
نفخة مني ترعب اولادهم كلنا امهاتهم ثقتهم زيت
خروج . لعنكم الله يا بيت الحمصي (ييصق)

ام وسيم — لعنكم الله في كل شريعة وفي كل كتاب لعنة
ارددها حتى الموت ، بل اني انهض من قبوري
واصبح : لعن الله بيت الحمصي . (نأخذ غلاية الفهوة
الفارغة وتصب منها وترسل نظرة بلهاء الى الخارج)

ظظام — (يخطف الرغبة من زليخه) اثمعي ثمنك رواية في المدرسة .
من بطلها ؟ بطلها (مشبرا الى نفسه) ظظام فهد الحموي .
زليخه — اعطني الرغبة . اعطني الرغبة .

ظظام ؟ — اثمعي دوري « اناثت على هذي البرايا » .
(يدخل الاغا ثياب كتمه ثياب مشول . رأسه يمز
ويداه ترجفان)

ظظام — (يرجع الرغبة الى زليخه) مساء الخير يا ثيدنا الاغا .
الاغا — مساء الخير يا ابني . كيف جرح راسك ؟ ضربك
ابن الحمصي ؟

ظظام — ضربني ابن الحمصي ؟! جرحي قطبه الحكيم سبع
لغايا . والله قطب . جرح ابن الحمصي ١٢ . من يكون
الضارب انا ظظام ام ابن الحمصي ؟

الاغدا — (يقترب من ام وسيم الساهية ويتحجج) يا ام وسيم

(رافضاً صوته) يا ام وسيم .

ام وسيم — وسيم . ولدي . ادخل الى البيت . قد يضرك

ندى المساء (ضاحكة) بعد مقطع من قصيدة ؟

صفحة من رواية ؟ كلها . عجّل . تريد قهوة ؟

الاغدا — يا ام وسيم .

ام وسيم — (تستفيق) عفواً فانا اكاد لا اسمع طنين اذني .

أتحسب اني مجنونة يا آغا . اليس وسيم خارجاً

(تدل) هناك (نضحك) ألا تراه مأخوذاً بمنظر مغيب

الشمس ؟ يتم شعراً وفي يده قلم وورقة ؟ أحالة

انا ؟ وسيم . وسيم . لماذا لا تجيب امك ؟

الاغدا — انت حاملة مفتحة العينين . من يلومك اذا اصابك

الجنون ؟ وسيم غير معروف اين ارضه ؟ بيت

المحصى يتقلبون بالغنى ويرأسون البلدية ، وبضربون

على النوطرة . سينتزعون العصا من أبي مرعي مرة

اخرى . وانا يحق لي الجنون . ابني خربني منذ

تزوج تلك المومسة في بيروت . يا ام وسيم منذ

هذا الصباح لم اذق لقمة . تغير الزمان (ام وسيم

تركض فتعطيه الرغيف الذي انى به نظام . الاغدا

ينهش (الرغيف) ما اطيب الخبز على الجوع . انت

لا تعرفين آلام الجوع يا أم وسيم .

أم وسيم — الحمد لله على نعمه .

الاغا — اسمع ان جماعة بيت الحمصي يريدون ان يشتروا
ارزاقكم . فاذا كنت في حاجة فلماذا لا تبعينهم ؟

أم وسيم — الارض ليست ارضي . هي وقف الله على اهلي
وانا قيّمة عليه . من أنا لأكفر بالله وايبيع ملك
الله لنخالة الدنيا ؟ ارضا استلمها ابو وسيم من
ابيه . ويسلمها وسيم لابنيه . هذه ارادة الله .

الاغا — بخاطرك يا أم وسيم . (أم وسيم ترجع الى قهوتها)

ظلام — (الى الاغا وهو خارج) ثمنك رواية عظيمة انا
بطلبها اتشع ذنابك دوري « يا ميكروبا فتاكا
ثيفتك بك مصل من قذارة لؤمك . ذرعت الشر
فاحشد الثقاء ... »

الاغا — (مضطرباً) سأراك على المسرح . ما اسم روايتك ؟

ظلام — « المروءة والوفاء او عرب الجزيرة » .

الاغا — جدك الله يرحمه مثل دوراً في تلك الرواية . يا ابني

(سرا) اليس عند خالتك أم وسيم نقطة عرق .

او كاس نبيذ ؟ انا مريض احتاج الى بلعه .

ظلام — عند خالي ام وثيم فينة نبيذ عمرها عشر ثين .

الاغما — اعطني منها جرعة .

ظلام — علي الذبيق والربع ملوك لا يقدر ان يأخذوا

منها نقطة . خالي ام وثيم كانتها خالي وسيم

اثم لي دوري

الاغما — سارك على المسرح . (يخرج) .

ظلام — اثم لي دوري يا ذليخه . الاتحين ان تسمعي ادب .

زليخه — اتركني من الادب (يخطف الخبر من يدها ويهرب

فيصطدم بعمه ابي مرعي الراجع من المطحنة الحامل على

ظهره كيس طحين فيفتح الاثنان تحت كيس الطحين

فينهض ابو مرعي غاضباً ويضع ظلام شاماً ويصيح به

« يا ملعون . رح اربط الجار » . فيركض ظلام

الى الخارج) .

ابو مرعي — (يقعد نعباً) كلما مر يوم كلما استطلت طريق المطحنة

كيفك يا ام وسيم ؟

ام وسيم — (في يدها الساعة الدقاقة) رجع قلبي الى الخفقان .

ان الموت ارسل نذيره .

ابو مرعي — صار الذهاب الى المطحنة بحنة . انتنويلات

وانتنوييلات واطنوييلات . وزمامير وغبار واغراب
راكبه الانتنوييلات . كل واحد يد براسه من
شباك الانطوييل ويرمي كلمه « انفخت دولاب ،
حمارك يا عم » « زمّر على الكوع يا عم » .
« اضرب فرام الحمار » « ناقصك بنزين » . اخ
من هذه الايام !

ام وسيم — يا زليخه . يا بقرة . اين الساعة ؟ الساعة .

ابو مرعي — الساعة بيدك يا ام وسيم (يأخذها من يدها ويعلقها
على العמוד) (الى زليخه) روحي الى العين .
زليخه — الجرّة ملانة .

ابو مرعي — قلت لك روحي الى العين . (تذهب بالجرة) (يدخل
ظلام عارجاً) .

ظلام — آ . آخ . لبطني الحمار .

ابو مرعي — على اي رجل .

ظلام — اليمين .

ابو مرعي — خليه يلبطك على الشمال بتصح . يا ام وسيم معي خبر
هام (الى ظلام) اغلق الباب (ظلام يتفعل) .
وانا راجع من المطحنة ناداني بحري من بيروت

واعطاني هذا المكتوب . مكتوب من خالك
ام وسيم . فهمت ؟
ام وسيم — الحمد لله على هذه النعمة . اقرأوه لي .

ابو مرعي — انا وام وسيم لا نعرف القراءة . اقرأه لنا .
ولكن هذا المكتوب اذا عرف به احد
ووصل الخبر للجماعة ، يصل الخبر للحكومة أفهمت
أفهمت ؟ اذا تلفظت بكلمة اتف ريشك واقطع
لسانك واشويه . أفهمت ؟

ظلام — اذا تلفظت بكلمة اقطع لثاني ، واثلقه واطعمه
للكلاب . لما حرقنا بيادر بيت الحمئي الا تذكر
كم ضربني الجاويش حتى اقر وما قويت ؟

ابو مرعي — اقرأ المكتوب بلا كتر حكي . (ام وسيم تأتي
بالقنديل فتحمله بيدها فوق رأس ظلام . وابو مرعي
الى بين ظلام واجم . ام وسيم منفرزة يرقص القنديل
بيدها . ظلام يفيض الفلاف ويقرأ : « يا امي »)

ام وسيم — يا تقبر امك .

نيميا —
ام وسيم — (يا نيميا)
نيميا — (يا نيميا)
نيميا — (يا نيميا)

نيميا — (يا نيميا)
نيميا — (يا نيميا)
نيميا — (يا نيميا)

المشهر نفسه لا لبس الطحين

زليخة لأول مرة في حياتها هائجة تركض هنا وهناك وتصلح ثيابها .
وتكس وجهها بالبودرة امام المرأة وتكتحل . ثم تقش عن محرماتها
وترجع فتبدر انفها وهي فيما تفعل ذلك تهيد الاغاني التي انشدتها في الفصل
الاول . نظام يخرج من الدهليز ويده قنينة النبيذ .

ام وسيم — هات القنينة يا حرامي . هات القنينة والا خنقتك .

نظام — اما قلت انك ابقيت القنينة ليوم رجوع خالي
وثيم . اقول لك خالي وثيم رجع . اثمعي الحدا .
اثمعي دوي البارود (صوت حداد وقواس من بعيد)
كل اهل الضيعة يلاقونه . حتى الجماعة هناك .
تزوج ابنة هدى . معهم طفل ثبي .

ام وسيم — انحسبني مجنونة ؟ (تضربه) صرت اضحكة الاولاد
في هذا العمر . وسيم يتزوج من بيت الحمصي ! ؟
اخرج من هنا يا لعين (تأخذ القنينة منه) اخرج
ولا تزد على بؤسي وتعاستي هزءك وتمكك .
(لنفسها) تزوج من بيت الحمصي !

نظام — وحياتة الله هذا صحيح .

ام وسيم — (نرجع الى الغناء «ربي لماذا بيني هـ» والتكلم لنفسها

ولشخص موهوم على السطوحه في الخارج . «أتريد

قهوة بعد ، عجل الى عشاائك . بعد صفحة ؟

ثم تضحك وتبكي وتفتح كنانها وتصلي بينما : (

زليخة — ظطام . مؤكد رأيت معه رفيق ؟

ظطام — معه رفاق .

زليخة — اعني رفيق يبروتي ، شاعر ، امبراطور الشعر ،

(تنهد) كلامه ظريف ، شاب حلو .

ظطام — اسمه راجي !

زليخة — اسمه راجي ؟ (تهمس باذن ظطام كلاماً يجب ظطام .

ثم تفتح عنها وتتناول منه ورقة تعطىها الى ظطام الذي

يصرف) (يدخل ابو مرعي)

ابو مرعي — عودي الى وعيك يا اختي . وسيم هنا . هو على

البوابة . انا يا اختي تزوج ابنة هدى وله منها

طفل . صرنا اصهار الجماعة يا المصيبة ! استقبلهم

فهم هنا على البوابة . وسيم بصره ضعيف ،

هدى معهم . كل الجماعه معهم .

ام وسيم — وانت ايضاً تهزأ بي يا ابو مرعي ؟ (نرجع الى النجيب)

(يدخل وسيم ، سارة ، علي ذراعيهما طفل . هدى ، راجي

بإبدالان الكلام مع زليخه . شمدص جهجاه ، قرويون
من بيت الحمضي والحموي ، بعضهم بالباس القرويين ، آخرون
باللباس الافرنجي . وسيم يمشي مشي امي وعلى عينيه
نظارتان زرقاوان كشيقتان)

وسيم — امي . امي . (ام وسيم ترد وسياً عنها جده ثم تتطالع به
غضبي ونصهقه)

ام وسيم — صرت مضحكه ؟! اذا فانت وسيم هاه ؟!
(تقترب هدى وتضحك لها)

ام وسيم — هدى ، أم غلطانه ؟

هدى — لست غلطانه يا ام وسيم . وهذه ابنتي ساره زوجة
وسيم ، وهذا (مشيرة الى الطفل) ابنهما — ابنا .

ام وسيم — واين غدائرك (هدى مقصوفة الشعر) يا لعينة لاختقك
بها . (ابو مرعي يمس كبات باذن وسيم)

وسيم — امي ماذا جرى ، ألا تعرفين وسيمك ؟ (يضحها)
اكانت غيبتني عنك مؤلة الى هذا الحد ، استفيقي
امي انا وسيم (ينترع نظارتيه)

ام وسيم — (راجعها الرشاد فتنبجر بكاء) بلي ، انت وسيم !
(نضمه وتقبله) كيف اخطي معرفتك يا حبيبي .
شكراً لله على رجوعك . كانت الايام بعد هجرتك

قاسية ، قاسية . كل دقيقة كانت حبلى بعذاب الخوف
والشك ، والحنين الى مرآك يا بني . ظمام ، هات
النبيذ واسكب الى خالك وسيم . لنشرب كلنا
نخب رجوعك . انظر الى هذا البيت كيف تتألق
حيطانه (ابو مرعي يفتح القنينة ويوزع الكؤوس على
الحضور . تتطلع به) ما بال عينيك ؟!

وسيم — ضعف موقت . الدكتور نجيب اكد لي ان سيعاودني
بصري .

ساره — (اراجي) غريب كنت انتظر ان يسترد وسيم نظره
اذ يسمع صوت امه .

راجي — لا تقطعي الرجاء .
(صوت جرس حزن من بعيد)

ابو مرعي — ظمام رح انظر لماذا يقرعون جرس الحزن .
(ظمام يركض الى الخارج)

ام وسيم — (يعاودها السهو فتنتفض من ذراعي وسيم وتصيح) ابو مرعي
اني جئت جنونا كاملاً . كنت في الماضي ارى
وسماً على السطحة يكتب . اما الآن فقد مرت
بي رؤيا مرعبة . رأيت هنا ، ورأيت اللعينة هدى
قربه وقد قصت غداؤها ، وابنتها . وعلى ذراعي
ابنتها طفل تقول انه طفل وسيم . ورأيت بيت

المحصى في دارنا وجمعاً من الضيعة كبير . وضمت
وسيم ، وقبلت وسيم ، ورأيت كأنت النور
انطفأ في عيني ولدي . آخ يا ربي ! ابو مرعي ،
متى رجع وسيم لا تقل له ان امه جئت قبل ان تموت
لا تقل له اني مت بجنونة . (هدى تقترب من ام وسيم وتضمها)

هدى — انه حلم يا ام وسيم ولكنه حلم جميل . انظري سيعيش
ابناؤنا سعداء متحابين ، حيث عشنا اعداء متقاتلين .

محمد ص — (مخاطب الطفل) ابوك حموي امك حمصية . خلقت في
المهجر وستنشأ في الوطن — انت امل الغد ، انت الزير
ابو ليلى المهليل .

ابو مرعي — (مخاطباً الجمهور) يا اخواننا بيت المحصى . في تاريخنا
صفحات دامية .

اصوات الجمهور — مزقناها ، حرقناها ، نسبناها .

ابو مرعي — واني اريد ان اتقدم اليكم بتضحية . عصا الناطور
اقدمها لكم يا اخواننا بيت المحصى (يزيج الستار
ويتناول بيده ما يظنه عصا النوطرة ، فتظهر بارودة
حرية ، فيرجعها ، ويتناول عصا النوطرة من جديد ،
بيت المحصى يتهاوسون . ابو مرعي يصيح برجل واقف
قربه يظن انه من بيت الحموي ! « اتظن يقبلون
الوظيفة ؟ اذا فعلوا اضاعوا لي مستقبلتي »)

فيجيب رفيقه « الحق عليك بيت الحمصي لا يؤمنون »

أحمد بيت الحمصي - يا ابا مرعي اليوم في « وادي الارز » لا يوجد حمصي ، ولا حموي ، نحن عائلة واحدة .

الاعفا - فليجي الوفق والاتحاد . هذا ما كنا نسعى اليه دائماً . الوفق والاتحاد .

أحمد بيت الحمصي - نحن جسم واحد له ذراعان حموي : (مشيرا الى يساره)

وحمصي (مشيرا الى يمينه) . (احد بيت الحمصي يشور ويصيح) :
من قال لك اننا نقبل ببيت الحمصي يكونون على
اليمن (فيجيبه احد بيت الحمصي) ومن قال لك نرضى
بيت الحموي على اليمين . (فيسكتها الجمهور) (راجي
بتضاحك مع زليخه خلال المشهد) احد بيت الحمصي متابعا -
رزقنا رزقكم ، وشرفنا شرفكم ، وليس في « وادي
الارز » من هو احق بهذه العصا منكم يا عمي
ابو مرعي (يرجعها له)

وسيم - ما اجل ما اسمع . صار « وادي الارز » جنة
تسكن . اشعر كأننا نصب دونه الف متواليوز وصار
امنع من جبل طارق لقد خفت موازينكم يا بني
« وادي الارز » وتصدر الشيطان مجالسكم فقصرتم
جهودكم على التوافه ، وعلى هدم بعضكم بعضاً ،
ولكني لا اصدق انكم تقهرون . اذ ان كهارب

نفوسكم طاهرة مجوهرة ، وهذه الادران ليست
 في خلايا دمائكم بل هي طفيلية على اجسامكم .
 رواها بالقذارة من روى ارضكم بدم قتلاكم لبني
 من عظامهم سماً يرتقي عليه الى مراكز الزهو
 والرفاهية . على انكم لا تقهرون . فلقد نزلت
 بنا منذ القديم الحن ، والبلايا ، والغزاة ، والتفرقة
 والابغاض ، وزالت الحن والبلايا ، ودالت دولة
 الغزاة ونحن الغالبون ، ان الصدفة رمت بين يدي
 مبلغاً من المال هو رهن ارادتكم ، خسئت نفس
 تستعمل المال لغير خدمة الجار ؟ فمن تصدع سقف
 بيته ، او احتاج الى معونة فهذا بيتي وهذه
 يدي . ان المدفع ، والطباوة ، وكل آلة اختوعها
 الانسان لها حدود لمرامها وتخدم لمدى قوتها ،
 ولكن الانسان ، وهو اختراع الله ، لاحد لما يقوى
 على فعله اذا تكاتف مع اخيه الانسان فضعوا
 ايديكم في ايدي جيرانكم والى الامام .
 نخبكم يا اخوات .
 (اصوات - - كاس رجوعك) .

ظطام — « يرجع لامثاً » - نخب الحمي نخب الحموي نخب العدو

« يخرج ظطام »

سحر ص — نخب الزير وطمس صاحب معدن الذهب . أصبح

تسببنا نأكل يا راجي ان معدن الذهب الذي اكتشفه طمس
ارتفعت اسهمه مئتي مرة .
راجي — مئتي مرة . الخمسة آلاف ريال التي وظفها وسيم
صارت تسوى مليون .

سند صل — فليحي الزير ابو ليلى المهلهل (يأخذ الكتاب من المكتبة)
(جنب بنظرونه) - معي من المعدن مئة سهم
(يفتح الكتاب ويأخذ منه ورقة زرقاء) .

نظام — (يرجع لائثاً) جرس الحزن . جرس الحزن . وصل
من اميركا خبر الدكتور نجيب .

وسيم — noi (اصوات مات الدكتور نجيب . راح الحكيم . سكوت
لثمة رعد) .

وسيم — ساره . ساره . امي . عاد النور الى عيني ، انني
انظر وارى (يمشي في الجمهور) رحمك الله يا
دكتور نجيب ، حتى بعد موتك تقوم بالعجائب .

راجي — (لساره) صحت نبوة الدكتور نجيب . (ساره - تضمه
باكية ممسدة عينيه) .

ام وسيم — (ذائلة مخاطبة السطحية في الخارج) أتريد قهوة ؟

وسيم — اريد الكثير من القهوة . ساغس قلبي في شعاع

هذه الشمس واكتب صفحات طاهرة حارة كروح
الحكيم نجيب .

ظلام — (يأخذ من عبه ورقة) خالي وثيم . نظمت في
رجوعك قصيدة .

زليخه — (الراجي) انا نظمتها له . صاري عشر سنين اشتغل بها .

ظلام — (يقف وقفة خطيب وينشد) طل القمر ...

راجي — (يصيح) آه . يا قمر . وسيم اعطني كولونيا ،
ماء زهر ، أمونيا . آه يا قمر (يقع على الارض اذ :)

ينزل الستار

إذا ثار تصنيق الجمهور فليظهر الممثلون هكذا - شمدص يقرأ في
كتاب الزير . ام وسيم ذاهلة تفني « ري لماذا بني » . زليخه وراجي
يتفازلان « يطل القمر » . اولاد العرب يفنون : « نحن الاثاوسة اولاد
العرب » . ابو رعي يقدم عصا النوطرة لبيت الحمصي . وسيم وساره
يتطلعان بينهما . هدى تخاطب الطفل والدكتور نجيب بعيد عن الجمهور ،
خلفه كأنه طيف بلباسه الطبي الابيض بيتسم ، وينظف نظارتيه . الاغنا
مشوتم يلعب المسبحة وجرس الحزن يقرع . ظلام في يده ورقة خطابه
يهم بالفائه . فرج الله يعد كدسة فلوس .

الشيخ الأسود الشيخ الأسود

وقصص أخرى

كنا في الحرب التي سموها القس ، وكان أي على هذه القاف التي
 خرجت لبنان ، في سنة وسعانة . ذلك لانه كان مرميا في منطقة بالسكرات
 الحبل الآفاري - إذا حدثني الذاكرة . ووظيفة بالسكرات في تلك
 الأيام كانت متفرقة راية . يقضي نوره خلف طارئة تكسبت عليها
 أوراق فاحش متراصة حوله صبح الأرض وروكش الحيطات .
 وأردت بعرة من أقلام نصب ، ما ريت قدام لي من أي في ثقلها
 إلى أمانه . تحسن بقائه الحارة وأضياءه فلا كرسيا يشعني اعتدائه

عقلا اچل شانا

در خلاصه

ان يكونوا فيها ، ويصر بصوت مربع على الحجاب ، وعلى الكتبة .
وان اتفق ان نزل الى السراي رجل من ضيعتنا ، قبل الرجل يد ابي
وسأله عن حال الجناح .

ويضرب البورجي دقته العسكرية عند العشية فينفر الموظفون من
غرفهم ويجمعون في ساحة السراي ، حلقات حلقات وكلهم « بكوات »
و « مشايخ » فرقتهم الاديان ، وجمعهم رابطة الصداقة لبعضهم ، والبغض
لاولئك الاعداء الذين يشتهون ان يكونوا في الكراسي التي يقتعدها
اولئك الموظفون . ثم ينصرفون الى بيوتهم على اشهى ما يكون .

الوظيفة في يده ، وموسم الزيتون كان مقبلاً عام ١٩١٦ . وجورج
بك الاندري - ذلك الموظف الزحلاوي المرح - يرسل له العرق هدية
بعشرات القناني . وتلك العصبة من « وجوه » لبنان يجمعون في منزلنا
على طاولة عرق كل عشية ، فهل تعجب لابي ان يكون سعيداً ، كثير
الضحك ؟ وكيف لا يكون كثير الضحك من كان صفيّه اليوزباشي
الياس بك الحوري ، الحفيف الدم ، الحاضر النكتة المجاز ؟
وكان شقائي انا بقدر سعادة ابي . فقد كنت غلاماً في العاشرة في

مدرسة رهبان ، معلوها ، وتلامذتها مسيحيون ، وانا فيها الدرزي الوحيد .
وكانوا بالطبع يشتهون النصر لفرنسا ، وكنت اشتهمه لتركيا ، وكنت
غلاماً جبناً خجولاً يتأكلني البغض - بغض النصارى - وتحنقني الوحدة
اذ ليس لي في المدرسة عشير . اما في البيت ، فأمي قد غلب عليها الخوف
فهي ابدأ جازعة ان يشي بأبي واش الى الاتراك ، والخوف من الفاقة ،
وهي حريصة ، تخشى ان يطول الحرب وينزل بنا الجوع شأن سائر الناس
واختي واخوتي ليسوا بعشرائي فانا كبيرهم . وليس اتيس بمن يستبق

أخوته الى هذه الدنيا فيكون كبيرهم لا عشيرهم .
وكان اولاد المدرسة يأتوني كل يوم بألف قصة . غدا تنزل جنود فرنسا
في بيروت ويحتلون البلاد . وغدا يفتك بالدروز جنود الفرنسيين . بل ربما
يرحموني فيقطعون مني اذنًا واحدة ، ويفقأون عينا واحدة فقط لا غير .
وزادت في شقائي « خزما » تلك الخادمة الشيطانية البطاشة ، الحقة الدمية
القاسية ، ما رأيت عداً قتالاً مثل عداها للمسيحيين والمسيحية ، فهي في
صباح الاحد ، اذ تفرع اجراس الكنائس ، تخفي رأسها تحت الحاف
وتنفذ شتائم تثقب الحاف ، وتنفذ من السقف ، وتحرق قرميد البيت ،
ثم ترتطم بصوات الاجراس في الفضاء ، فتفجر قذائف قتالة . وكم
مرة لقيت حول عنقي اصابعها الفولاذية وصاحت « ادخل الى المطبخ
يا لعين ، ألم يكف ان حكم الله علينا بالعيش بين المسيحيين ، حتى جئت
انت تريد علي المصيبة بالتحدث الى « فرانسوا » ابن الجيران ؟ ثم تشدني
الى داخل البيت . مسكين « فرانسوا » لولا « خزما » لكان لي خلاً وفيلاً
اميناً ، ترى ابن فرانسوا الآن ؟ ابدكر كيف كنت اهرب له الرغيف
من بين حديد نافذتنا واستبدله باللوز الاخضر الذي استحله هو من بستان
الرهبات ؟

لهذا ضاقت نفسي بالناس ففاض كل ما فيها من عاطفة وتعطش الى
الالفة ، على حيوان . بلى ، كان صاحبي الوحيد وصفي في تلك الايام
حمارنا « العمروجي » الكبير الذي اطلق عليه خالي اسم « جمال باشا »
تحقيراً لحاكم البلاد . فمن الالغاز التي لم اكن افهمها كيف كان اهلي
يمقتون الاتراك ، وكيف كانوا على إلفة والنصارى ، ولماذا شئت انا
على بغض المسيحيين ، حتى « خزما » لم تفهم ذلك اللغز ايضاً .

ولقد بادلني الود ذلك الحمار ، فكنت اتحدث اليه واعتني به وامتنطيه ، فكان علي كبر جثته وشدة شكيمته لي مطيعا ، وكنت ازردهي به فليس في قرية « الحدث » ولا جوارها حمار له شبيه . ألا فليهدني التلاميذ بجنود فرنسا ، وليهزأوا بي ، وليتبعني فيليب واخوه ميشال بالحجارة حتى خط السكة الحديدية ، فانا في كل يوم احد فارس اركب « العمروجي » واسمع الناس طنين اجراسه .

وكان الذل والشقاء والاضطهاد الذي توطن نفسي يجد منصرفاً في يوم الاحد . الله ، الله ، ما اجمل تلك المرعشة التي كانت تهزني اذا همز بقضيب التوت تلك الرقبة العضلية السوداء ، فيرمح بي « جمال باشا » وانا متعلق باصابعي بحلقة الجلال تدبغ فروستي جلبة من غوغاء اجراسه . اي فاتح دخل اية مدينة على اي حصان ابيض شعر بمثل تلك النشوة !!

على ان امتطائي الحمار في يوم الاحد ، لا يتم بغير بعض طقوس ، اهمها ان استأذن ابي ، لذلك ففرت من فراشي فجر يوم ١٧ نيسان من العام ١٩١٦ وفتحت عينين مدهوشتين اذ رأيت ابي بلبس ثيابه واممي تروح وتأتي باكية غصبي ، والمصباح في خارج البيت مشعل وقد وقف بقربه اليوزباشي الياس بك الحوري وفي يده مسدس ، وحوله جنود ، وفي الزاوية ضابط غريب المظهر يدخن سيكارة ويقتل شاربين . الله ، ماذا جرى ؟ اتري صدق اولاد النصاري ، وجاءت فرنسا وجاء هؤلاء يقتلوننا في مطلع ذلك الفجر ؟ والياس بك الطلق المحيّا ، الذي ادعوه « عمي الياس » لماذا يشهر المسدس على ابي ؟ ترى اصدقت « خزما » برأيا في المسيحيين ؟ وأفقت من وهلة الدهشة الاولى ، فارتدت ذاكرتي الى الحادثة المهمة في صباح كل احد ألا وهي ركوب الحمار ، والى أهم الطقوس - استئذان

والدي • فقلت : « ايتي التسمح لي بامتطاء الحمار ؟ » فاجابني ذلك الجبار
 بلهجة جزعة لم اسمعها منه قبل « افعل ما تريد ، انت رجل البيت
 منذ الساعة ! »
 الله ما اكثر الغاز ذلك الفجر !
 وتنبأ ابي للمسير فسأل مخاطباً « عمي الياس » ثمشي ؟ فاجابه هذا امرا
 عابسا « امش » ومشى ابي في الطليعة الى خارج البيت ومشى الجنود
 والياس بك مصوب مسدسه الى ظهر ابي ومشيت انا خلف تلك الجماعة لا
 افهم ماذا يجري . ثم تقدم الضابط التركي الى الياس بك فتمتم كلمات
 تركية وانصرف بثلاثة جنود ، وبقي « عمي الياس » وجنوده سائرين باي
 مسدسه . فلما انقطع وقع اقدام الضابط التركي ، وضع الياس بك
 مسدسه في جيبه واقبل على ابي يقبله ويبكي كالاطفال .
 حقاً انه نهار كثير الالغاز !
 « ارخص يا محمود من هذه الطريق ، وانا ارخص في الطريق المعاكسة
 فان رجعت التركي قلت له انك هربت ولم تقدر اللحاق بك » .
 « وهؤلاء يا الياس » قال ابي مشيراً الى بيتنا « من يحبهم من بطش
 الاتراك ؟ » واجهش الاثنان بالبكاء .
 وفتحت نافذة بعنف من عل ، فتطلع الصديقان ، فاذا في النافذة سليم
 بك ملك تتوج رأسه قبوذة صوف وتبدل شارباه من النافذة بهمان بالسقوط
 « محمود ، الياس ، ما الخبر ؟ » صاح سليم بك .
 لا ادري لماذا لا اذكر دين سليم بك ملك فها قد مضى على تلك الايام
 ثلاث وعشرون سنة وفي وسعي ان اخبرك عن دين جميع موظفي حكومة
 جبل لبنان في تلك الايام . اقول لك ان احمد بك البدوي مسلم شيعي ،

وحنا بك كنعان روم - روم ارثوذكس . افدر ان اسمي دين كل واحد منهم ، الاسليم بك ملك ، لا ادري لماذا لا اذكر دينه . لعل دعة نفسه وصفاءها وطيبها ، قصرت عن ان تطبع في ذاكرتي الكثير من مميزات الرجل . وميزات الرجال في تلك الايام دينهم .

وصعدنا الى دار سليم بك فاخبره ابي ان امرا صدر من القائد التركي بالقبض عليه وانه سائر الى حيث يؤمر - ربما الى منفى او مشنقه . فاطرق سليم بك ، ثم افقل الباب ، وهرع الى المطبخ فتناول ازميلا وقرص قرب الحائط واخذ يقلقل بلاطة في ارض المطبخ حتى انتزعها ، وتناول من تحتها صرة ملؤها ليرات ذهبية فاعطاها الى ابي قائلا « خذها ، هذه كلمات فصيحة يفهمها الحكام ، لعلها تدفع عنك نقمة » . وراح الاثنان يتجادلان فاصر ابي على ان لا يأخذ الذهب ، واصر سليم بك على اعطائه اياها الى ان اتفق الاثنان على اقتسامها ، فحملني ابي نصف ما اقترض على ان ارخص بالليرات الى امي ، واخذ هو الشطر الثاني .

وكان الضجة التي اثارها عرض المال ، ورفضه ايقظت « جميلة » ، طفلة في السادسة من عمرها ، هي وحيدة سليم بك ملك ماتت امها منذ شهر فهي الحياة لايبها . وفتحت « جميلة » الباب وفقرت كالارنبه حافية القدمين نحو ابي وصاحت « شكولاته » . ذلك ان ابي كان يحتفظ دائما بقطع الشكولاته - ماركة نستله - للطفلة جميلة ، فما لقيها مرة الا واعطاها قطعة او قطعتين - على غلاء الحلويات الافرنجية في زمن الحرب . فتش ابي جيوبه فلما لم يجد فيها حلوى تطلع بي وامرني : « في غرفة النوم بضع قطعات ، لا تغفل ان تعطيها الى جميلة » .

كان ذلك آخر عهدي بجميلة فاني حين قمت الى البيت وحملت

الشكولاته الى « جميلة » لقيني « فرانسوا » واقنعني ان اقتسم الشكولاته بيني وبينه .

كان الاسبوع الذي تلا يوم ذلك الاحد فاجعا . فقد علمنا ان ابي توفي الى الاناضول وقد لا يرجع .

وقر القرار على هجر « الحدث » والرجوع الى قريتنا في الجبل وبعنا من ادوات المنزل ما قدرنا ان نجد له مشتريا وبعنا . ويا الفاجعة - الحمار العمروجي . وكان الايام لم تقنع باضطهادي فلم يكف اني فقدت « جمال باشا » حتى كان مشتريا الحمار ، ابو فيليب والياس ، فاطلق هذان اللعينان على الحمار اسما ... يا ويلي من ذلك الاسم . لاهترعنا كلما ذكرته . لا تسألني ان ابوح لك بذلك الاسم .

ويوم الرحيل اذ نحن تنهياً لركوب العربى الى قريتنا في الجبل مر فيليب والياس و « جمال باشا » امامها وقد اعتلته اربع جرار ماء ، وهما يضربانه ، ويشتمانه وامش يا . . العياذ بالله من ذلك الاسم .

ولقد اصاب بالصمم فافقد استماع كل صوت ، الانهيق « العمروجي » اذ نحن نركب العربى في طريقنا الى الجبل ، والعمروجي مسمّر حوافره امام بيتنا ينهق حزنا ، تعلوه الجرار ، وتنهال عليه ضربات فيليب والياس وتقطر عليه الشتائم . وتحركت العربى بنا . واجراس الكنائس تقرع . فسدت « خزما » اذنيها - لتقرع الكنائس اجراسها ما تشاء ، فلن نسمعها خزما بعد اليوم فنحن في طريقنا الى بلاد الدروز .

استمرت الارض في دورانها ، وبقي من عليها في غفلة عن سير الزمان

— عاماً ، خمسة ، عشرة ، عشرين — وها أنا بعيد عن لبنان ، في الشرق الأقصى ، وائي عاد من منفاه ، ورجع الى البيت يرأسه ، وقد طمست الايام الكثير من الذكريات ، وغيبت الكثيرين من الاحباب والاصحاب وعرفتني الى الكثيرين . ولعل احب الناس اليّ في هذا المهجر ، فؤاد الحوري ، الذي وسعت نفسه لكل غريبة ، ومن الغرائب ان يكون فؤاد هذا ، ابن اخت الضابط الياس — عمي الياس — الذي ساق ابي الى منفاه ، ونحن في هذا المهجر ، قليل عديدنا ، كثير تباغضنا ، اغراب عن بعضنا ، ثقافة ، واطباعا وتربية . لذلك وجدت في فؤاد الحوري خير صديق اذ تشابهنا بالكثير من الصفات ، وصرنا نجتمع مساء كل يوم بعد الانصراف من الاعمال ، وصار الواحد منا يبوح الى الاخر بكل ما في نفسه من اخبار واسرار . وكان من الطبيعي ان اخبره عن خاله الياس ، واحدته بنبا مروءة سليم بك ملك ، واعترف بشدة تشوّقي الى ان اقيه ، او اجدا من اهله ، دين معروفه .

وفؤاد هذا من المهاجرين الذين جاهدوا وشقوا ، فهر غريب في مهجره غريب في بلاده اذا عاد اليها ، اعزب كثير الزوجات ، لا مال ولا عائلة ، يستعين على خدع نفسه بان يزيف ما حوله ، فهو مرجح كثير الدعاب ، يتناول الحوادث والاشخاص بلسان ساخر لذاع . وقد وجد في قصة سليم بك ملك ، وخاله الياس واللهجة الشعرية الوقرة التي اقص بها رواية منفي ابي ، ملعباً لهزه ، فمسخ القصة وتلاعب بحوادثها ، وجعل مني كاريكاتورا يخطف الحلوى من افواه الاطفال ، ويسرق الاثار من بساتين الرهبان . ولكم دخلنا الرستوران فدفعني ثمن ما نأكل ، قائلاً « احسبني من بيت ملك » واذا ركبنا التاكسي سبقتني الى الخروج منها مشيراً الى السائق ان يقبض

مَنِّي صائحاً « قَدِّدْهَا عَلَى حِسَابِ خَالِي الْيَاسِ » . او احسبني من « بيت
ملك » . وليلة اجتمع فؤاد ورفاقاً على طاولة بوكر، فنادوا علي فلم اذهب،
وتلفنوا لي فلم اجب ارسلوا لي شوفر صديق ، اخبرني ان في البلدة غربياً
من بيت ملك يسأل عني ، فلما ركبت السيارة ، ركضت بي الى حيث
فؤاد والبوكر .

وحقاً اني لأجهل لماذا تضخم الايام في مخيلتي صورة سليم بك ملك ،
وابنته « جميلة » . الآن العمر كشف لي عن غدر الناس ولؤمهم ، فكبر
سليم بك ذا المروءة اذ قابلت بين فعله ، وفعل الناس ؟ ام لأن الوفاء
الشريف في الرجل الذي اقتلع بلاطة داره واعطى صديقه كنزَه في ساعة
الضيق ، وفي زمن لا يسمح الرجل فيه عن لقمة ، كان بنفسه عملاً نبيلًا ؟ ،
ولكن الذي لا اجهل اني حملت في نفسي املاً خفياً هو ان الزمان سيبح
لي يوماً من الايام ان افي بيت ملك صنع الجميل ، فما سمعت بان مواطناً
قدم مهجرنا الا خفت استغفبه ، بلباقة ، هل هو ذو قرابة بسليم بك ،
وما سمعت بامرأة نزلت مانيلًا الا قلت لعلها « جميلة » !!!

لذلك لا يصعب عليك ان تتصور فرحي حينما استلمت من ابي في ١٨
حزيران سنة ١٩٣٠ رسالة يقول لي فيها ان قريباً للمرحوم سليم بك ملك
- هل تذكره يا ابني؟ - هل اذكره ؟ - جاء ورجا الى ابي ان يسألني ان
ازور بلدة « ايلوكون » التي تبعد عن مانيلًا ١٢٠ ميلاً ، فان جميلة ابنة
المرحوم سليم بك - هل تذكرها يا ابني ؟ - قد تزوجت في اوستراليا ،
وانتقلت مؤخراً الى تلك البلدة القريبة منكم ، واذا كنت يا ابني قد نسيت
المرحوم سليم بك فهو ... (وهنا قص علي ابي الحادثة التي صار لي
عشرون عاماً اكررها) فابذل لها كل مساعدة ، واذا لزمها المال ، وكنت

أنت على غير سعة ، فارسل لي تلغرافاً ، فليس بكثير علينا ان نبيع
سقف البيت لاسعاف ابنة الذي اقتلع بلاط داره فاعاننا في ساعة الضيق .
وركضت الى فؤاد الحوري اذيع عليه الخبر واستودعه اذ عزمت على
السفر حالاً الى « ايلوكون » فودعني واستوقفني متسائلاً من اين لي اجرة
سيارة ، فلقد اعمانني الفرح عن رؤية بؤسي ، وتذكرت ان جيبي اطهر من
قلوب القديسين . غير اني غني بالاصدقاء فصحبت احدهم الى مصرف
وامضينا ورقة وخرجت بمائتي دولار وتلفتت الى صديق آخر فارسل لي
سيارته الفخمة ، واصلحت من شأني ، وطففت حوانيت المدينة فانتقيت
اجمل علبة من شوكولاته « نستله » وملأت جيوبي من الشوكولاته ايضاً ،
وغادرت « مانيللا » ميمها « ايلوكون » وفي يدي اسم زوج « جميلة » وفي
قلبي موجة من السرور .

والرجل في المدينة غلة في وكر غل . فما برحنا العاصمة حتى صرت
اضخم واعظم ، وصار ما حولي يصغر . فمن بلدة صغيرة ، الى قرية ، الى
خاضية ، وكنا كلما توغلنا في الطريق كلما عظم شأننا وحقر ما حف بنا . وانا
ساه ، حالم ، لا ارى الا جميلة ، طفلة في قميص النوم البيضاء تركض الى
ابي حافية بقدمين صغيرتين حمراوين ، تصفقان على ذلك البلاط ، وتنادي
« شكولاته » . ثم ارى نفسي حاملاً « الشكولاته » من بيتنا فيلقاني
« فرانسوا » ويقنعني بان اقتسمها معه . ساخر جميلة بتلك القصة . ساترف
لها بانني كنت لصاً . ساقبلها واناديا « يا اختي » . ساعانق زوجها . بل
ساداعبها واتظاهر بانني بائع شكولاته .

واحاول ان اتصورها امرأة او فتاة فيعصاني الحيال ولا اراها الا
طفلة .

ووصلنا البلدة وهي صغيرة غير انها آهلة ، ضجاجة الاسواق ، اذ ان
فرقة من الجيش الاميركي عسكرت في ضواحيها ، فسالت اول من لقيته
عن العنوان الذي في يدي ، فدلني على البيت حالاً وابتنس .
ووقفت السيارة امام البيت فققرت الى الباب وقرعته بشدة كصاحب
الدار اذا عاد اليها ، فجاءت خادمة ودعتني الى البهو ثوراً حيث لقيت امرأة
متقدمة في العمر ، ضخمة تتكلم الانكليزية ، بلدغة روسية ، قلت في
نفسي لعلها حماة « جميلة » فواظنونا حريصون على انتقاء ما يأكلون وما
يلبسون ، غير انهم ليسوا شديدي العناية في اختيار من يتزوجون . ولقد
اسرفت السيدة بالترحاب بي وانها لت علي بصوب من الاسئلة ، فلما علمت
اني بلجمة مواطن ، التفتت نحو غرفة تلاصق البهو وصاحت « جميلة » ان
بيننا ضعفاً هو لك مواطن . وسألني بلطف ان كنت ارغب في اكل او
شرب ، فاعتذرت فالحق وقالت « دعني آتيك بكأس من شمبانيا .
شمبانيا ؟ ها انا ساجتمع بجميلة بعد هنيئة وهذه جيبي امتلأت بالشكوتة ،
وبين يدي منها صندوق هوذا الايام قد عدلت فسهلت لي ان آتي معروف
سليم بك ملك . متى يشرب الرجل شمبانيا ، اذا لم يشربه في ساعة
كهنه ؟! » « اني لأشكرك على كأس شمبانيا يا سنيوره » .

واطلق المدام لساني ، فرحت اتحدث لمضيفتي بنشوة وحماسة ، وكان
النهار حاراً والشمبانيا حامية فتجمّر وجهي وتوترت اعصابي .

واخيراً سمعت حركة في غرفة « جميلة » فخقق قلبي ، وانفتح الباب ،
فقطعت فاذا بضابط اميركي خرج من الغرفة مسرعاً ، مغطياً وجهه
بمنديل ، واطلّت جميلة ، امرأة ضخمة منفوخة ، متبذلة العهر تلبس فوق
جلدها قميصاً ارق من خيال جبران خليل جبران . فغمزتي ضاحكة خشنة

حام البولفار

رأيت معدماً يأكل قملة من جوعه ، وأبصرت أمّاً تشهد كلاب البحر تنهش طفلتها حية إذ سقطت من باخرة ، وتطلعت الى أبوين يريان اطفالهما يحترقون في بناية تلتهب ، ولكنني لم أر شخصاً أحق بالشفقة من ذلك الذي يقرأ الجريدة من أولها الى آخرها .

إذ ان قراءة كل كلمات الجريدة تدل على عزلة عاطفية وجفاف روحي ، وفقر عقلي . كجائع يأكل كل ما يقدم له ، او غريب في ثمارة يشارب أيتها يلقاه ، وكعفل يستطيب التحدث الى أيّ من فتح فمه .

أما فهد سرحان فقد كان جالساً على مقعد خشبي في « البولفار » لا يقرأ جريدة بل يعيد قراءة الجريدة ، وأوجع من هذا ان الصحيفة كانت تحمل تاريخ اليوم السابق ، وافجع من كل هذا ان فهد سرحان ما كان ليقرأ تلك الصحيفة لو لم يجدها مطروحة على « البولفار » لعلها كانت لفاقة سندويش ، طرحها من أكل السندويش فمن اين لفهد ثمن صحيفة في هذه الايام ؟! فهد الجالس على المقعد الخشبي في « بولفار » مدينة « مانبلا » كان افقر من جرد الصحراء ، فلا تخدعك اناقة ثيابه فهذه اشتراها يوم كان يدير محل ابناء اخيه : ابراهيم ، ومالك ، ونجيب سرحان في مدينة « ماسباتي » البعيدة عن « مانبلا » . ولقد جرى بينه وبين ابناء اخيه — والمحل مسجل

باسمهم — عراك فطر دوه ، فجاء الى « مانىلا » يبتغي عملاً او اسعافاً من
 ظنهم اصدقاءه من المواطنين ابناء العرب فأعرض هؤلاء عنه . مضى زمن
 كان فيه فهد سرحان ينزل « مانىلا » فتولم له الولائم ، وتصدق له « الكبة »
 وتغتصب له القهقهات على تلك القصص التي ما زال يكرر سردها من يوم
 وصل الى « مانىلا » عام ١٨٩٨ . إذ ماذا يريد منه ابناء العرب اليوم
 وليس في جيبه ثمن ثوب جوخ وليس في وسعه شراء دزينة برانيط ، وابراهيم
 قد كتب الى المواطنين جميعاً ان من يمدّ يده باسعاف الى عمه فهد ، فهو
 عدو لابراهيم ، ومالك ، ونجيب سرحان ، يقطعون الشراء منه ، وهؤلاء
 هم ذوو شأن في التجارة . وفوق هذا فقد كان فهد ثقل الظل موحد
 الحديث ، وجاء بقصة عن ابناء اخيه يفتتحها ب : يا ليت اخي خلد سعدانا ،
 وحملًا ، وضبعًا ، ولم يخلف ابراهيم ، ومالك ، ونجيب : ثم يقص عليك
 كيف غدر به ابناء اخيه ، ويختمها « الله يعق مرقذك يا اخي على هؤلاء
 الابناء الذين انجبتهم » . ويكرر حوادث لؤم مضطهديه ، ونسبه هو ،
 ودناءتهم ومروءته — ومن روى عليك قصة هو بطلها ، وخصمه نذلها ،
 فاعلم ان الرواية كاذبة يقصها كاذب — ثم يخلط فهد عربته الجبلية ، باسنيولية
 مكسرة سمجة يحسبها قاموسية لبقّة ، فلا عجب ان تجنبه من يعرفه وصاروا
 يتمشون على الجانب المقابل من « البولفار » ويعرضون عنه .

لذلك راح فهد بعيد قراءة الجريدة من جديد . وكان مشهد مغيب
 الشمس رائعاً يسحر ، فلم يابه له ، وكان البحر على خطوات منه فلم يبصره ،
 وقطع الاسطول الاميركي مراسيه على بعد مئة متر فلم يكثر به ، والناس
 زرافات ، وضحكات ، وفهد لا يتطلع ، وحرارة الطقس مخدرة ، والجو
 ساكن فلا نسمة ولا هينة ، وفهد يلتهم حروف الصحيفة مشدوهاً الى أن

عثر بصره بسطرين ، فانتفض كأنما قرأ ان نمره يانصيب يحملها قد ربح ،
اما الحبر الذي هزّه ، وجر وجهه ، وألهب بالاحمرار أنفه حتى لتكاد أن
تشعل به سيكارة وهو :

« اخبر الطيار » جونسون « انه في طيرانه الى « مانايلا » لاحظ أن
البركان « مايون » تعلوه غيوم لعلها بخار حمم . وأثبت هذا الظن برقية من
مدينة « ماسباتي » ان ارتعاشات ارضية هزّت المدينة في اليومين السابقين ،
فقد يكون البركان ثار من جديد . فتنهد فهد ، وحدث نفسه ، أن
الأقدار ستنتقم له وراح يحلم : مدينة « ماسباتي » تعشش في سفح جبل
البركان مايون ، البركان الهادي الذي تحدث كتب التاريخ انه طمس
المدينة مرتين في الجيل الغابر . بلى ، فهذا البركان سيثور ، وتسيل حممه
أنهاراً على « ماسباتي » هوذا اللئيم ابراهيم يمشي في سوق المدينة متبخرّاً
قطوف اللحم . ها هو ابراهيم يكادها ويحاول الهرب منها فتغمره بنيوانها
السائلة وتسلقه . ابراهيم مات مسلوفاً . لعل النار ليست من الحماوة بحيث
تقتله بسرعة ، بل تعذبه على مهل حتى تميته . آه ما اجمل منظر ابراهيم يطفو
ويغطس في نار سائلة . اما مالك - مالك عابد الدولار - فقد فاجأته الهزة
وهو يعد الفلوس ليحملها ويودعها البنك . ها هو قد فرغ من عدد الألف
الاول ، وبدأ بالثاني . فاذا بالارض ترجف... وتميد... وتميد... ومالك
قابض على كدسات الدولارات . لينأ بالدولارات (وهنا قهقهه فهد)
فالبنية تهدمت على رأسه . لا لم تصب رأسه ، بل سجنته بين انقاضها ، فهو
سيموت بعد يومين ، يموت مفتوح العينين عالماً ان الدولارات لن تُقيد له
في البنك . هو يصرخ ويستنجد.... مت على مهلك يا مالك .

بقي من الاخوة الثلاثة ، مضطهده ، اصغرهم ، والأمهم نجيب . كيف

يموت نجيب ؟ ينقطع شريط الكهرباء عليه فيقتله ؟ لا . هذه مينة سريعة ، لا تطفي الحقد في قلب فهد . اذن فنجيب يتنزه في ضاحية مدينة « ماسباتي » وفي ضاحية المدينة تكوّم هضبات الاقدار . ولكم تفرّز نجيب ، المتعنت الانيق ، من رؤية الاقدار ، بل لكم صاح « أما آن لادارة الصحة ان تنظف المدينة من هذا المنظر ؟ بل هو يتنزه في الضاحية . الارض مادت والعباد بالله ، وها هو نجيب بين كوم الاقدار التنة كلما حاول التلصص ، غطس . مكانك نجيب ! ستنظف دائرة الصحة المدينة من بعدك يا « حبيب » عمك . وكان فريد يحلم بهذا ويقيقه والناس يمرون به ويبتسمون . ونسي فهد جوعه وبؤسه ، وتطلع الى البحر فأبصر دارعة امير كينة رفعت مرساتها واقتربت من الشاطئ ، ثم ثنّاءب نشواناً بحلمه ومدّ ذراعه الى خلف المقعد ، بحيث انقلب رأسه وكاد شعره يمس الارض فداخ وتطلع الى البناية خلفه بنظرة المقلوب فأبصر انوارها ترقص وتكاد ترتطم ، وكأن الارض تسبح تحت قدميه ، وكأنه سمع اصوات استغاثة . لعل جوعه وحلمه أوجيا اليه هذا الشعور ، فجلس الى المقعد دائخاً ، ففاجأته المياه بل جذبتة في تيار نحو تلك الدارعة التي كانت تقترب ، ودار حول الدارعة ساجحاً بحيث حملقت به رفاصات ، كل واحد منها ذو ثلاث شفرات قاطعة هائلة . ولم يدرك الاّ والتيار يدفعه الى رفاص الدارعة ، انه حلم حلمه معكوساً وان الهزة التي استبهاها لـ « ماسباتي » قد نزلت به « مانيللا » !

عن سجلّ البوليس :

« ان الـ ٧١٦ جثة التي وُجِدَت بعد الهزة الارضية التي هدمت « مانيللا » في الاسبوع الماضي عُرفت اسمائها ، ولم يبق لغير الـ الاجثة التي وُجِدَت على شاطئ البولفار مقطوعة الرأس كأنها فصلت عن رأسها بمقصلة .

الشيخ عجّاج

في ١٣ اوجست عام ١٨٩٩ حطم الاميرال «ديوي» باسطوله الاميركي، اسطول اسبانيا ، في معركة بحرية على شواطىء مدينة «مانيلا»، وزرع الراية الاميركية ، حيث اقتلع العلم الاسباني .

وفي ١٣ اوجست عام ١٩٣٩ كانت مدينة مانيل تلبس اثواب الكرنفال، تعيّد يوم ظفر الاميرال «ديوي» ، وكان يدخل «مانيل» عن طريق مرفأها شخص يتبختر مزبطراً ، تحسبه الاميرال «ديوي» تقمّص وجاء يشهد العيد الذي يقام من اجله، ويتذكر ذلك الفتح الذي سجلته له الدنيا في تاريخها .

ولو ان احداً هزّ عن نفس الشيخ «عجاج جاد الله» اسرارها، لاكتشف ان الشيخ عجّاج ، المتبختر المزبطرّ على رصيف مرفأ «مانيل» ، يحسب نفسه ارفع منزلة من الاميرال «ديوي» ، كيف لا ، وهو من مشايخ جاد الله زعماء قرية «سحتوف» ، اللبنانية — منهم الشيخ فرهود العباس جاد الله الذي خنق النمر بيديه ، ومنهم الشيخ حسّون اسعد جاد الله الذي هزم جيش نابليون في عكا ، ومنهم الفارس الشيخ هوش جاد الله من

برّح العطش بفرسه ، واعياه الماء ، ففتح وريد زنده وسقاها دمه ، ومنهم
الشيخ جاد الله جاد الله ، الذي جاءه بيروتى يبغى شراء قطعة من اراضيه
ليبتني فيها « هوتال » ، فصاح به الشيخ جاد الله جاد الله ان كل اموال
بيروت لا تشتري شعرة من ذنب بقرة مشايخ جاد الله - تلك البقرة التي
ماتت في العام الفائت ، وانه في وسعه ان يقتلع بيروت بنفخة ، ويطحنها
بضربة ، ويفرقها ببصقة ، ويلعن دين المال الذي جرّ خواجات بيروت على
وقاحة محاولة شراء املاك مشايخ لبنان .

وشبخنا عجاج لم يأت « مانىلا » سائحاً ولا فاتحاً ، فهو قد هجر لبنان
حين تغيرت الدنيا واثرى ابناء « العامة » ، والمشايخ قلّ احترامهم .
وحان زمن دفع الرهن عن املاكه ، فهجر لبنان الى اوستراليا ، حيث
اكثروا اولاد العرب من البيارة الذين للمشايخ لا يقيمون وزناً ، ولا
يعرفون عن بني جاد الله تاريخهم المجيد ، ولقد ضايق الشيخ عجاج هزؤهم
به وهدمه الفقر فركب باخرة الى حيث لا يدري ، فلما القت
مراسيها في « مانىلا » جاء القبطان وقال ان تذكرتك توصلك الى هذه
المدينة ، وبخاطرك يا « صاحب الجلالة » بلى لقد لقبه ركاب ذلك البابور
بـ « صاحب الجلالة » فقد كان الشيخ عجاج في مشيته ، وحديثه ، وركزته
كانه لا يزال الشيخ عجاج جاد الله يتحدث الى العامة في قرية « سحتوف »
واحتمل صرّة ثيابه وانحدر من المركب فصاح به احدهم هازئاً « اما
تبغى حمّالين لينقلوا حقائبك ؟ » اما سواقو « التكسي » فعلموا من زريّ
ثيابه انه من « رأسماليّ البور » وهو لقب يطلقونه في الشرق الاقصى على
البيض المعدمين الذين يقتاتون من فضلات موائد البواخر الراسية .
ومشى عجاج ينظر الى الزين ، والى اسم « ديوي » يبرق في كل مكان

« من هو هذا الاميرال ديوي »؟ تساءل الشيخ؟ لعله من « عامة » الاميركان المحظوظين . حظه طيب ان كان وراءه اسطول وبحارة . اعط مشايخ جاد الله اسطولاً وبحارة ، تر الدنيا اي مدن يفتتحون ، وقطع على الشيخ عجاج تخيلاته جوع بدأ ينهشه ، وارهفت شهيته رؤية المطاعم تحفل بالمال كل والاكلين ، وراح يطوف في المدينة ، واكثرها «مقفّل» ، الى ان زلق الى الشارع الكبير حيث الانوار والمحازن الكبرى ، فاخذ يشبع نظره بروية التحف ، والبضائع ، الى ان وقف نظره عند مخزن عظيم مفتوح الابواب ، فحدث نفسه ان حوانيت المدينة اذا قيست بهذا المخزن العظيم كعامه « سحتوف » ازاء مشايخ جاد الله . ولقد اعجبه هذا التشبيه فمشى نحو المخزن تتعجل خطاه حاسة غريبة فهمها حين رفع نظره الى الارمسة فقراً « حسيب نيهان » . ترى أهو من بيت نيهان « السحافة »؟! وتطلع في المخزن فراعه المنظر - حراث ، وجواهر ، ومرايا . وتحف ككنوز الف ليلة وليلة . ومستخدمون في أبهة كأنهم حاشية ملك . ولكن الشيخ لا يروعه شيء فاستعاد صوابه بعد دهشة المفاجأة ودخل المخزن ، ونقل قدميه على ذلك البلاط الملتون ، فعاجله ضبع انساني وصاح به يريد طرده قائلاً ان صاحب المحل ليس هناك . وهذه العبارة يطردون بها الشحاذين البيض . فبفس الشيخ في ارضه وطار صوابه ، ولم يدرك ماذا يفعل ، ولكن صوتاً كبوق دوى من داخل المحل انتهر الخادم بالاسينولية ، فنطلق الشيخ عجاج الى مصدر الصوت ، فاذا صلعة تتحرك صعداً ، تبعها عينان كمصباح اوتومبيل ، ثم ظهر شاربان كعضا الناطور ، وانفتح فم عن كلام عربي « لعلك ابن عرب يا ابني ؟ » وكان ذلك الكلام بلمجة لبنانية عليها طابع « سحتوف » . فطافت الثقة على نفس الشيخ عجاج ،

وحمد مكانه ، بل شمع وصاح كأنه يذيع « نحن ملك انكلترا وامبراطور الهند » ، وقال « انا الشيخ عجاج جاد الله » . اما صاحب الصلعة - حبيب نيهان - فبهت ، وضرب بكفه جبهته المجددة ، فكأنه لمس زراً كهربائياً غير منظور ، فشعّ مصباح اثار ظلمة ماض بعيد ، اذ قفزت السنوات القهقري ، فاذا هو غلام في ضيعة « سحتوف » وابوه فاطور الضيعة ، واذا هو ذات يوم يلعب في « ساحة المشايخ » - مشايخ جاد الله . فيداهمه الشيخ عباس جاد الله بصيحة « الا تعرف ان ابناء العامة لا يلعبون في ساحات المشايخ » . ويتناول الشيخ عباس حجراً ويقذفه به ، فيصيب جبين حبيب نيهان ، ومرّ حبيب يده على تجاعيد جبينه من جديد ، فاذا بينها واد هو اثر جرح حجر الشيخ عباس ، فيه اختبأ الزر الكهربائي غير المنظور . وها هو ابن الشيخ عباس يطرد من مخزن حبيب نيهان ، وها هو حبيب نيهان في مخزن كحلّم اليهودي ، بضاعة ، وبيعاً ، وزبائن ، وها هي اربعون سنة مضت على الغلام الجريح . ودارت الدنيا بحبيب واختلطت في نفسه العواطف من خيلاء بنجاح اصابه وعطف على فتى فقير ، واحترام لمشيخة نشأ على تبجيلها ، ومروءة نحو شيخ منكوب ، وحنين الى وطن كادت تطمس ذكراه السنون ، فداخ وما استفاق ، الا حين سمع الشيخ يتنحى وهو مازال منتصباً في مكانه ، فوثب حبيب الى ياقته فلبسها ، وطوّق عتقه بربطة رقبة ، ثم تناول ستوته من الحائط فادخل في كميتها ذراعين غليظين كجسرين ، واهوى على حدائه فشدّه ، وتقدم بكل خشوع الى الشيخ عجاج وانحنى مسلماً « كيف حال جنابك يا سيدنا الشيخ عجاج ؟ » . اي موسيقى كانت تلك الكلمات في اذني الشيخ التائه . بارك الله في هذه المدينة حيث يعرفون القاب الناس ،

ومقامات الناس ، ولعن الله اوستاليا حيث لا يعرفون مراكز الرجال .
وتهمّل الشيخ عجاج بالجواب قائلاً « انت من بيت نيهان ؟ بيت نيهان
في سحتوف مخصوصنا . » - بيت نيهان محاسبكم يا سيدنا الشيخ .
شرف الى الداخل يا شيخ عجاج .

وادار الشيخ بصره في المحل فاكتشف شيئاً لم يظهر له من الخارج
وهو ان ذلك المخزن ذو اربع طوابق ، وان البناية التي تأويه تحمل اسم
« حسيب نيهان » فهي ملكه . وساد على الاثنين سكون حتى فتح الشيخ
فمه واحسن الى صاحب المخزن بهذا السؤال « ابوك كان ناطور املا كنا؟ »
- ابي كان ناطور املاك جنابكم يا سيدنا الشيخ .

ولقد يتلطف حسيب بالحديث ، وينحني للمشيخة ، ولكن ذلك الأمي
العصامي ، ابن الناطور ، الذي جاء « مانيلاً » وليس في جيبه الباسبور ،
والذي يملك الآن اكبر مخزن وينشر اسمه على عدة بنايات ، ليس
بالابله ، فما ان حدث شيخه دقائق حتى عرف حقيقة امر الشيخ عجاج .
والى اي فقر وبؤس انتهى . فدار حسيب بضيفه في مناورة كلامية فحمله
ان يتنازل فيسأل ابن الناطور عن حالة التجارة ، فاسرع هذا فاشتكى
وتذمر من عطل الحال وتوقف الاشغال ، وشدة المضاربة . فاجفل الشيخ
وحسب ان محدثه بدأ يهوى المعاذير عن اسعافه . ولكنه استعاد روعه اذ
سمع حسيباً يرجوه ان « يشتري » شيئاً من المخزن يقيد عليه « بالحساب » .
وطاف التاجر بذلك « الزبون » - الشيخ « فباعه » بضع بدلات وقمصان
واحدية ، ومناديل ، وكلسات ، ونادى الكاتب ان يفتح حساباً باسم
الشيخ عجاج جاد الله ، ويقيد عليه ثمن كل ما اشتراه . وشكر الشيخ على
تلك الشروة اذ لولاها لكان نهار التاجر حسيب نيهان نهراً كاسداً . ثم

شردت بهما الاحاديث فافهم حسيب شيخه بلطف ، انه بسبب عطل الحال وعسر توظيف المال فقد فاض التقدي بين يديه ، والبنك لا يدفع له على فلو سه فائضاً الا اثنين بالمئة ، وان الشيخ ليحسن الى حسيب اذا استدان منه كم مئة ريال بفائض احسن من ٢ بالمئة . فاطرق الشيخ عجاج مفكراً وقال لا بأس ، هات خمسمائة دولار ، واعمل بها كمبيالة لسنة ، فائض بالمئة تسعة . فتظاهر حسيب بالفرح ، ووثب الى صندوقه وانتزع منه المبلغ المرقوم ، ونقده للشيخ شاكراً له الاعانة على توظيف المال ، مذكراً اياه ان مشايخ جاد الله كانوا دائماً يعطفون على محاسبيهم بيت نبهان . فلاعجب اذا تنازل الشيخ عجاج فاسعف محسوبة ابن نبهان ، بأن اشترى منه واستدان !.

وحانت ساعة الانصراف ، فاقفلوا المخزن ، وخرج منه المستخدمون بالعشرات ، وجاءت سيارة حسيب ففتح السائق بابها ، فاشار حسيب للشيخ ان « شرف جنابك » فصعد الشيخ وجلس الى اليمين ، وطافت بهما السيارة ، وحسيب يدل رفيقه على فنادق المدينة ، ثم يقول « ليس من اللائق ان تنزلوا جنابكم في فندق يؤمه اي من الاغراب . ان منزلي على حقاتره افضل لا يواء جنابكم من اي فندق . وانتهى التجوال فوقفت السيارة امام منزل ابن الناطور ، فاذا هو قصر تحيط به الحدائق ، وفيه اسطبلات الخيول ، واللاتوموبيلات ، والبحيرات الاصطناعية ، وكل مظاهر الثروة والبذخ . واذا بالجنينة التي تحيط به اوسع من كل املاك قرية « سحتوف » . غير ان الشيخ شيئاً من هذا لم ير . فكل ما يعرف عن الدنيا انه « شيخ » وان ابن العامة قد يغتني ، وقد يتثقف ، وقد يفتح ، وقد يظفر ، ولكن الله خلقه من العامة ، لابن المشايخ تابعاً . اذاً فعيون

من تبهر هذه الجنائن والمخازن ، والخدم ؟ هكذا مرت الحياة على الشيخ عجاج ومضيفه . اذا الشيخ اعوزه المال « استدان » من حسيب ، واذا احتاج ملابس وحاجيات « اشترى » من المخزن .

وفي « مانيلا » نحو مئة من « ابناء العرب » كلهم يحبون حسيب نهبان ويحتاجونه ، ولقد رأوه يحتم الشيخ عجاج باخلاص وعطف ، فاظهروا لعجاج الاحترام ، ومشيوخه . غير انهم فيما بينهم كانوا يتساءلون ان لم يكن في دماغ ذلك « الشيخ » مس من الجنون ، حمله الى بلاد الغربة عظمة موهومة جوفاً ، ولولا احترامهم لحسيب لتساءلوا ايضاً ان لم يكن هذا باكثر من « الشيخ » جنونا اذ هو ثبت في دماغ الابله عجاج الاعتقاد بتلك العظمة الخيالية .

*

اما حسيب نهبان فلم يمر به في سنين غربته الطوال اجمل من ضيافة الشيخ عجاج فلقد عاش في عالم جديد من ذكريات ، تندافعه تيارات من العواطف متناقضة ، لا يدركها الا انها في مجموعها تترك في نفسه سكرة عاطفية لا يفهمها .

*

في تلك السنة اقامت حكومة جزائر الفلين في العاصمة - مانيلا - يا نصيباً عالمياً وقفت نصف ريعه على جمعيات الاحسان ، وجعلت الجائزة الاولى ربع مليون دولار . فاقبل الناس على الشراء طمعاً بالربح ، وعطفاً على جمعيات الاحسان ، وطفقت تلك الجمعيات تحمل على التجار بجيش من بياعين لتصرف اوراق اليانصيب ، وكان من الطبيعي ان ينصب على حسيب نهبان صوب من اوراق اليانصيب من زبائنه واصدقائه ، وكان

حبيب سخيّاً بالشراء كريماً بالعطاء ، يشتري هذه الاوراق ويوزعها مجاناً على اصدقائه . وفي ذات يوم تقدم ضيفه وقال « تكرم واقبل هذه الورقة هدية يا شيخ عجاج ، فقطع هذا بتلك الورقة الزرقاء وقرأ ، « الجائزة الاولى ٢٥٠،٠٠٠ دولار . غرر ٧١٢٥٣٧ فجمع هذا الارقام فاذا هي - ٢٥ . بلى لقد كان في اسطبل جده الشيخ فرهود ٢٥ فرساً اصيلة . فتفائل بتلك الصدفة . « ستريح هذه النمرة » حدث نفسه ثم تمم « شكراً يا حبيب . » وخرج الى الشارع ، فاشترى عشر غرر ودفع ثمنها من محفظة جيبى ، اذ كان قد « استدان » مبلغاً في ذلك الصباح . ورجع الى حبيب فناوله الاوراق العشر قائلاً في نفسه « هكذا اعلم العامة كرم المشايخ »

*

وجاء يوم السحب وازدحمت الالوف في ميدان سباق الخيل ، تتواهب في صدورهما الامال ، وتنطلق من خناجرها الصيحات ، وكان بين تلك الالوف شخص هادىء كأنه في عرس بين عامة « سحتوف » يتصدر المجلس وينتظر ان تقدم له القهوة والحلويات . وركضت الخيول ، وجاءت لجنة القضاء ، ووقفوا ازاء طبل فولاذي فيه مئات الوف من كروات طبعت عليها النمر . وتقدمت ممرضة من الطبل فكبست زراً كهربائياً فدار الطبل ، ووقفت منه ككرة فحصبها القضاة . فسكتت الجماهير ، في رهبة ، ووقف قاض امام المكروفون فقرأ النمرة الراجعة ٧١٢٥٣٧ ورفعت راية عليها النمرة الراجعة - ٧١٢٥٣٧ ، وانتشل الشيخ عجاج الورقة الزرقاء من جيبه وفرك عينيه وقرأ ٧١٢٥٣٧ - مئين وخمسين الف دولار ، قصر في « سحتوف » وقصر في بيروت - خدم

وحشم وخيول ونياابة في مجلس بيروت . ستزوره الامراء ، ويستقبله الجلبون بالحداء والقواس . غريب كيف تهبط الثروة على الشيخ عجاج جاد الله فلا يخفق قلبه ، ولا يحمر وجهه ، ولا يرتجف صوته . وفجأة لمعت عيناه ، وشعّ منهما نور غريب . « مشايخ جاد الله » فكّر الشيخ « بنوا مجدهم على السيف ، والكرم ، والبأس ، والمروءات ، أوسّـخ اسمهم بما جاء عن طريق اليانصيب ، من ورقة اعطانيها ابن العامة ؟! . مئتين وخمسين الف دولار ؟! هاه !! ما هذا المبلغ التافه . ابن ناطورنا عنده اكثر منه . سيركبنا عار اليانصيب الى الابد . سينقطع الناس عن الاسادة بذكر مشايخ جاد الله ، ويلقبوننا « بيت بو يانصيب » كما لقبوا مشايخ « ابو راضي » بيت « ابو كبوت » . وتاهت نظرات الشيخ عجاج واهتز جسده ، وسال الدم من انفه فصبغ شفتيه . ووقف على كرسيه ، كمن يرتقي منبراً ، وصاح في الناس خاطباً بالعربية : « ايها الناس ، جدي خنق النمر بكفيه ، جدي هزم نابليون ، جدي سقى فرسه من دمه ، جدي اغرق بيروت ببصقة ، وها انا امزق الورقة الرابعة ، فاشهدوا على أنفة مشايخ جاد الله يا اهل الله » . وتناول الورقة الرابعة فمزّقها ورمى بقطعتها ونزل عن كرسيه . اما الناس فكانوا في هستيريا ايضاً إذ ان القضاة كانوا يذيعون النمر الرابعة ، - الجائزة الثانية ، مئة الف دولار ، الثالثة والجماهير في هياج وصياح ، فمن يصغي الى الخطب العربية في جمهور لا يعرف العربية . وكأن الشيخ عجاج توقع ان يحمله الجمهور على الاكتاف ، ويهللوا له بالحداء « يا شيخنا ، يا شيخ عجاج » . فلما رأى انه لم يكتبوت به احد حق ، وراح الى بيت حسيب نبهان ذلك الذي يعرف مقام الرجال وقدرها .

ودخل قصر حبيب كأنه زوبعة ، وكان هذا في المطبخ يلقي على الطباخ درساً في علم تحضير صحن « حمص بطحينه » ، فهجم عليه الشيخ وصاح « أتذكر ورقة اليانصيب التي قدمتها لي » ؟ اجاب حبيب « لقد تكرّمت علي بعشرة يا شيخنا » . قال « ليس هذا هو الذي اقصد . أتذكر ان غمرتها ٧١٢٥٣٧ ؟ » اجاب حبيب « ربما . ولكني لا اذكر النمرة فقد كان بين يدي منها مئات » . صاح الشيخ عجاج « لا بأس إن انت لم تذكر النمر . أعلم انها ربحت ، وانني مزقت التذكرة » وارتقى كرسياً في المطبخ وخطب « ان اعجاد مشايخ جاد الله لا تبني على اليانصيب . أفهمت ؟ ليفرح العامة والسوقة بما لا يقذف في وجوههم ، اما نحن ، فبالسيف ، والباس نبنى . أفهمت ؟ »

اما حبيب فكان كل همه في تلك الساعة ان يتعلم طباخه صنع صحن « الحمص بطحينه » . فبقي ساكناً ولكنه تحقق حينئذ ان الشيخ عجاج مجنون من صحيح . وطبعاً لم يصدق خبر تمزيق ورقة اليانصيب .

*

مرت شهور خمسة ولم يتقدم احد بورقة اليانصيب الرابعة لقبض الجائزة من الحكومة . والقانون ينص على ان الجائزة تتحول الى صندوق الحكومة إن لم يظهر حامل التذكرة الرابعة خلال ستة اشهر . ولقد كثرت التقولات في آخر الأمر إذ ادعى مئات أن الورقة كانت في حوزتهم وضاعت ، وجاؤوا بشهود وبيّنات وزوّر اناس آخرون تذاكر رابعة ، ولكن اخصائي الحكومة اكتشفوا امرهم ، وفي آخر يوم من الستة اشهر طلع صحافي شاطر على قرائه باعمدة ثمانية يخبرهم فيها كيف ان مثيراً عظيماً أسرّ اليه ان النمرة الرابعة في حوزته ، وانه لا يرى من اللائق ان يستأثر

بتلك الثروة الصغيرة وهو صاحب ثروة كبرى ، وانه يؤثر ان يبقى امره مكتوماً وان يعرفه الناس باسم « المحسن المجهول » ، وانه يرجو الحكومة ان تبني بالمبلغ مستشفى . وزاد الصحافي بان اقترح ان يكون ذلك المستشفى للمجانين ، إذ زعم ان من يرفض ثروة ٢٥٠,٠٠٠ دولار ، غنياً كان ام فقيراً ، لهو مجنون بلا ريب .

*

ولقد استأثرت الحكومة بالمبلغ وشادت مستشفى دعت به « مستشفى المحسن المجهول » ، وخصصته باصحاب الامراض العقلية من مجانين ، ومخاليل ومعتوهين .

*

اما حبيب نهبان فلا يزال حتى اليوم صاحب التجارة العظمى وهو في كل يوم احد يحمل الهدايا من ما كل ، ودخان ، ويذهب الى « مستشفى المحسن المجهول » فيطلب مقابلة نمرو ٧١٣ فيدخل الغرفة ويقول « صباح الخير يا سيدنا الشيخ عجاج » فيرد هذا « اهلاً بابن الناطور ، هل يعرف الناس ان جدي هزم جيوش نابليون في عكا ، وان جدي سقى فرسه من دمه ، وان جدي اغرق بيروت ببصقة ، وانني رميت بوجههم ٢٥٠,٠٠٠ دولار ؟! » .

— انهم يعرفون يا سيدنا الشيخ .

— وماذا فعلوا بالفلوس ؟

— بنوا مستشفى سموه باسمكم ، وأشار حبيب باصبعه الى الرقعة على رتاج الباب فقراً « مستشفى المحسن المجهول - الشيخ عجاج جاد الله . نمرو ٧١٣ » .

فبتسم الشيخ عجاج زهواً ويسأل عن معنى ٧١٣ ؟
— عدد محاسبيكم يا سيدنا الشيخ عجاج .
فيضحك الشيخ ، ويسرغس .
ويدق جرس ، ويصيح صوت « الزوار الى الخارج . انتهى وقت
الزيارة » .

فينحني حسيب نبهان ويقول باحترام ، سارجع الاحد القادم فاتشرف
بسؤال خاطر جنابكم يا سيدنا الشيخ .

التجارة شطارة

لولا لم يكن في « مانيلا » - عاصمة جزائر الفلبين - رجل اسمه بشاره سكر، لوجب خلقه. ولولا لم يجتمع بشاره في شبابه بروز حلواني، ويتحبا ويتزوجا، لكان على الاقدار ان تجمعهما وتزوجهما ولقد اشترك روز وبشاره في الغنى والصحة والمرض والشقاء، والافلاس وكنا سعيدين. وامتلأ بيتها اولادا وكثروا صداؤهما، ولم يسمع الجيران قط ان بينهما اختلافاً بل كانا مثال الزوجين المحبين لولا... لولا ان يكون بشاره من « بكاسين » لبنان، وتكون روز من « بشراي » لبنان. وبكاسين بلدة البطل « ابو سمرا » وبشراي بلدة البطل « يوسف بك كرم » - لولا هذا لما اختلف بشاره وروز على امر من امور الحياة.

فبشاره علق صورة « ابو سمرا » في صدر القاعة وكتب تحتها « بطل لبنان » فعلمت روز صورة « يوسف بك كرم » فوق صورة « ابو سمرا » وخطت « بطل لبنان الوحيد » وكبر بشاره عند المصور صورة بطله، فراحت روز وجعلت من بطلها صورة اكبر. ولا تحسب الامر كان دعا، بل كان الجد كل الجد، حتى انقطع صداؤهما عن الحديث عن ابطال لبنان خشية ان يحدث بين الزوجين فتنة.

اما فيما عدا بطولة لبنان ، فقد كان الزوجان « غراما تزوّج » ، حتى
 لقد كثّر اصدقاؤهما واحترمها الناس . ولقد انصرفت روز الى تربية
 الاولاد ، وادارة المنزل وتدبير امور العائلة . وانفرد بشاره بالتجارة .
 وكان في كل سنة يسافر الى نيويورك فيشتري من الفبارك « جوب » اي
 متروكات الفبارك يا بنّس الاثمان ويبيعها في مانيلا باسعار فاحشة فيربح
 ارباحاً طائلة . اما ابن هي الثروة التي تجمعت من الربح ، فلاتسأل بشاره
 عنها . اذ كيف يتسنى لمن صارت جيبه مشاعاً ان يجمع ثروة . بشاره يؤمن
 الناس ، ويدينهم ويسعفهم ، ويهبهم ويلقى جزاءه في اكثر الاحيان غدراً
 ونكراناً جميلاً . ولكن بشاره لا يكثرث ولا يحقد . فما دام في البيت
 حاجات البيت فهو ضحّاك الوجه . واذا اشتدت عليه الازمة ، وتعدت
 الامور ، وحاطته النيران ، اطفأها بكاس وسكي ثمنه نصف ريال . ولكم
 وعظ في الناس قائلاً ، لماذا تحملون الهم ايها الناس وفي وسعكم ان
 تحلوا مشاكل الدنيا وتطردوا هموم العالم بكاس وسكي ثمنه نصف ريال .
 ولقد كان من الطبيعي لرجل طيب ، مرح ، سخي ، مثل بشاره سكر
 ان يكثر اصدقاؤه الخالص ، وغير الخالص ، فاصبح بيته مضافة ، ودكانه
 مجمع الخلان يقصده المحتاج وغير المحتاج . لذلك لم يكن من الغريب
 ان يتوجه اليه رأساً من البابور ، كل مهاجر قادم « من البلاد » ، حديثاً
 ويسأله اسعافاً ولقد وصل الى مانيلا ذات يوم ثلاثة مهاجرين هم : خندوش
 الثعلبي ، وظطام مغدوش ، ومثقال العياش ، وقصدوا الى محل بشاره
 سكر رأساً وبشروه بسلامة الوصول ، واخبروه انهم معدمون مجهولون
 اللغة ، لغة البلاد الفلبينية ، وانه ليس لهم الا الله وبشاره سكر .
 واستمع بشاره اليهم فعلم من لهجتهم انهم من تلك القرى الشامية

التي تخضرت بين البداوة والحضر. ورآهم في حديثهم ووجوههم ، واسمائهم
كانهم قفزوا من سطور كتاب « الاغاني » وتردوا اثواب القرن العشرين.
فاشار الى مثقال وظطام ان يعاوناه في الحانوت وتطلع الى « حندوش »
وقال « وجهك وجه غزو يا بدوي » فساعطيك بضاعة ، فاغز بها بيوت
مانिला ، وأرجع لي رأسمال البضاعة وما تكسبه فهو لك .

ودار بشاره في الدكان يفكر فيما عساه يحمل « حندوش » منها -
شيئاً خفيف الوزن ، قد يعود ببيعه على « حندوش بالريح الكثير .
فوقعت عينه على اطارين مذهبين ، وراح يفتش بين اوراقه يستخبّر عن
ثمن هذين الاطارين حتى اهتدى الى فاتورة زرقاء من نيويورك .
« ٢ دولار . ثمن اطارين ثمينين » .

وفي اسفل الفاتورة « هذا سعر بخس منحناه الى الخواجه بشاره
سكرلانه امير » .

وتطلع بشاره بحندوش فقال « ساعطيك هذا الاطار وسعره عليّ
دولار واحد . احمله وبعه بالسعر الذي تقدر ، وادفع لي دولاراً واحداً
واحفظ بالريح كله . ومتى ارجعت لي الدولار فساحملك الاطار الثاني .
وهكذا كلما بعت بضاعة ودفعت ثمنها ، حملتك بضاعة .
وحمل حندوش الاطار وانصرف شاكراً .

كان ذلك بعد ظهر يوم سبت . وتكاثرت التلفونات على بشاره من
اصدقائه « يا بشاره غداً الاحد سنزورك ، يا بشاره غداً طاولة بوكر
عندك اعمل لنا صينية كبه ، يا بشاره نحن غداً ضيوفك » فتلفن بشاره
الى زوجته ان اعدى للغد وليمة فنصف سكان المدينة في ضيافتنا هذا الاحد !
- « والفلوس يا بشاره ؟ »

- « سارسل لك مئة دولار مع الغلام » .
 - لا . لا ترسلها مع « فلكس » فهو حرامي .
 - سأرسلها مع « فلكس » . لن يسرقها . لا تخافي .
 وفتح بشاره صندوقه ، وناول فلكس مئة دولار وأمره ان يوصلها للبيت .

*

كان بشاره يقفل حانوته حين اتاه « هندوش » لاهتاً وصاح « بعرضك يا خواجه بشاره ! دخلت على بيت اسبنولي وبعثهم الاطار بمئة دولار انما لم يدفعوا ثمنه الا اذا اعطيتهم زوج اطارات . حملني الاطار الثاني ويوم الاثنين بعد الظهر ادفع لك الدولارين . لا تخف يا خواجه بشاره ، انا استلمت مزرعة عبد الرحيم بك الحاوي سبع سنوات ولم يتهمني احد باختلاس . ارجني اغناك الله يا بشاره بك . اذ يجب ان اسلم الاطار الثاني في صباح الاثنين باكراً قبل ان تفتح محلك يا خواجه بشاره »
 وما زال يبشاره حتى سلمه هذا الاطار وانصرف الى منزله . فلما صعد الدرج لاقته زوجته على عادتها مرحة وسألته لماذا اقبلت باكراً هذا النهار فقد تلفنت لك مراراً اريد فلوساً .

- فلوس ؟ لعل اللعين « فلكس » لم يوصل لك المئة دولار ؟
 - وصلني المئة دولار . انما انظر .
 وأشارت الى صورة يوسف بك كرم ، فاذا هي في اطار مذهب ، حملق به بشاره وبلع ريقه .

- اشتريتها من متجول ابن عرب بمئة دولار . الظاهر انه واصل من البلاد حديثاً ، هو حسبنى اسبنولية وانا لم اكلمه بالعربية مخافة ان اجرع عواطفه ، تفاهمنا بالاشارة ، طلب مئة دولار بالاطار فقبلت حالا . مسكين

هيئته جديد في هذه البلاد ، لا يعرف كلمة اسبنيولية .

وبهت بشاره ، ثم احمر وجهه وارتحف صوته . فعانقته روز ، وقالت
مراضية « لا تحنق يا حبيبي فقد وعدني ذلك المتجول باطار ثانٍ يأتييني به
صباح الاثنين ، اهديه لصورة « ابو سمرة » فلا ينكسر خاطرك . وضبط
بشاره عواطفه ، وتظاهر بالجد وقال : « اتعديني باطار مثله لصورة
« ابو سمرة » ؟

— أعدك يا بشاره ، واحلف بـ « يوسف بك كرم » . انما يلزمني مئة
دولار ثانية »

ورجع بشاره الى المحل في طلب الفلوس .

اليوم لا تزال الصورتان في اطارين مذهبين جميلين ، ولا يزال بشاره
ضحاكاً كثير الاصدقاء . لا يزال يربح ويهب . اما « حندوش » الذي
نسي ان يرجع بعد ظهر الاثنين ليدفع لبشاره ثمن الاطارين —
فقد اثرى بسرعة . وهو اليوم في بيروت يركب سيارته الوهاجة الى
المقهى فيقص على عشرائه انباء غماره التجاري ... « وكان بدء ربحي اني
اشترت اطارين بدولارين من ابن عرب غبي ، وبعته بمئتي دولار من
امرأة اسبنيولية غبية : ولكنه يغفل ان يذكر انه « نسي » ان يدفع
الدولارين . بل ينفخ دخان اركيلته بالقضاء ويقول : « بلي يا اخوان
التجارة شطارة » .

اما روز فهي الان لا تعرف حقيقة امر الاطارين ، اما بشاره فاذا
بلغت في عمره الى حيث يحدثك حديث الاطارين ، فاعلم انك لم تعد
صديقه بل صرت اخاه .

دون كارلوس

في جزائر الفلبين دزينة « اولاد عرب » اود معاشرتهم بقدر ما تستطيع
انت النوم في مقبرة - جثت تعيش بدون حياة ، استكانت الى الحية ،
واعترفت بالفشل من غير مرارة ، ولا تحمّر . واني لاحب الحياة وهاجة ،
جموحه ، بطرة ، وثابة (صخابة) ثائرة ، ولا يهمني اكان شربي لصا ،
جانياً ، محسناً ، غيباً ، ذكياً ، لثيماً ، بذيئاً ، نبيلاً ، بشرط ان اشعر
بكهارب القوة تنبعث من محرك نفسه فتثير ما جاوره او تحرق .

اما هؤلاء الحفنة من المواطنين فقد ودعوا الكهولة ، وليس فيهم من
لم يصبه حظ فيما مضى . هذا كان مثيراً ، وذاك كان صاحب تجارة
وذاك ... اما اليوم فكل واحد منهم انطوى على نفسه ، وتقلص في
صدفته ، فهذا في مزرعة مكرسكوبية يشتغل حقلا من شجر جوز الهند ،
وذلك سردن (١) معه عائلته في غرفة سماها بيتاً واكبر حدث في يومياتهم
ان يكتشف احدثهم البقال الذي يبيع اللوبيا بارخص ثمن ، والحانوت
الذي تباع فيه دزينة البيضات بـ ٣٤ سنتيم ، وكيف توفر في اليوم ٤
سنتات اذا ركبت الترامواي من الزاوية الفلانية ونزلت منه في الزاوية الفلانية .

(١) نسبة الى السردين . اي حشر .

ولقد يتهمني هؤلاء بالكبرياء اذ انا اجنب معشرهم على انهم مخطئون
فاني اتقي ان التقي بهم لا كبراء ، ولا عجرفة ولكني ارى بهم طيف
مستقبل قد ينزل بي فاني اعلم ان اشد انواع السقوط خطراً هو التزحلق
الهادي ، فانا ارى بهم شبح غد قد يجذني مثلهم اسكن غرفة حقيرة
اكحل عيني بروية اثواب الجيران المغسلة تنتشر على حبال تحيط بمسكني
واشرف اذني بموسيقى اهتزاز الاسرة في الغرف حولي - ترى اتخمد ناري
شيئاً فشيئاً حتى يقتصر همي على ان اكتشف اين تباع دزينة البيضات
بـ ٣٤ سنتيم ؟

هؤلاء الناس كانوا فتيانا مثلما انا فتى ، واصابوا الغنى ، كما انا اصيبه
اليوم ، وانساب بهم الزمن الى الضعة ، فهل ينساب بي ؟ من لي بمن يشرح
لهم انني اذ ازورّ عنهم احاول الفرار من طيف مخيف .
لذلك امسكت قلبي بيدي حينما صعدت الى غرفة قبطان البابور عشية
١٧ نيسان سنة ١٩٣٢ وسألته الى اين نحن سائر ون اجاب : يؤسفني
اننا لن نمر بمزرعة مواطنك « دون كارلوس » فسنمخر رأساً الى
« سوجود » ولن نمر على « دون كارلوس » الا في السفرة القادمة
والنفت الى المحك امامه وانتهر ذلك الواقف خلف مقود الباخرة وصاح :
« شرق ، شرق ، شمال » فادار الزنجي الدولا ب وأجاب « شرق ، شرق ،
شمال » .

وشعرت ان الباخرة تنحرف بنا فشكرت القبطان وشكرت الحظ
الذي ابعد عني خطر الاجتماع بـ « دون كارلوس » ونزلت الى مضجعي
فوق اكياس جوز الهند فلتشرت مجلة اميركية ، واحكمت وضع المكتوب
الذي وصلني من البلاد ، في الاسبوع الماضي تحت مخدتي ، ورحت اقرأ

الى ان غفوت على هينة نسيم البحر ، ووشوشة مياهه . الحمد لله لن اجتمع
« بدون كارلوس » . وكنت في نومي غارقاً اذ احسست بطوف من المياه
يغمري ، فقفزت شبه حالم فرأيت البحر جبّالاً ، والباخرة ترقص ،
وتميل يمينا ويساراً ، ثم يغطس مقدمها فيغمره الموج ، ثم تنهض متثاقلة ،
والركاب في رعب يصلون ، ويشتمون ، وبعضهم اصابه به وجنون ، ومجلتي
ومخدتي ورسالي ، في طيات المياه . فوثبت الى غرفة القبطان وصحت :
« ما الخبر ؟ » .

— زوبعة يا سنيور ، بل اعصار مفاجيء انظر ... وأشار الى البارومتر
فرايت مذعوراً ان الابرة تكاد تلمس درجة الخمسين — يا للعياذ بالله —
غرق محتم ، وسألت القبطان ، محاولاً الابتسام ، ماذا انت فاعل ؟
اجاب « حملق في البحر ، ترايت جحافل الانواء تندفع في صفوف من
ثلاثة امواج ، وبين الثلاثة والثلاثة فترة لحظات هدوء ، اذا اسعفنا الحظ
ودرنا بالباخرة خلال ذلك الهدوء بحيث نعكس مسيرنا الى الملجأ هناك ،
واسار الى الشاطئ خلفه ، كان لنا امل بالنجاة والا ... اصغ الا تسمع
بوق جبريل ؟

واغتصب ضحكة واغتصب ضحكة . ثم صفر فاقبل عليه عتليت (١)
ثلاثة امرهم ان يتولوا امر الدولاب وان يكونوا على حذر ، فاذا امرهم
داروا بمقود الباخرة في عجل فعكسوا سيرها . اما انا فقد رحت اتفرس
بالبحر واعجب كيف تستوي الامور في عين الجاهل . فهذه المياه التي
كانت منذ هنية في نظري « بجرأ » قد استحالت الان ، اذ علمني الحخير ،
الى شيء حي ، يسري حتى في ثورانه على نظام . وهذه الامواج ثلاثة

(١) — جمع عتليت اي Athlète (كلمة بالفرنسية) .

ثلاثة ، صغرى ، فكبرى ، فأكبر ، ثم لحظة او لحظات من هدوء تعقبها
ثلاثة امواج . والقبطان ينظر الى الافق ، ثم الى المياه ، ثم الى الثلاثة
العتاليت بعيني نسر ، ويتبخر كأنه حصان جماع .

ومضت الساعة والساعات الى ان انتصفت الثالثة ، وانا قابض على
عمود من حديد ، ضائع - لا ، لم اكن قد تعلمت الخوف بعد في تلك
الايام . وفجأة ارعد القبطان امرأ ، فاذا بالعتاليت الثلاثة يتألبون على
الدولاب ، واذا بتلك الباخرة تخذع الهلاك وتدور على نفسها في طريقها
الى الملجأ الامين . وضحك القبطان ضحكة غير مغتصبة ، وصاح فرحاً :
« لقد علق جبريل بوقه على الحائط » ، فابتسمت وسألته « الى اين نحن
الان سائرون ؟ » اجاب « الى الملجأ الامين ، سنلقي المرساة على شاطئ
مزرعة « دون كارلوس » .

ياري !! امن العاصفة الى دون كارلوس ??! وحقاً لقد ظلمت « دون
كارلوس » بمثل هذه التوطئة ، فليس الرجل رديئاً ، بل هو مواطن لي
من بيروت اسمه العربي « شكري سمعان » ولكن ليس من بناديه الا
« دون كارلوس » . فشكري بالاسبنيولية يدعى « كارلوس » وشكري في
تلك الزاوية من الارض شبه شيخ ، يلقب احتراماً بـ (دون) ، غير ان
خوفي من لقائه سببه انه من المواطنين الذين يفتشون عن سعر اللوبياء ،
اولئك الذين انطفأت نارهم ، دون كارلوس ، خبت ناره فلا يشتعل ولو
رميته بآتون . اما فيما عدا ذلك فما هو بالرجل الذي يجنب .

ورمت الباخرة مراسيها ونزلنا الى الشاطئ فاذا هناك كل سكان
الضيعة - نحو مئة رجل ، وامرأة ، وطفل . واذا بدون كارلوس بينهم
ككباش القطيع فقد كان اطولهم قامه ، وكانوا كلهم حفاة ، عراة الرؤوس

واما دون كارلوس فكان على رأسه برنيطة كـرغيف المرفوق ، وفي قدميه
نعلان كأحذية الآباء الكبوشيين . وكان الرجال لا يلبسون الا الكلسون
اما دون كارلوس فقد لبس فوق الكلسون قميصاً سوداء .
وناديتـه مسلماً « هاو دون كارلوس » فما اجاب . وأعدت عليه بالعربية
« مرحباً شكري » فالتفت اليّ وخلته هزّ رأسه ، فتقدمت نحوه وهزرت
يده ، فكانت « ها » كل جوابه . ولا تحسبن ان شكري تعمّد عدم
الاكتراث بي . هكذا كان يستقبل الناس ويودعهم ، واذا نطق فاكثر
كلماته « ها » ! - ها معناها (نعم) ومعناها (لا) ومعناها (يمكن) ،
ومعناها (اهلاً وسهلاً) ومعناها كل شيء . يا ليتنا لا نزال بين اشواق
الامواج .

ولم اكن من الغباوة بحيث انتظر دعوة من « دون كارلوس » فسألته
اين بيته فاشار اليه ، وتقدمني ، فبلغنا كوخاً سقفه قش ، وخطاطنه ،
وارضه من القصب ، يعلو عن الارض نحو متر ونصف المتر ويصل بابيه
بالارض سلم من قصب ، ما ان علوته حتى اهتز السلم ، واهتز البيت ،
وتطلعت الى داخل المنزل فاذا فيه زنجية حولها اولادها كأنها عنزة هائلة
حولها قطيع من الجديان لا ادري عدده . فتطلعت الى « دون كارلوس »
وهممت ان اهنئه « بارك الله في همتك » وانكملت الزوجة واولادها
الكثر خائفين من رؤية الغريب الضخم الذي هزّت البيت قدماءه ،
وتناولت كرسياً ما ان جلست عليه حتى انكسر، فصاح « دون كارلوس »
« هاه ! » وضحك الاولاد وضحكت امهم وضحك الضيف معهم ، وارتفع
ما بيننا من كلفة . وادرت عيني في المنزل فاذا هو عار الا من خزانة هي
شبه مكتبة ، مشيت اليها فاذا فيها جرائد بيوتية عربية يرجع عهدها الى

سنين ، واذا في الزاوية مجلد واحد من مجلة « الضياء » . غريب كيف
تختلف قيم الاشياء باختلاف المكان والزمان . فتلک الصحف التي تكدست
في « المكتبة » كانت تنشر في بيروت وكنت لا اتطلع بها الا متقزراً ،
وها انا الان اهفو اليها بلهفة الجائع الى طبق شهي . وقد عزيت نفسي
ان في البيت شيئاً يقرأ ويطرد السأم اذا طال امد العاصفة ولم نستأنف
السفر في الليل الثاني .

واقبل الليل فوضعت الزنجية طبقاً من الرز المسلوق وصحناً مقعراً
فيه سائل احمر قد لا يقوى الكيميائيون على معرفة ما هو ، ولكن له في
الفم طعماً كشتائم البحارة . وسكبنا السائل على الرز وحشوت فمي
مرات ، وبلعت الرز حتى امتلأت معدتي . وسميناً تلك العلفة عشاء . ثم
تمدنا جميعاً على قصب ارض المنزل ونمنا .

والله اخبر ، في تلك الليلة وانا اتمجدل على القصب ، ماذا كان يحدثني
في الشمال والجنوب ، والشرق ، والغرب .

واقبل الصباح فنهض « دون كارلوس » ووضع رغيف المرقوق على
رأسه ، واحكم وضع سكين هائل ، شبه اليطقان ، على زناره ، وقال
لي « هاه ! » من جديد ومضى الى كومة من جوز الهند قرب البيت
يفجّ الجوز باليطقان ويضعه في الشمس . وسرح قطيع الجديان
خارجاً ، وبقيت العنزاء الكبرى ، وانا ، في الكوخ افكر سباحان
الله كيف انتقى « دون كارلوس » - وهو ابن مدينة بيروت - هذه
الزنجية زوجة ، وهي من قبائل الجبال غير المتحضرة ، وقد كان في امكانه ان
يتزوج او يقتني فتاة تشبه مخلوقات الله الناطقة . وملكتني الوحدة ،
والبحر لا يزال في هيجانه ، والباخرة محتبئة وليس معي من احده ،

فرحت الى المكتبة واخذت اتصفح تلك الصحف القديمة ، ساعة ، ساعتين ثلاثاً ، حتى غلب عليّ السأم من جديد . وحانت مني التفاتة نحو ربة المنزل وانا افتش في المكتبة ، فاذا بها تنظر اليّ نظرات مريبة . ما انت يا « دون كارلوس » بفرعون ، وما اعطيني ياربي جمال يوسف ، فلماذا هذه النظرات ؟! ولقد اجهزت قراءة كل ما في المكتبة من صحف الا اعداد مجلة « الضياء » التي لم المسها . ذلك لان لاسم ابراهيم اليازجي « صاحب الضياء » في ذهني مقاماً فخماً وذكرى اعجاب ، واني لأخشى ان اقرأ في كبري ما كنت اعجب به في صغري ، فتضمحل تلك الذكرى الجميلة للاسماء التي اعجب بها - تلك الاسماء التي لمعت لالما فيها من ضياء ، بل لما كان يكتنفها من ظلمة ، فلماذا انا اقرأ اليوم « ابراهيم اليازجي » فاخاطر في ان احو من مخيلتي شيئاً فخماً جميلاً ؟!

على ان السأم يروح بي فلم اعد اطيع صبرا ، وكاني خشيت ان ترتد بي قدماي عن المكتبة ان دنوت اليها هادئاً ، فوثبت وثباً واختطف « مجلة الضياء » اختطافاً . ولم تكديدي تقبض على المجلة حتى دوى صوت الزنجية كنورية تستغيث « يا ... كا ... ر ... ر ... لووو ... ووو ... ووو ... س مواطنك يعبت بكتاب العبادة يا ... كا ... ر ... ر ... لووو ... ووو ... ووو ... س ... » فبهت بل ذهلت ، بل اصابني شلل .

واقبل دون كارلوس رأكضاً ، والبطقان مصلت في يمينه وهجم علي . ولم افهم كيف استحال ذلك المخلوق الهادئ الى شبه مجنون ، واين كانت كامنة تلك النار التي لمعت في عينيه . ولم افهم معنى غضبه ، ولماذا هو اختطف مجلد اعداد الضياء من يدي .

وهوّن الله فارجع شكري البطقان الى قراهه ، وعاد الى عمله ، بعد

ان رد مجلد الضياء الى مكانه . ورجعت انا الى مكاني احاول فهم تلك
الالغاز . ثم تطلعت نحو المرأة فاذا هي ضبعة تتحفز للهجوم عليّ . يا لغباوتي
اذ حسبت انها كامرأة فرعون و فركت عينيّ ، فما كنت حالما . واستفقت
من ذهولي وانتبهت بي غريزة المحافظة على النفس ففككت أزرار قميصي
وانسلت يميني الى مقبض مسدسي الختبيء تحت القميص ، وقعدت انتظر
المقدر .

ومضت ساعة فاذا « دون كارلوس » عائد الى البيت متثاقل الحطى ،
فرمى بيرنيطته المرقوقية ، وعلق يطقانه على الحائط وتقدم نحو ي فففرس
بي ، ثم امسك يدي بيديه وانفجر باكياً ، كأم اكبت على جثة وحيدها
وراح يعانقني ويعتذر . وتبلبل عقلي وزاد الغموض عليّ الى ان هدا
روع دون كارلوس ، فتناول مجلد « الضياء » وقال اسمع .. هذا مجلد
الضياء ، ما هو بكتاب عبادة ، ولكنه اثنى ما املك في الحياة . صار له
في تلك الزاوية اثنتا عشر عاماً لم تمسه أنفل . ربيت يتيم الأم منذ الصغر ،
فأني جاء هذه البلاد وانا طفل ، وماتت أمي وتولت أمر تربيتي في بيروت
جارة اسمها « أم الياس » . كان بيتنا في ضاحية المدينة ، وكانت له جنيحة
تعهدتها أم الياس فنورت ازهارها ، واخضرت اعشابها ، وضحكت المياه
في بركتها ، حيث تلعب الاسماك الصغيرة الملونة . وكان لنا جيران اسمهم
آل سلامه .

كنت في العاشرة وكانت روز سلامه في الثامنة . كان آل سلامه
فقراء وكنا بالنسبة اليهم اغنياء اذ أن أبي كان يرسل في كل شهر بضعة
ليرات لأم الياس ، وكانت أم الياس تعطف على روز كما تعطف عليّ ،
لذلك سرها ان اصبحت وروز على وفاق ووداد ، فكانت روز تأتي الى

الجنينة بعد المدرسة فتلعب معي . كنا نلعب على الجبل ونتراكض في الجنينة ، وكثيراً ما اتفق ان التهمت (ام الياس) بالحديث مع ام روز ، فبقيت وروز وحيدين في الجنينة . ان الدهر رحمني اذ أبقى امام مخيلتي صورة تلك الفتاة بالشعر الاسود الكثيف يسترسل على كتفيها ويتراقص وهي تقفز على الجبل ، وتلك الجبهة الشاحجة الثائرة والعينين الضحوتين ، والنور والطهر الطائف على ذلك الوجه النضر ، وذلك النقاب الخفي الذي انتشر نبلاً على محياها . حمداً لك ربي ، فلم تحرم خيالي التمتع بروية ذلك الوجه أي ساعة اشاء ، والعب في تلك الجنينة أيان أردت .

كانت روز تدرس في مدرسة الراهبات ، وكنت أنا أدرس في مدرسة الرهبان ، وكنا نترافق في الصباح فيندران لا تستخدمني في امر اذ احكم ربط الأزرار على مريولها الاسود ، أو أحمل لها زادها وكتبها حتى بوابة مدرسة الراهبات ، وكان رفيقنا أبداً كلب اسود التقطناه جرواً وسميناه (طيار) ، وكانت روز مولعة بشكولاته (نستله) الملوّزة فكنت أشتري لها قطعة كل يوم ، وكانت الشركة تضع في جوف المقائق صوراً متسلسلة الاعداد من ١ الى ٣٦ ، ومن تجتمع عنده وجبة أعطته الشركة جائزة . وذات يوم نزلنا الى المدينة فاستبدلنا وجبتنا بكأس من معدن يفتح ويطبق . كانت روز تشرب في تلك الكاس كلما عطشت في المدرسة .

وكان في جوارنا لحام له ابن اسمه جرجس ، ولد قدر سيء التربية ، شرس ، سفيه ، غاظه مرآنا وآلمته سعادتنا ، فراح يضايقنا فبدأ « بطيار » اولاً اذ كسر رجل ذلك الكلب الوفي فصار يعرج . ومرة كنت وروز تلعب في الجنينة ، فسمعنا « طيار » ينبج محذراً ، فالتفت فاذا بجرجس من

جرجس اصاب جبهتي فادماها . فضمدت روز الجرح ، ولو علم جرجس كم سرفني ذلك الجرح لما رماني بحجر .

ومرة جاء في ساغي البريد بعدد من مجلة « الضياء » اشتراك سنة اهدانيه ابي . فاخذت وروز نقرأ « الضياء » بل لا نقرأ منها الا الرواية المتسلسلة . فكلما وصل عدد جديد انادي روز ، فنرتي على اعشاب الجنينة تحت ظلال الورد نقرأ الرواية المتسلسلة معاً ، وقد كنت انا اسرع بالقراءة من روز فاذا فرغت من مطالعة الصفحة درت نحو ذلك الحيا الفاتن اغرف بعيني من جماله وكم عبث النسيم بشعرها فنشره على وجهي ، اسلاكاً كهربائية . وقد تقلب روز الصفحة ، وانا مفتتة انظر الى الحال الذي جاور مبسمها . كنا في نعيم لا يكدره إلا جرجس ابن اللحام ، فكلما مررنا بدكان أبيه شتمنا وتقوه بمغامز لم اكن أفهمها في ذلك الحين ، ومرة لم أطق صبراً فرددت الشتيمة لجرجس فهجم عليّ وبططني وضربني ، ولعله كان قتلني لو لم يتفق ان جاءت ام الياس فردته ووبخته . وهكذا تمهلت الحياة في سيرها نمرح في سعادتها . وكانت أجمل سويعاتنا حين تطل (الضياء) فنرتي على العشب في ظل الورد ونقرأ . ومرة جاش الشعر في صدري ، انظر وفتح دون كارلوس المجلد فرأيت خطأ صيبانياً بجهر أسود ؟

« يا روز ان الهوى ان الهوى يا روز »

شعر حلوه . ها؟! وضحك دون كارلوس ضحكة عصبية وتابع حديثه : وكان لأهل روز أقارب في الجبل ، ففي أول الصيف ذهبوا وذهبت معهم روز الى أقاربهم في الجبل ، ولم نشعر إلا وأني راجع من جزائر « الفيلين » فباع بيتنا والجنينة ، واشترى قريها غرفة لأم الياس وزودها بشيء من المال ، ثم قال لي يا ابني لا أريدك ان تنشأ يتيماً وليس لك في

بيروت مستقبل ، سأذهب بك الى جزائر الفيلين . هناك عندنا تجارة
وأملأك ولنا مقام ، واركنني عربية الى المرفأ في ذات صباح ، فتركت
بيروت بعد أن ودعت ام الياس وقلت لها - وما ابلغ ما قلت - اخبرني
روز اني سافرت . فضحكت ام الياس باكية .

جئت « الفيلين » ، ومات أبي ، وساعدني الحظ ، فجمعت ، وأنا فتى
ثروة ، ولا ادري أي بله يغشى المهاجرين ، بل أي جنية سوء تمنعهم من
الكتابة الى وطنهم ، هكذا مضت السنوات ولم أبعث برسالة الى بيروت
غير اني شئت اعارك الدنيا واليقين بدلاً نفسي ان روز لا تزال هناك
بانتظاري .

يقول لك أولاد العرب ان شكري كان بخيلاً في أيام غناه وشبابه ،
لا يسخو ان يشتري ليمونة ، أو يكتوي عربية للنزهة . ولماذا لا اكون
بخيلاً ؟ كنت اقول في نفسي لا تأكل ليموناً يا شكري . ولا تنزه . بل
احتفظ بالمال ففي غد تقسم الفاكهة والنزهة مع روز فتكون الفاكهة
أشهى طعاماً ، والنزهة أبهى مناظر .

واخذت ثروتي نقوداً وسافرت الى بيروت من غير ان اعلم أحداً .
بل لم يكن في بيروت من يكتوث لجيئي اذا عرف به إلا روز وام الياس .
وربطت الباخرة في بيروت ، عند الفجر ، فقفزت منها وانطلقت
مبهماً حيناً وطرقت باب (ام الياس) فلم يرد أحد ، وقرعت حتى أطلت
جارية لها فاخبرتني ان ام الياس في الكنيسة حسب عاداتها كل صباح .
والتفت نحو بيتنا فاذا هو شاخ وتهدلت شبايبكه ، وفي زاويته آرمة تعلن
ان ساكنته موصة ، واذا صراخ الاولاد يملأ جنباته بلسان حاد قريب .
واقتربت من الجنية فاذا الورد يبس هناك والجنية مزروعة ملفوفاً ،

فنبحت كلاب ووثبت نخوي تريد القتال . ومشيت الى نحو دكان اللحم
ابي جرجس . يا سبحان الله هذا جرجس ما غيره . لم يتغير به شيء إلا
أنه كبر وضخم ، وتصلبت إمارات الشراسة على وجهه ، وجمعت بي
العاطفة فهتفت متحيباً : مرحبا جرجس ، قطلع بي كذئب جريح وقلب
عينين حمراوين وعرعر شتية بذينة ثم صاح بي : من أي جهنم شرفتنا في
هذا الصباح اللعين ، ومن انت حتى تنادي بي باسمي ؟ . وقفزت السنوات
القهيقرى فعاودني الرعب من جرجس ، وتنبهت الآلام التي لقيتها من
ضربه ، فاصفر وجهي وقلت متلجلجاً : عفوك جئت اشتري لحماً . كم
كيلو ، صاح جرجس . كم كيلو ؟ .. لماذا اشتري لحماً وما حاجتي
باللحم ؟ وترددت بالجواب وهممت أن أرجع عن شراء اللحم ، ولكن
جرجس كان بدأ بسن السكين فخفت ، وصاح بي : انطق جوهرتك كم
كيلو تريد ، أربعة ، أو خمسة ؟! قلت أربعة . قال طيب خذ خمسة .
قلت طيب آخذ خمسة . فزان اللحم ، واقسم اني لم أر ميزاناً أعرج
مثل ذلك الميزان ، ولا اثقالاً حجرية مثل تلك المئاقيل : وكأنما هو سر
لبيع خمسة كيلو لحماً دفعة واحدة ، فاراد ان يحتفل بذلك . فتناول زجاجة
عرق وملا كأساً وقلبه الى جوفه . وكأنما رابه امري فصاح : ارنالون
عملتك ، ادفع . فتناولت محفظتي ونقذته ورقة بخمسة دولارات . فاشتعل
غضباً : دولارات !! هاه . الله يلعن ام اميركا كيف تحمل الحمير ذهباً ،
ونحن هنا نشغل كالبغال ، ولا ربح . وكان في الحائط الخلفي من
دكانه باب يصل الدكان بغرفة لعلها كانت مسكن جرجس وعائلته اذ
بدأ يتعالى صراخ اطفال من الداخل . فادار جرجس بوجهه وصاح :
(يا فقمه) قومي نظفي المصارين قبل ان تكسدي وجهي ، الله يلعن

وجهك ومصارينك ويلعن الساعة التي تزوجتك بها . وانا على شدة
 اشترازي من بذاة جرجس ، لم أملك نفسي ، إذ أطلت زوجته في الباب
 من الاعجاب بصدق وصفه . فقد كانت تلك المخلوقة في قبص النوم ،
 منبوشة الشعر ، قذرة الوجه ، متاثبة ، مرهلة الصدر ، كأنما قطع جسدها
 الصقت بعضها ببعض الصاقاً وقد تجعد وجهها فهو وهاد وهضاب .
 وتوقف (دون كارلوس) عن الحديث فقلت له اكمل . قال : إذ ذلك
 أشرقت علي الحقيقة ، وعلمت أن تلك (الفقمة) كانت روز !! . وتشجع
 (دون كارلوس) واعاد مجلد (الضياء) الى المكتبة ووجم . وكادت
 أسمع جدران نفسه تنهدم . فصمت . ثم حاولت تعزيتيه بأن اغالطه ،
 فقلت لعلك كنت مخطئاً . لعل تلك الفقمة لم تكن روز . قال لا ، لا ، لم
 اكن مخطئاً . فاني ما أدرت ظهري حتى اسودت الدنيا أمام عيني ثم شع
 نور ومثلت روز الصغيرة بربوها الأسود وخديها الموردين في طريقهما الى
 المدرسة ، ثم اذا هي مضطجعة على العشب الأخضر ، في ظل الورد تقرأ
 معي ، ثم خف النور ، وأرمدت الدنيا وبقيت روز مضطجعة على العشب
 وحيدة لا رفيق ، لا تقرأ ، بل تحديق في افق بعيد . وما زالت كذلك
 حتى اقترب منها مخلوق نصفه رجل ونصفه حيوان فاحتملها وفر بها الى
 مغارة وصير منها فقمة تشبهه . واحسست بالقشعريرة كأنني في تلك
 المغارة ، وجبنت فلم اجسر أن أدور بنظري إلى خلفي مخافة أن أصعق ،
 ولم أدري ماذا جرى بعد ذلك ، فلعلني مشيت ، ولعلني ركضت ، ولكني
 لم أستفق إلا وام الياس تهزني وتصيح : « أنت شكري ؟! أنت أنت
 شكري ؟ بلى أنت شكري . أهكذا حق المروءة ؟ لا رسالة ولا علم ولا
 خبر ؟ لقد زوجوا روز الى جريس يا شكري » . ونفر كلب من خلف

البيت ور كض يعرج نحوي يبصص بذنبه ، ويمرغ رأسه بين قدمي ،
فدفعته ام الياس عني بقولها : اسكت يا (طيار) • ورد الله عليّ وعيي
فانتفضت من بين ذراعي أم الياس وصحت من انت يا امرأة؟! ومن هو
شكري هذا ؟ أنا اسمي (دون كارلوس) واني لم أرك قبل اليوم •
ومر تاكسي ، فناديت به ، وتعلقت به ، وام الياس تنادينني : ارجع
يا شكري ، وطيار ير كض عارجاً من خلفي ونابجاً • ورجعت فوراً الى
جزائر القيلبين !!

وناهضتني الايام فلم تجد بي جندياً مقاتلاً ، فانا كما ترى ، اشعر اني
مسخت ذلك الملاك روز وجعلت منها فقرة في يدي جرجس ، وقد
طمست الايام كل شيء من ذكرى ذلك الماضي ، ولم تستبق الا مجرد
(الضياء) واني اضن ان اشوه هذا الحيال ، لذلك قلت لهذه المرأة -
واشار الى الزنجية - ان هذا الكتاب هو كتاب عبادة ولا اطيع احداً
ان يلمسه . فهل تعذرني الآن يا صاحبي ، وهل تغفون عن جنونها ؟ .
أما انا فلم اجب بكلمة ، ولم استفق من ذهولي الا حين دوى صوت
القبطان من تحت شرفة البيت يقول : لقد هدأت العاصفة ، سنرفع
المرساة بعد ساعة • »

ونفض (دون كارلوس) فتمنطق يطقانه ورجع بفتح جوز الهند •
ونفضت قاصداً الى الباخرة غير اني اردت توديع شكري ، فاقبوت منه
- بخاطرك شكري

- هاه !

- بخاطرك (دون كارلوس) !

- هاه !

— لقد هدأت العاصفة ونحن مسافرون . ألك في العاصمة خدمة اقضيها؟

— هاه !

— اشكرك على الضيافة

— هاه !

يستغرب اليوم اولئك المواطنون الذين كنت اتجنبهم لماذا أتودد اليهم الان . فيزعم البعض اني تبت عن عجرفتي ، ويعتقد اناس اني اضعت ثروتي وركبني الدين ، واني مشرف على الخراب لذلك نعمت ادايي ، ولكن ليس فيهم من يدري اني حين اتحدث اليهم واستمع الى ثورتهم ، اني ابحت في كل شخص منهم عن (روز) !

صورة أم فريد

قد يكون بنو لبنان كما يدعي ادباء لبنان - قتياناً انجبتهم مرده ،
وتعهدهم قديسون ، وعجن في لحمهم اكسير التفوق . اما فتانا فريد زهنان
فع انه كان من لبنان فقد كان « لا شرف ولا ترف » ، لو انه في انكلترا
لسموه (رجل الشارع) حبة رمل في كومة رمال ، وخروف في قطع ،
لا يزهر بقرن ولا يجتال بألية . وكذلك كانت قريته (عين الحسكة)
في جوار (سوق الغرب) من لبنان . اقتربت منها طريق السيارات
و (كوّعت) عنها . والدهر ، والناس ، والسيارات (كوّعوا) عن
عين الحسكة ، ولولا الانتخابات ، والضرائب لما فطن لبنان ان في عين
الحسكة ٤٧ نسمة !

هناك نشأ فريد زهنان ، يتيم الاب ، فأبوه سافر الى اميركا حين كان
فريد في سن الرضاع . وفطم فريد ، وفطم الاب رسائله عن ام فريد ! .
وقد يكون اجداد اللبنانيين مرده ، وقد لا يكونون . على انه من
المحقق ان جداتهم كنّ ماردات . وما ذكر التاريخ اي عظيم امر قام به
المرده ، غير ان في وسع التاريخ ان يذكر الكثير عن « ام فريد » كيف

كانت تخطّب ، وتحث ، وتزرع ، وتحصد . وكيف قدّرت على نفسها ، واضطهدت جسدها حتى يسرت لفريد اقساط المدرسة في مدرسة سوق الغرب ، اولاً ، ثم في جامعة بيروت الاميركية . وها هو فريد قد اعوجّ طربوشه ، ولمع حذاءؤه ، وتدلّت من يساره شهادة مدرسية ، كانوا يسمون حاملها في الزمان القديم « معلم » حتى اخترعت صحف بيروت لفظة « مثقف » - ان فريداً من « الشباب المثقفين » . ولحين تاريخه اعلاه ما افسحت الثقافة على اتساع ابحاثها عن معنى الشباب المثقف . فاذا قيل فلان (دكتور) علما انه طبيب او بيطار . او سموه (صيدلياً) عرفنا ان في وسعه تركيب الادوية ، او تزوير الكينا . اما الشباب المثقف - من يفهم ما معنى الشباب المثقف ؟

وكان ممن جهلوا معنى « الشباب المثقف » الشاب المثقف فريد زهنان . فيها هو يشعر بازدهام الافكار ، والارقام ، والتواريخ ، والحقائق في رأسه . وبنشوة المعرفة ، ووقار المعلومات ، وبنزوة الى شيء مبهم لا يدري ما هو . وها هو قد تخطّى بوابة الجامعة الاميركية الى الخارج فوجد الشارع يعج بامثاله . واكتشف انه ارتكب في الحياة غلطتين - الاولى انه لم يدرس اللغة الافرنسية ، فمات بذلك اماله بدخول دوائر الحكومة المتفرنسة . والثانية انه لم يسقط رأسه ، حين ولد ، في بيت « شيخ » او « بيك » من اقطاعي لبنان فاستحال عليه ان يقتعد كرسياً في قصور الحكومة ، لذلك عزم على السفر الى اميركا ، واميركا بلاد الثروات ، والعجائب والفرص ، والمغامم . ولكن احلام اللبناني ضحمت في محيّلته كل شيء عن اميركا ، ولوّنتها بالوان زاهية . ومن عاد الى لبنان من المهاجرين فهو مثر منظور ، ورمز النجاح في المهجر . ومن فني منهم

معدماً في اميركا فهو منسيّ يجله اللبنانيون ، لذلك لا يعرفون ان في المهجر تعساً وفشلاً .

وهرم الصيف في « عين الحسكة » واستحالت العناقيد الى دبس ، وخمر ، وتأهب فريد للسفر ، وذابت نفس ام فريد دموعاً تستعطف وحيدها الا يهجرها قبل ان تموت ، والا يتركها ميتة مدفونة ، والا يجعل من ذلك البيت قبراً لها مفتوح الباب ، موحش الجوار . وفريد على السفر مصر ، تذكي مخيلته امال الثروة ، ويقفز به خوف الفشل في مكانه وحاضره الى التعلل بالفوز في مستقبله ومهجره .

ومثلت فاجعة في ذلك الكوخ تمثل في لبنان كل يوم وليلة ، اذ فارق الوحيد امه - آه ما اعتقكم بامهاتكم يا بني لبنان !!

وكان ان الحرص ، والجد ، والتقدير الذي يستر لفريد ان يطلب العلم في المدارس العالية ، وفقر له ان يكون في الباخرة التي اقلته من « بيروت » من ركاب الدرجة الثالثة ، في حين ان جمهور المهاجرين اللبنانيين - ويزيد عددهم عن المئة - في الدرجة الرابعة التي يسمونها « على الظهر » وكان اولئك المهاجرون من الفلاحين الذين خشت مظاهرم واقتلت اثوابهم مع اجسامهم ، وخرست سنتهم الا عن لغة جبلية ، همسها مباح . وكان من الطبيعي ان يزهو فريد على مواطنيه - فريد الطلق اللسان بالانكليزية ، الانيق الثياب ، الذي يتحدث الى ضباط الباخرة بفصاحة وأنس . غير ان زهوه هذا ، كان في خفايا نفسه ، واما في الظاهر فقد كان متواضعاً لمواطنيه ، ركاب الدرجة الرابعة ، يترجم بينهم وبين ضباط البابور وخدمه . وكان اكثر الركاب اتكالا على انكليزية فريد رجل من جرود لبنان اسمه عباس الجعفري ، يجلّي الشاي بالملح ، ويمخط على الارض ،

ويعجز عن طلب الطعام .
« من وراء البقر » كان فريد يحدث نفسه اذ يتطلع الى عباس
الجعفري ورفاقه ثم يتمشى ، ويتطلع في البحر وافقه ، ويحلم بالغنى
والسعادة .

اما ام فريد فكانت تتطلع الى البحر فتواه امواجاً ، وحيثاناً ،
وعواصف ، واهوالاً . وترى فريداً على سفينة تتواقص بين الماء والسماء ،
وتحاول الصلاة فتعصاها الكلمات ، وتدير نظرها في البيت ، والضيعة ،
فترى الحياة فارقتها .

وذات يوم جلست تنوح فلا تبكي . وكأنا وتر الحياة فيها بتر ،
فتقرزت عيناها ، وجف جسدها ، وسكن ذلك القلب .

وظل فريد في احلامه وسفره . بل ارهفت احلامه ، فقد احبه كل
من عرفه ، وتوثقت صداقته مع ضباط الباخرة ، فاراهم ذات يوم محفظة
نقوده ، تزينها صورة امه - صورة شمسية ، كانت استاذة الاميريكي ،
المولع بالتصوير ، قد اقنع ام فريد ، في صيف خلا ، ان تجلس على عتبة
الكوخ ، امام آلة التصوير ، ايام كان فريد في اوج تلمذته ، يقترب من
يوم الشهادة . والحياة في عيني ام فريد آمال توشك ان تتحقق . فجلست
امام الكوخ يجلبها تاج شب مهب ، ويشع من عينيها حب الامومة ،
ينيره الزهو بان نجب فلا عجب اذا سحر ضباط الباخرة بتلك الصورة
- من يقدر ان يصف الام المبتسمة؟! - تلك النظرة العميقة الصافية ،
والاثواب الجبلية الساذجة ، والوجه الفطري البهي ، امام ذلك الكوخ
الآمن الوديع الفخور . امومة تبسم ، وهرم جليل ، وحب وسذاجة .
اي جمال اي فن !!

واراد الضباط ان يحملوا الصورة الى القبطان فاعتذر فريد قائلاً
انه حلف لأمه ان لا تفارقه الصورة وان لا تبعد عنه ، فهي كحجاب
يقيه المخاطر . فزاد فريد في نظر سامعيه شأناً ، اذ ان الغربيين
لا يقدسون شيئاً كالأمومة . وحدث الضباط قبطانهم عن الصورة ، فنزل
بنفسه الى الدرجة الثالثة - حدث في باخرة - وتطلع الى ابتسامة الام
ودمعت عيناه . ليت ايفون - زوجته - كانت حية فتنقلها بريشتها
وزيوتها الى صورة يدوية .

وبلغت الباخرة نيويورك فتودّع المسافرون . واقبل اولاد العرب
- كذا صار اسمهم - على فريد يشكرون له خدماته ، وكان اكثرهم
اعترافاً بجميله ، عباس الجعفري ، فلولا فريد لما عرف عباس ان يطلب
طعامه ولا شرابه .

وسار المهاجرون - اولئك الذين اتوا من وراء البقر يشتغلون كفعلة
وطلب فريد العمل الناعم في المكاتب فوجده .

والزمان يدب في بلد ، ويسير في بلد . اما في اميركا فهو يعدو ،
ويشب ، ويجفل . وفريد لم يدر به دولاب الزمان بل مرّ عليه . فقد مرت
عشر سنوات عليه ، وهو من عمل الى بطالة ، ومن افلاس الى يسر بسيط
حتى نزلت بالدنيا الكارثة المالية العظمى عام ١٩٣٢ وافهمت فريد انه في
وسع نيويورك ان تبقى على الدهر من غير ان يساهم فريد في اعمالها .
ولولا كرم المواطنين ، ولولا سخاء عباس الجعفري ، لاشتكى فريد الجوع
- بلى ، عباس الجعفري الذي حلّتي الشاي بالملح صار مليوناراً ! . الظاهر
ان البقر امهر بالقاء دروس الحياة من شهادات اساتذة الجامعات ! .

والبطالة خالقة الصداقات . ففريد صار يقضي نهاراته في مقهى يحفل
بذوي البطالة ، واصحاب الآمال المكبوتة امثاله ، الذين يتأفون من
الدنيا ، والزمان ، والظروف ، والقدر ، ويلومون الحظ والناس .
وكان ان يسرت له المحادثة ، وجمعت المياسطة بيوناني فنان ، مثل فريد
ناقم على الدنيا ، يشكو الحظ ، ويلوم الظروف ، فتألف قلباهما . والذي
حرم الغرام بامرأة ، وفاته الشغف بعمل ما ، وفشل ونقم ، وجد في
العشيرة مقلناً لعواطفه ، فلا عجب ان توثقت الصداقة بين اليوناني الفنان
وبين فريد زهنان ، وليس بمستغرب ان يبصر الفنان اليوناني صورة
ام فريد وان يعجب بها ، وان يشير الى مواطن الفن فيها !

وذات يوم بينا الاثنان في قراءة الصحف - والبطال « يفلّي »
الصحيفة - صاح اليوناني بفريد : اسمع ، وقرأ :

« يقيم المستر هنري ويلسون ، صاحب مكينات (هنست) التصويرية ،
في الاسبوع القادم سباقاً للصور الشمسية ، ويتعهد بأن يشتري بخمسة
آلاف دولار اجمل صورة معروضة » .

واشرق وجه اليوناني !

- اعرض صورة امك يا فريد وانا اتعهد لك بالجائزة الاولى . سأضع
لها اطاراً فنياً وعنواناً شعرياً . خمسة الاف دولار . ها ، ها ، ها . قهوة
يا غلام ! أي شيء نعجز عن فعله بخمسة الاف دولار ؟ انا فنان أفهم الفن ،
واكفل ان (صورتنا) تربح الجائزة الاولى .

اما فريد ففكر زهاء ربع ثانية ووافق على اقتراح صديقه . ولماذا لا
يوافق ؟ صحيح ان امه اوصته ان لا تفارق الصورة محفظته ، ولكن امه
الآن يعلوها متر تراب . وعلى ... وعد ... لامرأة ميتة !! خمسة الاف

دولار ، تشتري (عين الحسكة) وكل عيون لبنان !
وذهب الاثنان الى غرفة الفنان ، وراح هذا يبني الاطار ويزينه ،
ووضع الصورة في ذلك الاطار البديع . وبحت الاثنان في عنوان الصورة
ماذا يسمونها : كوخ وأم ؟ جمال الهرم ؟ . واخيراً اتفقا على ان يكون
العنوان : « أم تبسم » !

فكل من تطلع الى تلك الصورة في تلك المحفظة ، رأى الابتسامة
قبل ان يرى اي شيء آخر .

وازدحم الناس في المعرض ، وطافت اللجنة المحكمة وجلس المثري
وراء الطاولة خلف شك بخمسة آلاف دولار ، يدفع لحامله . وكانت الصور
المعروضة متنوعة بين حيوان وانسان وجماد . اما صورة ام فريد فكان الى
يسارها صورة (اجمل ساقين) والى يمينها صورة عاهرة تغمز غلاماً
وقد سميت الصورة (غمزة غاوية) ، فلما وصلت اللجنة المحكمة الى صورة
(ام فريد) صافح اعضاؤها فريداً وصديقه وتفرسوا بـ (ام تبسم)
مشدوهين ، بل شمل سكون الاعجاب من في القاعة ، ولم يسمع الا دقات
قلبين - قلب فريد وقلب صديقه . وفجأة قهقه المحكمون ، وكل من في
القاعة ، وغلب الضحك على الجميع ، كأنما نزلت بهم نوبة هستيريا ، وراحوا
يشيرون الى صورة (ام تبسم) .

والشرقي لا يقوى على مواجهة الفشل ، فخطف فريد الصورة وفر بها
يتبعه صديقه اليوناني .

في صباح اليوم التالي اجتمع فريد والفنان صديقه على عادتتهما في
المقهى مجدقان في فقرة ظهرت في جريدة الصباح :
(سلم المثري هنري ويلسون ، تشاك بخمسة آلاف دولار ، ثمن

صورة (الغمزة الغاوية) التي نالت الجائزة الاولى . ولكنها الجائزة نصيب
(ام تبسم) لولا بلاهة عارضها الذي عنوانها (ام تبسم) وقد كان من
الواضح لكل من رآها ان الام كانت عابسة نائمة ، غير انها كانت صورة
مهيبة متناهية في جمال الفن) .

لا يزال فريد يرتاد ذلك المقهى حتى اليوم . ولا يزال يتهم الناس
بالجنون .

وهو اليوم لا يفهم لماذا فشل في الحياة وهو من (الشباب المثقف)
وكيف ينجح مثل عباس الجعفري الذي جاء الى اميركا (من وراء البقر)
ثم يفتح محفظته فيعيد قراءة قصاصة الجريدة (.... لولا بلاهة عارضها الذي
عنوانها (ام تبسم) وقد كان من الواضح لكل من رآها ان الام
كانت عابسة نائمة)

ويعيد نظره الى صورة امه في المحفظة فيراها تبسم فيهز رأسه من
جنون الناس .

حصار الصف

تتحنج واستوى ، ذلك المتربع خلف طاولة تنوء بـ «كتب معرض الخطوط» «ومدارج القراءة» وما إليها. ثم اسند ظهره الى حائط تبودر بالكس فكاد طربوشه يلمس كعب عصا «الفلق» المعلق فوق رأسه - الفلق الذي يخلق باولئك الخمسة واربعين تلميذاً من وراء ديكتاتورهم المعلم دغاس . فارتجف التلامذة كأنهم غطوا في بركة القرية في زهري ذلك الشتاء . ثم تتحنج واستوى المعلم «دغاس» مرة ثانية وهزّ قضيب الرمان وصفع به الطاولة وصاح «يا فريد لقد تفردت بالغباوة . تقدم مني» ووقف فريد ، غلام في نحو الثانية عشر من عمره ، هادئ النظر ، اسود العينين ، ترقص على شفثيه ابتسامة دائمة تحار في فهمها ، أهى مفتاح نفس غيبية ، ام هي عون المضطهد على الهزء بالظلم ، ام انها شيء جميل خلقه الله لغير سبب معين . وجر فريد قدميه من الزاوية التي قبع فيها ، وانتقل في خمس خطوات الى حيث جثم معلمه فانفجر هذا بخطبة خلاصتها انه يرحم فريداً اذا سلخ جلده ، وكوى لحمه ، وقلع اذنيه ، لما يديه هذا من الكسل والتيسنة ، وان فريداً لو ملك شيئاً من سلامة الذوق ، لرمى بنفسه تحت حجر طاحون القرية ، فاراح امه من همه ، ووفر عليها الحبز ، وهو لا

يسوى كسرة خبز معفنة بصقها كلب جرب .

واصفى فريد الى تلك الخطبة التي تعود سماعها وعلم ان المعلم دعاس ،
سيصمت بعد تلك الرائعة الكلامية ، فيتناول اهراماً صنع من ورق اصفر
ويكتب بخط كوفي : « حمار الصف » ويتوج به رأس فريد على وقع خمس
واربعين قهقهة من تلامذة مدرسة « عين الدلب » تلك القرية اللبنانية
الكسلى التي انبطح في وادي الدلب تتشاب في غفوتها ، لا تسمع من
خوضاء الدنيا الا ضحك « نهر الدلب » الذي يتلوى بين بيوتها .

وتعانق عقربا الساعة فهد المذهب الاكبر يده الى الجرس فدقه ،
فانطلق التلامذة من تلك الغرفة كأنهم شظايا قنبلة وجر فريد من بعدهم
قدمين كأنهما زورقان ، وثقل الى الملعب فانتحى زاوية يرقب منها رفاقه
وقد غابت الابتسامة عن شفتيه ، لان فريداً متى اجتمع بنفسه وحيداً فتح
فاه واسمع اذنيه صوتاً جميلاً هو ، ذلك ما يعتقده الناس ، الشيء الثمين
الوحيد الذي يملكه ذلك المخلوق العجيب . اما رفاقه فكانوا يغنون ايضاً
اغنية اشتهرت في القرية وانتقلت الى القرى المجاورة ، وتعددت الحانها ،
اما كلماتها فهي :

شد العود وهات الدف

واسمع مني لحن جديد

تفرّد باسم حمار الصف

نابغة ضيعتنا فريد

ويبتسم المعلم دعاس اذا سأله من نظم النشيد . اذ من ينظم الاناشيد
في الضيعة الا المعلم دعاس ؟ اذا شرف القائمقام فمن غير المعلم دعاس يرصف
عبارات الترحيب ؟ « اشرقت شمس المعالي ، وطلع بدر المجد » ، من غيره

يجود بتلغرافات التهاني لموظفي الحكومة في بيروت « السنة الشكر
تنوب بتهنئتكم بالنيابة » وحينما رجع احمد بك من منفاه من سطر تلك
العبارات الخالدة ، « نحمد من ليس لغيره الحمد على العود الاحمد برجوع
بيكنا احمد » ؟ من يحور المكاتيب للمهاجرين عن لسان ذويهم ، من يقرأ
لهؤلاء رسائل الغياب ، من يرثي في المآتم وينظم القصائد في الاعراس ،
الا استاذنا دعاس ؟

اذاً فهو ناظم نشيد « حمار الصف » والنشيد لم ينظمه معلنا طوعاً
لسليقة شعرية امارة ، بل للمودة الخفية التي تربط المفترس بفريسته لان
التعذيب يسهل للمعذب الافصاح عن ساديته ، لذلك تلاعب الهرة الفأرة
قبل الفتك بها . كم من سيدة تموت حزناً على فراق خادماتها البلهاء . اذ
اين للسيدة ان تجد خدّاً تصفع ، وشعراً تشد ، وامراً تشتم . « لقد احببته
فقتلته » عبارة كم نطقت بها من امرأة اميركية ! كذلك الناس يحبون
من هم دونهم . خف الناس في زمن قوتك لا في ايام ضعفك . من في
وسع الناس ان يسخروا به فهو حبسهم اذ ان ضعفه يظهر ما في نفوسهم
من تفوق . اذاً فكيف لا تعطف نفس المعلم على تلميذه فلو لم يكن في
المدرسة « حمار الصف » لبقيت فصاحة المعلم دعاس مكبوتة ، ولما تدفق
بالوعظ والارشاد ، ولما اشبع سادية نفسه بضرب ذلك الغلام بقضيب
الرمان ، على قدمين شدتا بقلق . اما فريد فلبسه في نفسه او قوة ، او
استسلام ، ما عاد يأبه للضرب او الهزة ، بقي يبتسم لكل تحقير وسخرية ،
وصار يلبس قبوكة « حمار الصف » كما يلبس اذنيه . وكان لفريد خال في
الشرق الاقصى - مدينة هنكون - على مراسلة مستمرة مع اخته ام فريد .
وكان الخال يعرف عن فريد غباوته فاصر على اخته ان ترسل بابنها اليه .

وبالطبع استشارت ام فريد المعلم دعاس فاشار هذا عليها بان ترسل بابنها
حاله اذ لا مستقبل له في الضيعة الا ان يشتر كمن . واستشارت ام فريد
نفسها هل تسليخ عن نفسها وحيدها ولا زوج لها ولا عم ولا خال ولا
نسب . فهل تحكم على نفسها بالوحدة في آخر ايامها ؟ ولكن من ليلة سهرت
مفكرة تدير نظرها في متاع بيتها الحقير على نور سراج كأم الصاعد
درج المشقة، ثم تلقت الى بيت جيرانها المتوج بالقرميد الاحمر ، فترى
مصباحهم منارة « لو كس » شرته فلوس المهجر . بلى سيذهب فريد الى
اميركا وسيرجع بعون الله غنياً ، وستشتري قديلاً اقوى نوراً من
« لو كس » الاعداء . آه كم غرّب بذخ الجيران من بنيك يا لبنان !... وكان
من الطبيعي ان يستمع « حمار الصف » الى خطبة من معلمه مسهبة في يوم
وداعه . وكان من الطبيعي ان يموت خال فريد في « هنكون » يوم وصل
فريد اليها غير تارك الا ثروة من ديون عليه . وان تنزل بهنكون ازمة
تجارية تشد سنة بعد سنة . كل هذه المصائب شرحها فريد بعبارات هادئة ،
لا اثر فيها للمرارة او التحسر . فكانه يتلقى ضربات الزمان ، كما كان
يتلقى قضيب الرمان . وصارت كتبه كلها منسوخة عن بعضها فاولها تقبيل
يدي والدته ، وتقبيل يدي معلمه ، وتطمين عن صحته ، وانه يحصل
مصروفه وتقبيل شاري مجيد سلوم وطلب ابيات « عتابا » اذا وصل لمسمع
مجيد نظم جديد ففريد في الهنكون ، كما كان في « عين الدلب » يغني
العتابا ويطرب نفسه . هذه كانت خلاصة رسائل فريد ، وكان المعلم دعاس
يقرأها لام فريد ويهز رأسه قائلاً هذا ما كنت انتظره من « حمار
الصف » قلت لك يا ام فريد لن يكون لذلك الصبي قيمة في الحياة . ما
لك الا الصبر ، وتنصرف ام فريد الى بيتها وتتطلع في منزل الجيران

فيشع من عينها نار لو كانت نوراً لكسفت شعاع « اللوكس » .
 ومشى الدهر الى قرية « عين الدلب » الناعسة فجر کہا ، اذ نزلها
 ذات يوم اميركي يتكلم لغة عربية هي لتكسرھا كلها لوح زجاج وقعت
 عليه بلاطة . ودخل القرية واذا ع انه جاء ليفتح مدرسة واستاجر بيتاً
 واتى بعلم من بيروت ، وعلق جرسه ، ولكنه لم يكن في تلك المدرسة
 فلق ، ولا ارغم اهل التلامذة على دفع اجرة ، ولا اجبر التلميذ في زمن
 الشتاء على الحجيء بحطبة في صباح كل يوم . وكان الايام لم تنفع باضطهاد
 المعلم دعاس بمزاحم واحد ، فجاء من الطائفة الثانية من فتح مدرسة اخرى
 نكابة بطائفة الاميركي المستشرق . مدرسة مجانية بالطبع فاين المعلم دعاس
 وفلقه وقلمه القصبي . واين هو اليوم منه بالامس محتكر للعلم والثقافة ،
 فافقرت مدرسته ، وقل تعظيم اهل الضيعة لشأنه . لا ! لا تصدق ما
 تسمعه عن وفاء القرويين وغدر سكان المدن . بل لم يحل الامر من القول
 أن المكاتب التي كانت ترسل « للغياب » بعضها لم يصل لضعف كتابة
 المعلم دعاس باللغة الافرنجية . وبعد فمن يريد أن يرسل بانه الى مدرسة
 معلمها نكرة سياسية . فمعلم المدرسة الجديدة يرسل التواصي الى قنصل
 بيروت . ومعلم المدرسة الثانية مكاتبه تهز القنصلية الاخرى . المعلم
 دعاس ؟ ! هاه . هاه . من يحتاجه اليوم ؟
 ولقد سمعت بملوك انتحروا اذ خسروا عروشهم وآخرين التجأوا
 الى بلدان معادية اذ تقلقل ملكهم ولكنك لم تسمع بعاهل سكن طولول
 مملكته وعاش بين من كانوا رعيته . لذلك حمل المعلم دعاس كتبه
 واوراقه وفلقه وقضيب الرمان وانصرف مهاجراً الى قرية اكبر من
 « عين الدلب » اسمها نيويورك .

غريب أمر هؤلاء اللبنانيين . تجدد في نيويورك صاحب مدرسة رقص كانت امه شبه قديسه في بلاده . وتجمع بصاحب شركة بواخر في البرازيل كان في صباه بقالا في غزير ورب مدير معمل برانيسط في جزائر « الفلبين » نشأ بيطاراً يسمّر نعال الحمير على نغم هدير مطحنة ابيه في « الباروك » لهذا لا يستغرب أن تكون الايام دحرجت المعلم دعاس الى معمل تطريز كلسونات نسائية في نيويورك ثم نقفته الى مدينة « هانكون » الصينية على شواطئ نهر « اليانتي » فاذا استاذنا مدير معمل يشتغل فيه مئات من بنات الصين بطرزن اثواب النساء الجمية فيرتبها الاستاذ ويشحنها الى اميركا صناديق صناديق من حرير لماع « مزر كش » مبرك بالعلامة الشهيرة د. ر. ج. (دعاس رشيد) الجنيناتي . والرجال في نيويورك حبوب من رمال صحراء شاسعة واغنام في قطيع لا يعدّ . ولكن الرجل الابيض في مدينة صينية ، الرجل الابيض الذي يملك مصنعا ، يحفه من الاجلال ما يحف الموظف في لبنان . لذلك استرجع المعلم دعاس شيئا من وقاره وعادته لذة العيش الى أن سطا على الشرق الاقصى قانون الناب والمخلب . وهاجم اليابانيون ابناء عمهم بني الصين ، وامطروهم القنابل والمفرقات وتوغلوا في بلاد الصين حتى قاربوا « هانكون » ففرّ من المدينة اكثر أهلها ، ومعظم الاغراب ولكن المعلم دعاس لم يهرب . ذلك لأن اللبناني في قلبه مستسلم للقضاء . كذلك المعلم دعاس يخلق شاريه ويصنع شعره ، ولم يعد في شبابه . فالجراة أهون عليه من الحركة ، لذلك لم يهرب . زد على ذلك ان صاحب ذلك الشيء الموهوم الذي يسمونه الوقار ان وقاره يقيه حتى من شرّ القذائف . وفي ذات صباح فاجأ سرب من طيارات اليابان وفرغوا احمال الموت على المدينة ،

ولم يحجم معمل المعلم دعاس وقار المعلم دعاس فوقعت قذيفة على معمله واشعلت به النار . سبحان المقدر فقد كان صاحب المعمل بعيداً عنه اذ لطمته القذيفة فلما رجع رأى جهود السنين واحلامها ، تتحول الى نار ودخان ، والناس في رعب والاجانب البيض على أبواب قنصلياتهم تحميمهم جنودهم فاين جنودك يا لبنان وأين قنصلك ؟ !

مستر د. ر. ج. صاح به صديقه الاميركي إن كان جلدك من فولاذ لا تمزقه شظايا القنابل فابق مكانك امانحن فسائرون في قطار يتوك «هانكون» بعد نصف ساعة . ضرب الاستاذ دعاس أو المستر د. ر. ج. يديه الى جيوبه فاذا فيها أربع دولارات ، ومحرمة ، وعلبة دخان ، ومسبحة ، ونسخة قصيدة عنوانها « أهوال الصين » . تلك ، وشعره المصبوغ وشيخوخته ورماد مصنعه أمست كل ممتلكاته في الحياة .

— عجل يا مستر د. ر. ج. فالقطار يسافر بعد قليل ، واحسب أن جلدك ليس من فولاذ صاح به الاميركي مرة ثانية .

وتردد المستر الاستاذ ، وغص بدموعه ، وكاد يصرخ « لن ابرح مكاني » لو لم يسمع حجة قاطعة نطقها طيارة يابانية اقنعت بلاغتها الاستاذ دعاس وكادت تصم أذنيه إذ صفرت وهبطت على بناية قريبة فاشعلت النار فيها . ومشى الاستاذ الى الجمع الاميركي المزدهم على باب القنصل ، غائب الوعي ، ذاهلاً . وقد تحدت عقليته ، وانتبهت غريزته البهيمية ، فتلاشت ارادته وصار خروفاً في قطيع يمشي مع القطيع غير مفكر لا يفقه ماذا يفعل ، فوقع أوراقاً واجاب على أسئلة لم يفهمها ومشى مع القطيع الى حيث قاده راعيه القنصل وصعد القطار والمعلم لا يدري ماذا يفعل واسرعت عجلات القطار في دورانها ومضى وقت لم يعرف أستاذنا مداه ، أكان خمس

دقائق ، أم خمس ساعات أم عشرة أيام . وربما كان هو خلال ذلك طاوياً
أو متخماً بالطعمة . وربما قد شرب بحراً من مياه . وربما بقي جافاً
كصحراء . ويكلمه الرفاق فيبتسم ويصادق على ما يقولونه . وكثرت
تمتمته باللغة العربية ، فصار يقص على نفسه أحاديث هي مزيج من
صلوات وشتائم .

وكف القطار عن اللهاث ، ووقف في محطة كأنها غابة من نساء
ورجال واولاد - أيد ترتفع ، وقبعات ترقص في الفضاء ، وأصوات
فرحة تنادي القادمين ، ثم استبك القادمون بالمرحبين بمعة قبيلات لو
كانت قتابل لاردت من الضحايا ما لم توده مواقع « المارن » .

واقرب من الاستاذ صديقه الاميركي وسأله « طبعاً لك اصدقاء هنا؟ »
أجاب المعلم دعاس « طبعاً لي اصدقاء هنا بخاطرك » « بخاطرك » .
وفرغت عربة القطار من المسافرين والحقائب واستاذنا لاصق الى مقعده
يتم فجاء خادم العربية وابتسم وسأل الاستاذ اذا كان يود النزول فنأوله
هذا دولاراً وترجل سائراً في الاسواق فاذا المكان يعج بالجمهير كأنهم في
يوم عيد ، والشمس لا تعلق عن الافق كثيراً فالزمان اذن باكر الصباح أو
باكر العشي . وسار من شارع الى شارع وبدأ ذهوله يفارقه اذ همزه
الجوع والعطش . الى أين يسير ؟ وأين هو القنصل اللبناني ؟ فتذكر أن
ليس في الدنيا مدينة تخلو من سفراء لبنانيين وقناصل فسأل الناس في الطريق
اذا كان في البلدة لبنانيون فاجابوا نفياً . وسوريون فهزوا برؤوسهم . الى
أن التقى ببوليس ذكي اخبره أن ليس في المدينة لبنانيون ولا سوريون ولا
يُدري أن في الدنيا بشراً هكذا اسمهم . ولكن في طرف المدينة « تركو »
غني قصره بكل تلك الرابية ، وأشار اليها - لعله مواطن لك ايها الشيخ

« تركو » قال المعلم دعاس في نفسه « لعلة لبناني » ومشى نحو القصر ، وكان القصر كهدف العظيم تحسبه قريباً حتى تحاول الوصول اليه . مئة متر ، كيلو متر ، اثنين والقصر لا يزال بعيداً . وتطلع الاستاذ فاذا على جانب الطريق خمارة على بابها جمع فحدثته نفسه أن يستريح فيها هنيئة ، وسأل صاحبها عن ذلك القصر . وتفرس بالجمهور فاذا بعضه مشدوه واخرون يقهقهون . وقد توسطه رجل يكاد يكون أقرع ، كأنه لكثرة الغبار الذي طغى عليه قد خرج من كيس كلس ، وهو كأنه يخطف في الجمع أو يقص عليهم . فاقرب المعلم دعاس منهم وحلق بالحدث الحطيب . يا سبحان الله .

— « حمار الصف ؟ !! »

« المعلم دعاس ؟ !! »

وتعانق الاثنان واهوى فريد على يدي معلمه بقلبها . وهدأت ثورة العواطف وقفزت السنون القهقري فاستعاد المعلم لهجته التأنيبية وراح يطرح السؤالات من عل .

— « يا حمار الصف بعلمي انت في الهنكون » .

— « هذه هي الهنكون يا معلمي » .

— كنت أعرف من مكاتيبك الى امك انك في ضيق غير اني لم اتصور أن تكون في هذه الحالة . هذه رائحة الحمر تفوح من فمك وهذه ثيابك كجلال حمار ترمغ في ساحة عين الدلب ، في زمن الصيف وها انت ... ما صنعتك ؟ مضحك السكارى في الخمارة ؟ فاطرق فريد خجلاً وقال « ان الازمة شديدة يا معلمي و ... »

— لا عجب اذا قال لي الناس أن ليس في المدينة لبنانيون ، فلو ان مهاجريننا مثلك لكننا نكرة . يا خجلي بك يا حمار الصف . ولعل الاستاذ

اشفق على حمار صفه - وهو بتلك الحالة الرثة - او لعل حنينه للبنانه اماع قلبه ، ولعل استشاره بالوحدة والضعف وحاجته الى فريد - على ما في هذا من واضح المسكنة - اثار رواغه ، فتأبط الاستاذ ذراع تلميذه ومشى به . فسأل فريد معلمه الى اين هو سائر . المعلم - قيل لي ان صاحب القصر هو « تركو » غني . وما دمنا في الهنكون ، فأريد ان استدين مالا يوصلني الى اقاربي في اوستاليا . هل تعرف صاحب القصر يا « حمار الصف » وما هي قوميته ؟ اجاب فريد ان ليس في الهنكون من يجهل صاحب القصر ، اما جنسيته فمن يعرفها ؟ هو يتكلم العربية وقد يكون سورياً ، او تركياً ، او ارمينياً ، او مصرياً ، ولكنه لغز من الالغاز ، اذ ليس في القصر من يسكنه سواه . وفي القصر خيول وسيارات ، وخدم ، وبحيرة اصطناعية يقال ان اصدقاء صاحب القصر وصديقاته يسبحون فيها عراة في الليالي القمرية . وذلك « التركو » رجل طيب ، ولكنه رجل تغمره الالغاز ، أما علاقة « حمار الصف » به فهو ان فريداً كلما احتاج الى مال يقصد القصر فيستعطيه ، فيتقاضاه صاحب القصر ثمن عطاياه اصوات غناء ، ففريد لا يزال شجي الصوت . بل ان المعلم دعاس لم يجد ان فريداً تغير بشيء ، فهو لا يزال ذلك الغلام الذي يعهده ، متواضع الحديث ، هادئ الخطوات ، يراق العينين السوداوين ، الا ان تلك الابتسامة الهازئة انتقلت من شفتيه الى حديثه ، فصارت كلماته غمازة مزدوجة المعاني ، ولهجته مستخفة ساخرة . وعاودت العظمة المعلم فقص على تلميذه نبأ نكبته في « هانكو » ، ولقد يحسب المصفي الى الحديث ان الحرب كانت في حقيقة الامر بين الامبراطورية اليابانية والاستاذ دعاس . ثم تنحج المعلم وسأل اذا كان في وسع فريد ان يعاونه على استلاف ثمانمائة او الف دولار على الاكثر من « التركو » تعاد

اليه مع الفائظ والشكر في المستقبل . فاجاب فريد انه يعرف عن «التركو» فيما يعرف انه سويعاتي قد يعطي الالوف حين تطلب منه المئة ، وقد لا يعطي فلساً حينما تطلب منه الالوف ، ولكن « حمار الصف » سيدبل جهده في اقناع صاحب القصر . وكانا اذذاك على بوابة « التركو » فدخلاها ، وتخطيا الدار الى بهو حافل بالتحف والرياش وغالي الاثاث ، ففاص المعلم في مقعد حسبه محشواً بالحام الحشاشين . ونادى فريد اسماً ظهر على اثره خادم تبادل وياه حديثاً بلغة عجزية ، كأنها أزيز الدبابير خلط بنهيق الحمير وتقيق الضفادع ، ينفخ من بوق في بئر ذات صدى . وكانت بالطبع تلك اللغة غريبة على الاستاذ ، فما ان ادار الخادم ظهره حتى صاح فريد بلهجة جزعة « حظك عاطل يا معلمي » فالرجل غارق في لعبة بوكر مع انكليز ، ويقول لي الخادم سرّاً انه خاسر الالوف ، وانا لاجروء على الدنو منه . فحتمق المعلم وصاح انا لم آت لأختلس فهاله يرجع له مع الفائظ . يا خامل ، يا جبان ، يا حمار الصف انا المعلم دعاس ، انا مستر د - ر - ج . قل له ان يسأل عني البنك الفلاني في شنهاي . وما زال بفريد حتى اقنعه ان يصعد الى صاحب القصر في الطابق الاعلى ، فراح هذا يصعد الدرج متثاقلاً يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً . وما غاب حتى جاء الخادم فأشار الى غرفة تحاذي البهو صفت عليها الاطباق الشرقية ، واصناف الطعام ، والفواكه النادرة ، فجلس عليها الاستاذ كأنما مرت عليه سبع سنين عجاف وكأنه يخشى دنو سبع سنين عجاف . ومضت نصف ساعة فاذا بفريد ينزل الدرج مشرق الوجه ، فيقترب من الاستاذ واجفأ ويقول ، لقد جلست الى يمين صاحبنا فأتاه الحظ ورج ، فطلبت منه الفاً لك فأعطاني الفينها كها . انما يا معلمي قد احتفظت منها بمئتين - عشرة بالمئة عمولة (حمار الصف) لا اعتقد انها

كثيرة ، اليس كذلك يا معلمي ؟ فنظر المعلم الى تلميذه نظرة احتقار وضحمت ، ثم انفجر فصاح : لا ليست كثيرة الله يبارك لك بها . ولكني اريد مواجهة هذا الغني . فما انا بمتسول حتى ترسل الي العطية . فقال فريد لن ينزل الي مقابلتك ولو نفخت له ببوق جبريل . ألا تعرف تقاليد لاعبي البوكر ؟ اجاب المعلم طيب . اعطني ورقة . هذا سند مني . كمبيالة علي بالفني دولار . تدفع بكاملها حين الطلب مع فائظ ١٢ بالئة اوصلها اليه ، واسأل لي عن باخرة تسافر الي استراليا .

فاخذ فريد الكمبيالة وقفز الدرج صعوداً الى الطابق الاعلى ، ثم رنّ تلفون . وهبط فريد منفرجاً يعلن انه سلم السند لصاحبه ، وان من حصافة الرأي ان يسرع الاستاذ بالمشير ، فان الحظ عاف صاحب القصر فبدأ يخسر . وان في الميناء باخرة تقلع الي اوستراليا بعد ساعات معدودة ، وان «التركو» قد تلطف فامر بسيارة من سياراته الخاصة توصل الاستاذ الي الباخرة . وفعلاً خرج من الاسطبل اتوموبيل لمّاع يتهادى كأنه بعير خارج من خدر ناقة . وقفز عبد مرتد بدلة عسكرية بيضاء من وراء مقود ففتح بابها ودخله الرفيقان . وقبل أن تتحرك السيارة استوقف فريد السائق وقفز منها وغاب في باب المطبخ ورجع ضحكاً الوجه وسار الاتوموبيل فسأل المعلم تلميذه لماذا نزل من السيارة وما سبب فرحه فمد فريد يده الي جيبه وانتشل بضع ملاعق فضية وقال « لقد سرقها من المطبخ يا معلمي . عند الحاجة تشتري اكل اسبوع وسكره » فجن جنون دعاس وصاح بالسائق ان قف ولو كانت قضيب الرمان قريباً منه لراح يلسع جلد فريد ، ولو ان الفلق في متناوله لشد قدمي ذلك الحرامي . وحلف ليرجعن الي القصر يعيد الملاعق ولم يهدأ روعه حتى اقسم فريد

بضريح امه أنه يعيد الملاقى للطبخ حين ترجع السبارة .
والمعلم دعاس امتلاً بطنه وانتفخت جيبه ، وأتاه الموضوع ، فرجع
الى وعظه وفلسفته يا سبحان الله لقد تنبأت عنك انك لن تكون شيئاً في
الحياة . هذا غريب عن البلدة - ارمني . او مصري . او سوري . يأتيها
معدماً فيصير غنياً ، وصاحب اكبر قصر فيها . وانت ايضاً غريب عن
هذه البلدة . ولكنك تصبح ، مضحك الحماره وسراق الملاقى . وبلغ
الاثنان الباخرة فقبل لهما لن تسافر الا في صباح اليوم التالي وكان المعلم
دعاس منهوكاً فقال أنه سينام حالاً وودع فريد ووعظه ، بل دمعت
عيناه ، وكف عن ندائه « يا حمار » وكانت آخر كلماته له « الله معك يا
فريد ، وفقك الله يا ابني » .

فاتني أن اخبرك اني محام في الهندكون وأنني - ولا مباحاة - من
الاهمية بحيث لا اذهب الى مكتب احد من موكلي ، بل انهم كلهم منها
عظم شأنهم ، يأتون الى مكنتي ، كلما ارادوا استشارتي ، يشد عن هذه
القاعدة رجل واحد - هو صاحب القصر - الذي اتناول منه عشرين الف
دولار مرتباً سنوياً رسم استشارة ، عدا ما اتقاضاه منه اجرة دعاوى وهو
صديقي اتنادى واياه برفع الكلفة . لهذا دخلت عليه في مكتبه في صباح
الاثنين من غير ان ارسل اليه بطاقتي ، فالجمع الذي دائماً ينتظر مقابله على
بابه ، يعرف اني من الاهمية بحيث لا احتاج الى ارسال بطاقة ، واني في
الاخوة معه بحيث لا اقرع بابه قبل ان ادخل . لذلك شد ما كانت دهشتي
إذ دخلت فاذا به ليس وراء طاولته كالعادة ، بل كان في يمينه منظار
صوبه الى باخرة تاركة البور ، وقد امسك بيساره منديلا يابح به .

— ما بك يا فريد ؟ —

وقصّ علي فريد حكاية المعلم دعاس — ولكن كيف اتفق ان تفوح من فمك رائحة الخمر وانت لا تشربه ، وتكون زريّ الثياب وما رأيتك الا انيقها . قال فريد لقد اصرّ علي طيبي ان اتروض بركوب الحيل فامتطيت حصاناً ركض بي قرب الحمار فوقعت وتغبرت ثيابي وكاد يغمى علي ، فمالوني صاحب الحمار كأساً شربتها ، وفيما انا افص على الذين تجمهروا كيف وقعت عن الحصان فاجأني المعلم دعاس . قلت ألم يكن من الظلم ان تهزأ بالمعلم هكذا؟! اما كان ينشرح قلبه لو انك اخبرته انك صاحب القصر؟ قال فريد لكان من الظلم ان افجعه بنبوته . فالمعلم دعاس يعتقد انه يعرف كل شيء ويتنبأ عن كل شيء وطالما تنبأ واخبرني اني « حمار الصف » في المدرسة وسأبقى « حمار الصف » في العالم . ولقد هممت ان اخبره الحقيقة فاشققت ان اكذبه بنبوته وافجعه باعذب فلسفياته . وافتقد فريد كرسيه خلف طاولته ، ففارقته عاطفته واستعاد حذق التاجر وحذره وسألني وانت ما وراءك؟ قلت : لقد صادفت مهندس البلدية وحدثته طويلاً فلم يقبل ان يسمح لك بان قني تلك التسع بنايات كل واحدة عشرة طوابق لان الهنكون في زفار الهزات الارضية والقانون لا يسمح ان تكون البناية اعلى من ثمانية طوابق على ان يكون فولاذها مباداً »

فتناول فريد « حمار الصف » قلماً رصاصاً وحسب على ورقة امامه قائلاً نحسر طابقين في كل بناية اي ٥,٠٠٠ قدم مربعة $9 \times$ — خمسة واربعين الف قدم مربع . ستكون خسارتنا ١٣,٥٠٠ دولاراً اجاراً شهرياً . الله يلعن دين قوانينهم . وكبس على زرّ فظهر « ليك عبدك بين يديك »

حمود

عوى زمر او تومويل في مدخل بلدة (بعقلين) فانتصب « عساف الاقلعي » في حانوته ، وكان متكئاً على كيس قمح ، مسنداً رأسه بكفه يكشّ الذباب عن طبق بندورة بالكف الآخر . وهرع اليه جاره اللحام ضاحكاً وامسك كل ببندورة مهترئة وخبأها وراء ظهره . وافاقت الحياة في سوق البلدة وقد كانت تتأثب ، لان عواء ذلك الزمر اعلن رجعة « ابي دخنة » من بيروت . (وابو دخنة) هذا هو الشوفير علي الاقلعي ، اخو عساف . وقد سموه ابا دخنة لانه كان اول شوفير اقتنى سيارة للاجرة في بعقلين في زمن كانت السيارات فيه اندر من الغيلان . وماذا تريد ان يسموه غير ابي دخنة وهو ما سرى باوتومويله في الضيعة إلا واثار خلفه غيوماً من غبار دخان .

واقتربت السيارة من دكان عساف متمهلة بسيرها ، صخابة بزموها ، وانحنى (ابو دخنة) من نافذة سيارته فرمى بحزمة جرائد بيروتية الى اخيه عساف وصاح « اقرأ واشرح صدرك » . اجاب عساف واللحام معاً : كثر الله خيرك يا علي باشا ، هذا ثمن الجرائد ! - وصل الثمن . اجاب ابو دخنة اذ مسح البندورة المهترئة عن جبينه وصدرة... كذا هو دعاب القرى!

وغاب بسيارته وركابه . اكبّ عساف واللحام والبيطار وجمهور من الناس
 كان مبعثراً في حوانيت السوق على حزمة الجرائد يلتمسونها بعيونهم .
 كان ذلك عام ١٩٢٦ وكان تلهف الناس على قراءة الجرائد على أشده
 يتبعون ذكر المواقع بين « دروز حوران ، والفرنساويين » . اسمعوا ،
 صاح عساف اذ تجمّر وجهه ، ورقص شارباه ، ولمعت عيناه ، وقرأ متعثراً
 بالحروف : « ... في موقعة السويداء التي جرت امس بين جنودنا والدروز
 هجم على الدبابة بيطقانه رجل من الشوف اسمه (حمود) و ...
 هذا حمودنا - صاح الجمهور - . حيا الله ذكر حمود - صاح عساف - .
 وكيف لا يحيون ذكر حمود ، وقد عرفوه فتى في بعقلين يكراري على بغلين
 وحمار . فلما نشبت الحرب وحاصر الاتراك لبنان يجربون القوات عن اهله
 اخذ الناس يموتون جوعاً ، وكانوا يضيقون الحصار على قرى المسيحيين
 في الشوف ، والمسيحيون اخوان الدروز فنهض حمود وألف « قافلة
 بعقلين » المسلحة فخرقوا حصار الجنود ، وصدوا غزوات البدو ، وانطلقوا
 الى حوران يرجعون منها بالغلال تشبع الجياع .
 من لم يسمع (بحمود) الفتى العنثري ، الهادي ، الجبار ، المتضع ،
 اللطيف ، السكوت ، الذي يقبل ايدي المتقدمين بالسن ، المحيي الناس
 بالطف التحيات ، المفرق على الصغار التين والزبيب . اسأل ايأ كان من
 الناس عن مروءة (حمود) وبأسه تعرف اخباره . اسأل من أردت إلا
 (حمود) فهو لا يطيق التحدث عن نفسه . كانوا يسألونه اذ ترجع القافلة بعد
 ثمانية ايام وليال : حدثنا اخبار القافلة . فيجيب حمود : « علم الله سلمان
 قبضي . علي ذو بأس ، قاسم صاحب مروءة » ... ينشد بالجميع ويروي
 اخبارهم اما هو ... تحسب من حديثه انه لم يكن مع القافلة .

كان (حمود) فتي بعقلين عام ١٩١٦ فامسى في عام ١٩٢٦ بعد وقعة
السويداء بطلها .

بعد عشر سنوات - في عام ١٩٣٦ - كانت الشمس أطلت على جنوبي
لبنان من وراء (جبل الباروك) تنحدر الى البحر بغنج ودلال ، تاركة
فوق أفق البحر غمامات كأنها اثواب حسناء همت بتبرد ، فبعثرت بأثوابها
الحمية في خدر السماء ، وارسلت من خدرها بألف اصبع من شعاع تجس
حرارة البحر قبل ان تغطس . تغمر ضياع لبنان بألف عين
وكان جمهور من اهالي بعقلين يرقبون ذلك المشهد الرائع شأنهم كل عشية
متربعين على مقاعد من حجارة ملساء ، تحت سندية باسقة على هضبة تعلو
عن سائر هضاب البلدة كأنها جبينها . وكان بتوسط الجمهور (اسعد بك
الاحرس) يقرأ صحيفة بيروتية بينما يتشاغل ضيوفه بالاحاديث وبالتمتع
بمشهد المغيب . (واسعد بك) مضى عليه زمن كان فيه يتباهى على ضيوفه
بان يقرأ لهم الصحف بصوت عال . اذما حيلته اليوم وبين اولاده واولاد
اصدقائه من ينظم الشعر ، ويمجد الكتابة ، ويبتسم خلف كفه كلما سمع
اسعد بك يرفع المجوهر او ينصب المرفوع ، لذلك حينما استوى البك اسعد
في مجلسه وشدد نظارتيه على اربعة انفه وصاح : اسمعوا يا شباب ، أصغى
الشباب والشيوخ ، فاسعد بك لا يغامر هذه الأيام بالقراءة بصوت عال
إلا اذا كانت الخبر ذا شأن . قرأ البك : ... وأحاط بنسب الانكليز
من كل النواحي فوجهنها مفرزة فدائية تثقب لنا منقذاً في جناح العدو
الايسر فكان النجاح نصيبها وقد جرح من المفرزة بوجهه حينما هجم على
الدبابة وقتل بسيفه سائقها ، رجل من « الشوف » اسمه « حمود » ...

هذا «حمودنا» - صاح الجمهور الذي سمع بلاغ قائد الثورة السورية في فلسطين (فوزي القاوقجي) . قال اسعد بك ضاحكاً : اخاف ان يطل علينا حمود يوماً من الايام وعلى ظهره دبابة ليحرق بها «القلعة» فضحك القوم وراحوا يسردون من جديد احاديث حمود ، مايعرفه الناس من يوم ان الف القافلة ، الى وقعة السويدا ، الى ان التحق وعشرات من فلول الثورة «بسلطان الاطرش» في خيامه «بالازرق» على حاجب الصحراء السورية ، الى ان ثارت فلسطين ، الى واقعة نابلس ، الى الهجوم على الدبابة من جديد .

وردد اسعد بك - والشرقي ولوع بالتكرار - نكتته عن الدبابة وحرث القلعة . فحمود ترك في الضيعة غاليين : ابنه قاسم وارضه القلعة وحمود لا يدري ايها احب الى قلبه ، فالقلعة - تلك القطعة من الارض التي ورثها عن اجداده ، يفنديها بروحه ويجرئها باصابع يده ، بل باهداب عينيه . قطعة الارض للبناني هي المرساة التي تربطه الى مرفأه الامين ، فان قطعت المرساة تاه . وحمود نصب في القلعة التوت ، وهذب اشجارها ، وأنتق مظهرها . من اهل في لبنان ارضه ، فكأنما اهل لا ! ليست الارض كالعرض ، ولكنها ليست دونه بكثير . وحمود لم يهمل ارضه ولا ولده . فهذه مكاتيبه الى عمه الشيخ تبدأ بالسلام وتقيل الايدي ، وتقفز الى القلعة ، فهل دفع عمه الشيخ عنها الضرائب واكتوى من يجرئها ؟ ويستفهم عن كل شجرة ، وكل غصن . وكيف لا يعرفها شبراً شبراً وقد حرثها ، وقطفها ، وزينها ، وداواها ، خمسة عشر عاماً . وهل ينسى كيف كان يبدأ الحرارة من الجل الذي تحت بيته الى ان ينتهي الى آخر شبر في اخر جل ، حيث جثم مدفن العائلة . فاذا دقت «سكة الحرارة»

بجائط القبر اوقف ثوريه وتنهد . عند ذلك الحائط تنتهي الحراثة وتنتهي الحياة ... لا - من يقدر ان يتهم حمود بانه غير ذي مروءة؟ ففي كل رسالة اوراق ملونة ، تارة فلسطينية وتارة سورية ، تشتري قسط المدرسة لقاسم في بيروت ، تتعهد القليعة بضرورياتها ، وتموّن عمه الشيخ وتفيض ، بل هو في آخر رسالة اكثر من عدد الاوراق الملونة لتدفع رسم تسجيل (صك) القليعة باسم ابنه قاسم ، حتى اذا وافاه المقدر انتقلت القليعة الى ابنه كما انتقلت من ابيه الى ابيه من قبل .

*

وتزعر ثوار العرب الرصاص من صدور بنادقهم ، وودعهم القاوقجي ، وتفرقوا . ووقف حمود في عمان حائراً يسائل نفسه ابن مكانه من الدنيا ، فلا دوي البارود يدعوه الى الميدان ، ولا لمعانه يغمزه الى واجب ، فاين يذهب ؟ الى « الأزرق » على حاجب الصحراء ، في خيمة سلطان ؟ ان لسلطان عشرات الرجال يحسنون صنع القهوة مثل حمود . ام هو يرجع الى وهنا ذاب قلبه - لبنانه وبعقلينه ؟ . وفي بثقة من حنين استأمن بندقيته صديقاً له في عمان وراح يذرع الطريق الى بعقلين .

*

قبل ان حلم السنيور ماركوني باللاسلكي ، او بدأ مستر بل باختراع التلفون كان في « الشوف » من لبنان - ولا يزال - محطات خفية ترسل الاخبار على اسلاك غير منظورة ، وما كانت اذاعاتها قط كاذبة . تسمع ان حسين مسعود الرقاص مات في جبال المكسيك . من نقل الخبر ؟ لا تدري ، ولكن الذي تدريه ان حسين مسعود الرقاص وصل نعيه بعد ان شاع خبر وفاته باسابيع . تسري اشاعة ان العصاة الفلانية تنوي الفتك بالضابط الفلاني . ومن نقل الخبر ؟ كيف ذاع ؟ ابن مصدره ؟ من يدري ؟

ولكنه لا يمضي الاسبوع الا والضابط الفلاني صريع . هكذا تكهربت
« بعقلين » بنجر عودة « حمود » في صيف ١٩٣٧ .

☆

وكان الحبر ، على عادته ، صحيحاً اذ ان « حمود » قطع سهل البقاع
وانحدر من الجبل الى ان بلغ نهر « الباروك » فنزع عن رأسه عقاله
وكوفيته ورمى بها الى الارض ، وركع على ضفة النهر كالمصلّي وانحنى
يقبل الماء بشفتيه ، ويشفق ، على ظمأه ، ان يشربه . ثم استوى يمرغ
في نسيم تلك الصفصافة التي تحفر الماء ، وادار فيها حوله عينين وسّع الحذر
احداقهما واسودت ، وماجت فيهما غزة السؤدد في نظرة النسر اذ يحسب
انه يملك كل ما يرى . وراح ينشق النسيم خطفاً خشية ان يمر به النسيم من
غير ان يملأ صدره . وتطلع حوله فكان المكان خالياً في تلك الظهيرة
فرفع « حمود » صوته وتغنى : « هذه ارضي » وكأث اوراق الصفصاف
المتبعثرة سمعت الغناء ، وافرحتها رجوع ابن تلك الارض فتعلقت باذيال
نسمة وتوافعت على قدميه فصارتهما اجنحة خفتت بخطاه . وكان ان
وضع على حافة النهر عقلاً فاستعاده تاجاً ، ونفض عن كتفيه عشرين
عاماً - تلك التي مرت به من يوم ان طهر شفتيه بنهر الباروك لآخر مرة
ومشى بارز الظهر ، باسماء ، نحو تلك الهضبة التي تطل على معظم « الشوف »
وراح يغرف بعينه من مناظر تلك القرى . واهتزت نفسه بالذكريات
فحك لحينه الاسطنبولية القصيرة التي ارادها حجاباً يستر بها جرح فلسطين
وأخذ يفكر . لماذا تركت لبناني ، ولماذا هجرت قليعتي ؟ ما هي فلسطين
وماذا يعني من امرها ؟ وعلام شاعت في آخر هذا الزمان كلمات
« الوطنية » و« العرب » ؟ اذا قطعوا شجرة من اشجار « بعقلين » فعلينا

ان نقطع عشرة قبل ان تغيب شمس ذلك النهار . هذه الوطنية كما كنا نفهمها . والعرب ؟ من كان يعرف عن العرب شيئاً الا انهم اعداء دروز حوران ؟ سبحان الله كيف تغير الزمان وصار القبضي يدعى مجاهداً ؟ لا ! لا جهاد « لمود » بعد اليوم . لماذا لا يكون له مأوى مثل سائر الناس وتطلع الى الجنوب فلم ير « بعقلين » ولكن قلبه خفق اذ انه لأروع من رؤية المكان الذي تعشق تطلعه نحوه ، وشعورك انه لا يزال هناك . بلى ! لينعم صديقه العماني بتلك البندقية ، فحمود لن يبرح « القليعة » بعد اليوم . بل هو سيرسل لحيته على مداها ، ويستبدل العقال بالعمامة ، ومن يدري فربما على مرّ السنين تصبح العمامة الملساء ، مدورية ضخمة رمز التقى والتدين . الدين ؟ شعر حمود بوخز في ضميره . لقد اهلل الدين وهذا زمن التوبة . بلى . فسيكون بيته خلوة يتقاسمها مع اجاويد قومه في نشوة روحية . الله له على العبد حقوق وحمود اهلل ربه . يا ويله من يوم يلاقي به ربه فيسأله كم من حياتك كرّست لي يا حمود . فيغضي هذا بنظره ، وأغضى وحاول أن يستعيد كلمات صلاة فادرك أنه نسي من كتب العبادة حتى « الفاتحة » . يا ويلك من الديان يا حمود . لا لن يترك « بعقلين » ولا « القليعة » بعد اليوم . ولكن من أين يعتاش ؟ يا عيب الشوم ؟ من يخشى الفقر ؟ ! تراب « القليعة » خبز وحجارتها اثمار شهية . يعيش ؟ يعيش على المروءة والذكريات . في زمن جاعت به الدنيا ما جاع بنو بعقلين . فمن يخاف الجوع اليوم والدنيا بالف خير ؟ وكان ذكرى الجوع اعادت اليه ذكرى الحرب « والقافلة » فشعر كأنه يتبجّع امام نفسه فخل وقطع على نفسه تأملاتها وقطعها عليه صوب من الشتائم تدفق من التاحية المقابلة ، سمعها ولم يقدر أن يرى صاحبها ولكنه عرف أنه لا يفصل بينه

وبين صاحب تلك الشتائم إلا منعطف الطريق . فنهض واسرع ماشياً نحو صاحب الصوت لأن الشتائم كانت عليها ماركة « بعقلين » . فقد يتوحد اللبنانيون ثم يندغمون في وحدة سورية ، وتتوحد سورية مع سائر اقطار الضاد فتمسي وحدة عربية . وقد تتلاشي الوحدة العربية في وحدة آسيوية ، وتفتى هذه في وحدة عالمية ، قبل أن تتوحد لغة الشتائم . فالشتيمة هي أقرب الالفاظ الى قلب الانسان والصقها بلسانه ، لهذا لم يصعب على « حمود » أن يعرف من الفاظ الشتائم التي سمعها أن صاحبها « بعقليني » . ودار مع منعطف الطريق ففاجئه منظر سيارة اتيقة ، لماعه ، واقفة على ثلاثة دواليب ، رابعها رسم دائرة على غبار الطريق ، اهوى فوقه سائق انيق الثياب كأنه صفحات من كاتالوك خياط ركبت معاً ، ينفخ الدولار بقليل من الهواء وكثير من الشتائم وهو يهوي ويرتفع بذراعين كأنهما مسوا كان ، وكثفين تحدياً فكأنه شاب هرم وهو دون الثلاثين . حقاً أن اكبر خداعي الدنيا هم الخباطون . الا تراهم يفصلون البدلة توهم الناس أن لابسها كتلة من عضلات وعظام فاذا تعرى وجدته ... من « شبان اليوم » ؟ تنضح « حمود » وسأل متادباً . هل تريد مساعدتي يا ابني ؟ . السائق - والله يا عمي الشيخ لهجتك حورانية ، وانتم اصحاب مروءة ، ، فاذا نفخت الدولار كم نفخه اكون ممنوناً .

حمود - تكرم يا ابني . واقبل « حمود » على المنفخ بقبضتين من فولاذ ، فاذا بالمنفخ كأنه اسفنجة بين يديه فاطلق من قبضة المنفاخ ميمنه ووضعها خلف ظهره ، وراح ينفخ الدولار بيسراه كمن يتشاغل بأمر يسير ويتحدث مع السائق . لا ، لم يعد في « بعقلين » قافلة ولا اكادرون . رجال القافلة ؟ سلمان ، وفارس ، وسعيد سافروا الى اميركا . محمود واحد

وعلي ماتوا . حسن في السجن . حكموه عشر سنوات . قاسم ورشيد اولاد
عمهم في بيروت - فعلة . وكان الدولار خلال ذلك قد حبل ، فركبه
السائق في مكانه . وانتزع من الاوتومبيل سترة رمادية بطّين اللباد كتفها ،
فلبسها وفرش بنطلونه واحكم عقدة رقبته ، واستشار المرأة وابتم . ثم
ادخل محرمة بنفسجية في جيب الصدر ، وتناول من السيارة زجاجة كونياك
امتصّها وسأل عمه الشيخ اذا كان يريد « دمة » . ومشط شعره ، وعطر
شاربين كأنها دبور جثم تحت انفه ، وغلب الهزء على كلامه بعد ان استقام
اوتوموبيله . « وانا هاجر بعقلين يا عمي الشيخ ، سأستغل على هذه السيارة
بين بيروت وزحلة . اذا نزلت بيروت فاسأل عن « غاستون » يدلك
عليه . »

حمود - غاستون ، يا ابني ؟! ما بعلمي اهل « بعقلين » يسمون اولادهم
غاستون .

السائق - اسمي في بيروت « غاستون » ، اما في « بعقلين » فانا
الكلام بسرك ، « قاسم » ابن حمود هل سمعت به ، ذلك الذي يأكل
الدبابات ؟ كان عندي شقفة ارض اسمها « القليعة » بعتمها لرجل عائد من
اميركا وتركت الضيعة . من يقدر ان يقتني مثل هذه العروس - وأشار
الى السيارة - ويقنع بـ ١٤ جلّ من تراب واحجار ؟ وانت يا شيخ ، لهجتك
وهيئتك حورانية . لقد اكثرت الاسئلة عن « بعقلين » . لعلّ لك بها
اقارب او علاقات .

حمود - لا . ليس لي في « بعقلين » اقارب ولا علاقات . انا عن هذه
الارض غريب يا ابني - بل يا « غاستون » . وجلس « غاستون » خلف
مقود سيارته ، وتراجع حمود عن السيارة كأن فيها حمل برص ، فأطبق

السائق الباب ومجّ من القنينة ثانية و « حمود » يخلق به . ودوى محرك السيارة فالتفت « غاستون » بآبيه وصاح ساخراً « بخاطرك يا ابو حلية » ووضع ابهامه على انفه وارقص اصابعه متهاكاً وانطلق بسيارته بعد ان انبعثت من السيارة نفحة من الزيت المحروق عبت بانف « حمود » رائحة نشقها من قبل مرتين ، مرّة في السويدا وثانية في فلسطين .
وترامت الاجنحة عن قدمي « حمود » فوقف مسرّراً في الطريق ، وعلت كتفيه السنون من جديد فهدّلا وتراخى فكاه الاسفل ، ولم يبصر من الدنيا إلا خيمة في الارزق يتوسطها سلطان الاطرش بين نخبة من رجال . وصمت اذناه إلا عن نداء « هل عندنا قهوة يا حمود ؟ - حفنة يا مولاي .

- ابقها للضيوف واغل لنا تفالة قهوة الامس .
- أمرك يا باشا ، امرك يا سلطان .
« يسير يوماً للبقاع . ويوماً لجبل الدروز . ويوماً لعمان . يصل الى تلك الخيمة في خمسة أيام . قريبة قريبة » فكر حمود . وقطع عليه تفكيره زمور او تومبيل من خلفه ، وصوت سائق يصيح به « لماذا تعرض في الطريق ؟ لعل هذه الارض ملك ابيك ؟ » . اجاب حمود بانكسار « لا يا لافندي » هذه الارض ليست ملكي ولا ملك ابي . انا غريب عن هذه الديار . وكان الى جانب السائق فتى غث شجاعه خنوع ذلك الملتحي الواقف في الطريق فلوح بسوط يحمله وصاح : تنح عن الطريق وإلا اشبع جلدك خيزراناً .

تنحى حمود عن الطريق فلم يسمع السائق يقول لرفيقه « خاف من سوطك » فيجامله رفيقه بقوله « خاف من صوتك » .

وجر الغريب قدمين بطيئتين راجعاً من حيث اتى ، حتى اذا بلغ نهر « الباروك » ابصر جمعاً اغراباً على ضفافه يهرجون . وجرح النفس كجرح الجسم يتطلب الماء ، فاهوى يريد ان يشرب ، فاعترض نظره رجل ضخيم البطن ، يلبس « البيجامه » ، يغسل اركبته في الماء في اعلى النهر ، فرجع حمود عن النهر وبصق ، صرت مغسلة الاراكيل يا نهر « الباروك » . وطفر الى الجبل يصعده ، في طريقه الى الحبة في « الازرق » ، لا يلتفت يمينا ولا شمالا . ولا يتغنى ويحدي ، ولا يشتم ، ولا يتأوه ، بل يتمتم ، « ابقى القهوة للضيوف واغل لنا تفالة قهوة الامس يا حمود » .

*

اليوم تجد في بعقلين شيخاً معدماً ، يعيش على المروءة ، على الذكريات ، يمشي الى طرف البلدة ، ويزين القبر الذي في آخر « القليعة » ، ويصرف بنظره عن البيت الذي يسكنه صاحب « القليعة » الجديد — ذلك الشيخ هو عم حمود يجلس على مدفن العائلة كل عشة ، ويتطلع الى فاحية جبل الباروك ويسأل نفسه : ترى لماذا لم يرجع حمود حتى اليوم ، ولماذا انقطعت اخباره ؟

شيخ القافلة

امسك « ابو سلمان » بذنب دابته « الغبراء » وصاح « على مهلك يا عروس » ، ثم نفّض الثلج عن فروته وزفر زفرة تجمّد بخارها امام عينيه في تلك الليلة الباردة القارسة وتنهد « الحمد لله ، وصلنا » . ولقد يحسب من يسمعه ان ابا سلمان هذا اصبح على عتبة منزله حيث ينتظره حمام حار وفراش وثير . غير ان الامر لم يكن كذلك فالدنيا ظلام وثلج وبرد وارياح . وصاحبنا في اول الليل على قمة جبل الباروك . بينه وبين اقرب منزل مسير ساعات شاقة على ثلج وجليد ، وليس له من رفيق إلا دابته الغبراء ، وبارودة موزر في جوفها كلمات خرساء خمس ، فصيحة ولكن في الموقعة .

اما ابو سلمان فلم يشعر بالوحدة ، فها هو على القمة ، قد اجتاز سفح جبل « الباروك » صعداً من ناحية « البقاع » وهذه « عين اللجة » تجمّدت مياهها الى يمينه ، وها هو بدأ ينحدر نحو قرية « الباروك » وها هو ارز « الابل » يتأيد بعمائم من ثلج ، وهذه « بلاد الشوف » قد انبسطت تحت عيني ابي سلمان ملتحفة بظلام ، وابو سلمان ابن « الشوف » بل هو شيخ

قافلة « بعقلين » اميرة « الشوف » . ولقد تكون « عين اللجه » في شتاء ذلك العام - ١٩١٧ - مربوط الشذاذ ، ومسرح قطاع الطرق ، غير انها تشرف على « الشوف » - لذلك تنهد ابو سلمان وربط بارودته على جلال حمارته وصاح جدلاً « الحمد لله ، وصلنا » . وراح ينزل الجبل في طريقه الى « بعقلين » .

ومن ذا الذي يلوم ذلك الشيخ إن كان جدلاً . فالحرب العظمى التي اجاعت بني لبنان ، استتت ابا سلمان ، وعياله ، وقومه ، وها هو قد ترك « بعقلين » في قافلة عددها ثلاثون مسلحاً - تركوا ضياع الشوف خالية الكوارات هزيلة . وهم يرجعون الان من « حوران » محملة دوابهم حنطة ، وابو سلمان شيخ القافلة ، اذا فشلت بتهريب الغلال فهو المعلوم ، واذا وقعت بين فتیان القافلة فتنة فهو القاضي ، واذا هلك منها شخص فعليه المسؤولية . وها هم بعون الله راجعون الى الشوف سالمين ، إلا احدهم شاهين قاسم ابو علي ، فقد رقدت رصاصة في اعلى ذراعه ، ما عليه شر باذن الله . الحق على شاهين . لماذا لم يستمع الى عمه ابي سلمان في الموقعة؟! وذكر ابو سلمان الموقعة فشعت عيناه « قلت للملعون لا تقوس وانت واقف ، اركع وقوس . يا سبجان الله ما احمق فتیان هذه الايام ، متى سمعوا ازيز الرصاص جنّوا . ماذا اقول لأم شاهين عن جرح ولدها؟ الله يحقك يا شاهين . ما عليه شر باذن الله » . وراح ابو سلمان بصرخ : يا غبراء ، على مهلك يا عروس .

وكان ابو سلمان يتحدث بهذه الكلمات مع نفسه بصوت مرتفع ، فمن ألف العزلة اكتشف في نفسه احسن رفيق .
وابو سلمان اللبلة تهزه نشوة الظفر ، فراح يجر افراجه الماضية ،

فها هي اربعون سنة من عمره قد غابت فهو يرى نفسه على طرّ شاربه
يهاجر لبنان مع ابيه ليترق في حوران . يغزو « ممدوح باشا » بالجيوش
التركية جبل حوران فيشتبك قتانا في معاركها ، ويشهد فيها مصرع ابيه .
وتنشب بين دروز حوران و « عشيرة دحام » فتنة فيخوض قتانا معامعها .
ويرجع إلى لبنانه يحرق ويذرع . ثم يدخل صف الاجاويد - العقّال من
الدروز - فيتهمهم ويخلق رأسه . الى ان تنزل الكارثة الكبرى في الحرب
العالمية ، وتحبس الغلال عن لبنان فيجوع اهله . ويقف الجيش التركي
باسلحته بين حوان الحلبى بالغلال ولبنان الجائع . فيدير ابو سلمان عينيه
فيمن حوله ويهز رأسه ويتنهد . ثم يحدث بني قومه « ان الله عظيم قدير ،
سبحانه ، سبحانه . لقد كفرنا بانعامه فانزل بنا الجوع والامراض . هذه
خلواتنا تقفر من العبّاد . وهؤلاء فتیان هذه الايام همهم شرب « العرق »
والمماحكة . في حوران غلال . وعندنا اسلحة وبغال ، ولكن اين الرجال
تحترق صفوف الجنود اين ؟ . وسمع فتیان هذه الايام بأحاديث ابي سلمان
وهم يحترمون ويحبونه . ولقد يتهمهم بالكسل والسكر فيسكتون .
وينهاهم عن الكفر والتدخين فيحتملون . اما ان يتهمهم بالجن - هذا
كثير - . فجاء منهم وفد يقول : ماذا على ابي سلمان ، وهو موقن بأن
في الشوف اسلحة وبغلاً ، ماذا عليه لو ترأس قافلة تحاول السير الى
« حوران » والرجوع منها بالغلال ، وليختبر ان كان في الشوف رجال
وتألفت القافلة وسارت ، وساو ذكرها في الناس ، واصبحت مواقعها
تاريخاً ، بل اصبحت « قافلة بعقلين » من شهرة لباس بحيث تجنبتهما
عصابات البدو ، والجنود ، وصارت سفرائهم ، بعد أن كانت سلسلة
معارك ، آمنة كأنها نزهة مدرسية .

أما هذه المرة فلم تكن السفرة نزهة مدرسية ، إذ أن ضابط المخفر في « تل ابو شجرة » واسمه شريف افندي « وهو جندي ذو بأس ، كبر عليه أن يستنيم لقافلة الكارين ، فنزل « دمشق » واستعان برئيسه ، فعزّزه هذا بمدفع وخمسين جندياً مجرباً ، ففاجأوا القافلة في « تل ابي شجرة » . وذكر ابو سلمان المدفع وشريف افندي والكمين فضحك وقهقهه ، ورفع صوته بالحداء :

خبر « شريف » الجنـد في يوم المكيدة
لا مدفعه ، لا القدر ، ولا العسكر يفيد
ربك كتب للشوف تحميه اسوده
وهوذي شباب الشوف ساروا بقافله

بلى فشيخ القافلة كان شاعرهما أيضاً ، واعد الحداء بصوت غلب على الريح ، حتى ليعجب السامع كيف اختبأ ذلك الجهر الصوتي في مثل ذلك الجسد النحيل . وذكر « شريف افندي » من جديد فقهقه ثانية . ذلك أن حصان شريف افندي « الازرق » يمتطيه الان شاهين قاسم ابو علي ، الله يحقك يا شاهين . لولا جرحه لكانت السفرة موفقة ، وعزّي « ابو سلمان » نفسه فقال الله قدر لشاهين الجرح ومن ذا الذي في وسعه أن يرد المقدر . حينما سكبت الرصاصة في المعمل كان اسم شاهين عليها . وحينما ولد شاهين كان على ذراعه علامة خفية حيث توقد الرصاصة الآن . المقدر يسير الناس في شؤونها والله يستبق مسالكها ، وما على العبد إلا الطاعة والشكر .

وشعر الشيخ الستيني بالجوع ، وكان قد تصدق بزواده على فقير في الحان . وقد انهكه السير والبرد والانفعال ، ووتر عواطفه الحداء . ولقد

أحسّت الدابة بقرب المأوى فأسرعت في ترحلها على الجليل لا يصددها إلا ذراع أكارها ، ولو أن تلك الذراع كانت « فران » أو تومويل لتعبت ، فمر الشيخ بيده الثانية على لحيته وقال الحمد لله فمزل « ابي حمد » قريب . بلى لقد أصبح منزل ابي حمد قريباً ، وهذا نور السراج في ضاحية « الباروك » يغمز . فسكت ابو سلمان عن الحدا ، وراح يخمّن ان اي شهى طعام طبخت ام حمد هذه الليلة . اذ ان من عادة ابي سلمان ان يستضيف صديقه ابا حمد في عودته من حوران وطبعاً ابو حمد يعرف ان صديقه يرجع الليلة فهو قد استعد واكثر اصناف الاطعمة والاثمار المجففة . وزاد تصويره للاكل في شوقه للطعام وارهدف التخيل جوعه ، وشعرت الدابة بدنوها من مكان مبيتها فأسرعت واسرع الاكار من خلفها . وفجأة وقفت الدابة ، كأن قد عقد في كل حافر مرسة ، وتصلبت اذناها ، فعلم ابو سلمان انه في جوار عدو من وحش او انسان ، فقفز يريد ان يتناول بارودته ، فاستوقفته قهقهة من خلف عليقة وصوت يصيح ؟

— ابو سلمان ؟ !

— ابو حمد ؟ !

وتعانق الصديقان واشتبكت اصابعهما . ذلك ان ابا حمد كان في منزله المنعزل عن قرية « الباروك » قد رأى شبحاً ينحدر في سفح الجبل فرابه امره . ثم قال في نفسه لئن كان ذلك الشيخ من « قافلة بعقلين » فلعله ابو سلمان ، فشيخ القافلة ، دائماً في الطليعة ولئن كان عدواً فمن الرأي ان نترقه قبل ان يتعشانا . وسار الشيخان نحو منزل « ابي حمد » وابو سلمان يداعب صديقه « ابعد هذه الكبرة تربط الجبل يا ابا حمد ؟ ! » ثم يقص عليه انباء القافلة ،

وموقعة « تل ابي شجرة » وحصان شريف افندي ، سفرة موفقة والحمد لله لولا حمق شاهين قاسم ابو علي . الله يمحقك يا شاهين ، انما هكذا المقدر - اسمه كان على الرصاصة في المصنع حيث سكبت .

اما ابو حمد فلم يكن في جعبته من الاخبار الا انباء « التيفوس » تلك الحمى التي اردت كل من اصابته ، والتي ، على زعم طبيب الحكومة ، تسببها عقصة البراغيث يا سبحان الله من يصدق ان ابن آدم تقتله عقصة من برغوث ، ان الله لم ينزل كارثة الحرب بالبشر الا حينما اعوججت عقلياتهم وامسوا يدينون بمثل خرافات البرغوث « والتيفوس » .

تفضل يا اخي « ابا سلمان » .

ودخل الاثنان المنزل فاستلفت نظر الضيف غياب اثنين - ام حمد والشمعدان الفضي الذي كان مضرب الامثال في « الشوف » ، فقد كان ذلك الشمعدان من الفضة الخالصة ارسله لابه من المكسيك « حمد » المهاجر . بل شعر ان في البيت جوّاً موحشاً ، مبهماً ، مشبعاً بالالغاز . وانزل الحمل عن العروس « الغبراء » وعراها من جلالها ، وأحكم الخحلة في رأسها وعاد الى البيت ، فاذا ابو حمد يتلعم بالكلام حائراً ، يلج في دعوته الى الطعام ، قلت عليك يا ابا سلمان ، اتركني اصنع الطعام . سأفتح « المخدع » واجلب قليلا من اللبن ، والزيتون ، وصحن « مجدّره » . وابو سلمان يعرف انهم في « الشوف » متى الحوا في الدعوة للطعام فهم لا يريدونك ان تستضيفهم . ترى ماذا جرى ؟! ابو حمد لا يدعو الى طعام ، ابو حمد لا يعزم ، ابو حمد يضع الطبق حالاً ثم يشد بكتفك برفق ان اجلس ويعتذر عن حقارة طعامه ، مع انه شهبي متعدد الالوان . وراح ابو حمد يشدد بالدعوة وابو سلمان يستكثر المعاذير ويشرح الاسباب التي تصده عن قبول الدعوة .

- لقد أكلت منذ زمن غير بعيد . نفسي لا تشتهي الاكل الان .
 - اسمح لي ان افتح « المحدث » و ...
 ولو كان لذلك « المحدث » فم يضحك لهزت البيت قهقهاته ، فلقد كان
 خاوياً حتى من رائحة الطعام .
 - خيرك وافر يا ابا حمد .
 - قلت عليك يا ابا سلمان ...

وبعد ان انتهت طقوس الدعوة والرفض ، ولم يحضر طعام ولا ظهر
 طبق ، تناول ابو حمد من ثقب في الحائط يخفيه ستار ، بخطوطة دينية ،
 فقبلها وامرها على جبينه ثم فتحها ووضعها على مقعد خشبي خاص بها ،
 وجلس الاثنان يقرآن من كتاب الدين ، ويتروغان بصوت موحد النغمة ،
 عميق ، ويتبادلان مئة ويسرة على لحنه « سبحانك ، سبحانك ، ما اعظم
 ملكك ، واكبر شانك » ولبت الاثنان في مأدبة روحية استمكنت قواهما ،
 الى ان انتصف الليل فتودعا وانقلب كل الى مضجعه .

اما ابو حمد فقد اذاع على من يهيمه الامر انه نام بشخير يفيق الموتى ،
 واما ابو سلمان فراح يتقلب في فراشه يسامر البراغيث التي تألبت
 عليه وأقامت الولايم في مختلف انحاء جسده . ثم شردت افكاره
 في غوغاء من التفكير . الله يحقك يا شاهين ما هذا « التنفوس » وهذه
 الكوارث التي نزلت بالعباد ؟ ! اين هي ام حمد وكيف اخفى الشمعدان
 الفضي ؟ هل ذهبت ام حمد بالشمعدان لبيعه ؟ سبق وسرى في القوم همس
 ان ابا حمد في عسر ، ولكن هذا كان دائماً يحمد الله ويقول « الدنيا
 بالف خير » وفجأة نهض ابو سلمان من فراشه ومشى الى الكوارات فنزع
 كمامة كواراة القمح واجرى يده في نواحيها فاذا هي فارغة ... وكواراة

العدس ، كذلك ، وكوارة الطحين ... وكل الكوارات . وكذلك
المخدع . فاشرق ابو سلمان بدموعه وتطلع الى مضيفه حائقاً . لماذا كتم
ابو حمد عنه بؤسه ؟ ! وقفز به الفكر الى منزله في « بعقلين » فحمد الله
وشكره ، فكواراته ملأى بانواع الخنطة تكفيه ابداً اسبوعين . فانه
ابداً يخشى ان يصيبه مرض او ما يعيقه عن سفرة الى حوران فهو دائماً
يختزن مؤونة اسبوعين ، حتى اذا تخلف عن سفره بقي عنده ما يكفيه حتى
السفرة الثانية . وتطلع الى حيث وقفت دابته فاذا حوالها كيسان ونصف
الكيس من قمح وعدس . لماذا يكون عندي مؤونة اسبوعين فائضة ،
وابو حمد معدم ؟ سأبقي هذا الحمل هنا ، ونحن عندنا ما يكفيننا حتى نسافر
الى حوران ونرجع بحمل جديد انشاء الله . واصغى فاذا ابو حمد لا يزال
يرسل الشخير ، فنهض الى دابته فوضع على حوافرها اللباد ، ذلك
« الكالوش » الذي كانت تلبسه الدابة كلما اقتربوا من مخفر . ثم قادها
الى الخارج وما ابتعد عن البيت قليلاً حتى اعتلى ظهرها وسار الى « بعقلين »
وكأنما شخص امسك ابا حمد فهزه وهتف به « قم » فاستفاق فلم يجد
ضيفه في فراشه . وراح الى مربط الدابة فاذا ليس في المكان الا حملها .
فاشرقت الحقيقة على ابي حمد فهرع الى خارج البيت ، وكان الفجر بدأ
يبتمس ، وصاح : « يا ابا سلمان ماذا فعلت ؟ ! ارجع وخذ الحمل ، الدنيا
بالف خير » . فادار ابو سلمان وجهه نحو مضيفه واجاب بصوته الهدار :
« الدنيا قرضه ووفاء » . ورددت النحاء « الباروك » الدنيا قرضه ووفاء .

*

حينما أطل ابو سلمان والغبراء على « بعقلين » كان اكثر رجال البلدة
وصيائها في الانتظار يهزجون ويطلقون الرصاص في الفضاء . وانتهى السلام

والكلام فقفز احد الصبيان الى ظهر (الغبواء) وراح يرمح ملاقياً بقية القافلة . ثم احاط بشيخ القافلة بعض الشيوخ وراحوا يداعبونه « اين حمل الغبواء ؟ » قال بعضهم ان ابا سلمان راح الى حوران وسهى عن باله ان يشتري قمحاً . وظن آخرون ان في (عين اللجة) حورية تستبدل القمح بالابتسامات . وحكى آخرون ان ابا سلمان لقيه بدوي واغتصب منه حمل القمح . واكد غيره ان الغبواء لها بطن كمطحنة ، اكلت الحمل في الليل من غير ان يدري ابو سلمان . اما هذا فبقي يبتسم ولا يجيب على الدعاب . وكان البرد لا يزال قارساً ولكن ابا سلمان لم يشعر به ، بل مشى رأساً الى منزله فلاقاه ترحيب زوجته . وبعد السلام والكلام سأله عن الاخبار فقالت ام سلمان ليس من جديد الا التيفوس ، فكل من وقع بتلك الحمى الحبيثة مات . وحسبت انها اعطته تقريراً مسهباً عن كل الاخبار ، إلا انها استدركت وقالت : بلى جاءني البارحة ام حمد من الباروك واخبرتني سرّاً انهم في فاقة ، ولقد اوهمت زوجها انها ذاهبة الى (عاليه) لتبيع الشمعدان الفضي وتشتري قمحاً ، ولكنها في حقيقة الامر انت التي تريد رهنه عندي لانها توقن انها تقدر ان تسترده مني متى انتهت الحرب وعاد حمد يرسل الفلوس لهم ، اما انا فبعلملك يا ابا سلمان ان ليس عندنا مال ، ولكنني كنت متحقة انك عائد بمحمل جديد ، فاعطيها كل ما في الكوارة من مؤونة وقلت لها ان تستحي ان تذكر امر رهن الشمعدان . سبحان الله كيف كفرنا به ، فصار الانسان لا يعطي ولا يطلب شيئاً الا لقاء رهن وكميالة .

- وهل اخذت منها الشمعدان ؟

اجابت ام سلمان : بالطبع لم آخذ الشمعدان ، بل اعطيها كل ما في

الكوارة وقلت لها : يا ام حمد سيأتي يوم باذن الله ترجعين ما تقترزين .
الدنيا قرضه ووفاء ، أليس كذلك يا ابا سلمان ؟
- صحيح الدنيا قرضه ووفاء ، اجاب ابو سلمان ، اذ علق عمامته على
مسمار في عمود المنزل ، وارخى اثوابه قليلا ، واراح رأسه على مسند ،
وقد على البساط وثام محمومًا - بالتيفوس !

الكلمة العظيمة

مسكين سامي حميدان .

الشيخ سامي حميدان !

كنت الوم اهلي وانقم على ابويّ ، اذ لم يرسلاني الى مدرسة عالية ،
حتى اجتمعت بسامي حميدان . سامي - الشيخ سامي - معلم ، مثقف ،
صاحب شهادة طويلة عريضة ، فصيح ، عميق التفكير ، حلو الحديث ،
يجيد اللغات العربية ، والفرنساوية ، والانكليزية ، واسع الاطلاع ، ذو
شخصية تثير الاحترام .

كنا جارين في مدينة « مانيل » . حانوتي يلاصق حانوته ، ولا يفصل
بينهما إلا حائط من خشب . كنت ادعو حانوتي « الدكان » وكان يسمي
حانوته « المحل » ، وكان الناس يدخلون حانوته فينادونه « مستر حميدان »
بنحشوع ، ويدخلون دكاني فيصيحون « هاي - تركو » ولكنهم كانوا لا
ينصرفون من حانوتي إلا محملين رزماً رزماً من بضاعي ، أما من محل
جاري فلا يشترون إلا الشيء اليسير .

وها نحن في عام ١٩٣٧ ، وقد تكدست البضائع في دكانتي ، وعندني
في البنك ١٤٧١ ريال . أدفع ما عليّ في يوم الاستحقاق ، ولا أهرب من

دكاني في يوم السبت . انام في الدكان ، واطبخ في الدكان وارضى بما عندي
ولا أحمل همماً . أما جاري « السنيور حميدان » فليس في حانوته من
البضائع بالكثير مما في قفص الكنار ، ان استمر على هذا المعدل ، فقد
يمضي عليه ١٤٧١ سنة قبل أن يصير معه في البنك ١٤٧١ ريال .

ولكن لا تحسبن أن سامي غني . سامي شاطر . يفهم تقلبات السوق
أكثر مما افهم . خبير بالبضائع أكثر مني بكثير . وسامي عريف بالحسابات
وما هو بالمبذر ، ولا بالمقامر ، ولا بالمتهتك ، فلماذا يفقر هو واغني انا ؟
لا أدري !!

كنت أراه في ذلك الحانوت الزريّ فيموج قلبي عليه . مثل ذلك
الفارس ، حرام أن يمتطي حماراً أعرج . تلك الشخصية الفخمة الجذابة
حرام أن لا تقتعد كرسيّاً وراء طاولة في مصرف ، أو سراي ، أو أن
تنصب على غير منبر أو دكة استعراض .

لماذا يفشل « سامي حميدان » ؟

كنت اسأل نفسي ذلك ، فلا اجيبها الا بكلمة واحدة - الثقافة .
تلك الشهادة التي يحملها كانت « حرزاً » عليه ، فهي سبب متاعبه .
واعود فاحمد الله الذي اهمم ابوي ان لا يرسلاني الى مدرسة عالية .
وتوثقت الصداقة بيني وبين الشيخ سامي . إذ عرف كل حدوده ،
وما انتحل شخصية سواه . فانا اعرف من نفسي اني اكاد اكون امياً لا
احسن الاتوقيع اسمي « سليم الصيداوي » ، فكان سامي يكتب لي
رسائلي ، وكنت في صداقتي معه لا اتعدى منزلتي ، فما داعبته وما هزئت
به . وكان يوم السبت يوم دفع الديون للتجار ، ففي كل مساء يوم جمعه ،
احمل الى سامي ما يفيض معي من النقود - مئة او بضع مئات من

الريالات ، فيستعين بها جاري على دفع بعض ديونه يوم السبت ثم يرجعها الي ، كما يفتح لاعب البوكر ورقاته الخمس ، رويداً رويداً - وعلى مهل ، وكم من مرة عرفت ان بعض التجار يجسسون البضاعة عنه فهرعت اليهم اكفل حساباته من غير ان يعلم .

وكان قليل العشاء ، كثير المطالعة ، فما رأته مرة إلا وفي يده كتاب . وان اتفق ان رأته لا يقرأ ، فهو يرسل نظرات تائهة غريبة ، او اسمع منه متممة عرفت فيما بعد انها حديثه مع نفسه . وقد ادخل حانوته فأرى على الاوراق التي تلف البضائع عبارات يقرأها لي بعض الاحيان : « التاريخ كالايفون - قليله ينه ، كثيره يحدّر » .

« قصة عن رجل اراد ان يولم وليمة لاصدقائه الحقيقيين ، فراح يفتش عنهم بعد ان اوصى امه ان تهى الطعام ، فلما رجع الى بيته وحيداً استغرب ان يجد امه ما اعدت طعاماً . سألتها متعجباً . ضحكت وقالت علمت انك سترجع وحيداً حينما ذهبت ، في طلب الاصدقاء الحقيقيين » . « رواية ذات فصل واحد ، قروي ينزل الى العاصمة . نصّاب يؤجره غرفة الوزير في السراي . يدخل القروي غرفة الوزير ، فيكون هذا خائفاً من غوغاء تتظاهر في الشارع امام السراي ، فيسربان يعطي كرسيه للقروي المجنون . يهرب الوزير . تدخل الغوغاء . يحكم ويتكلم القروي المجنون بكلّ بساطة ، وصدق فطري ، فيعبده الشعب . حينما يرجع الوزير ليسترد كرسيه يطرده الشعب حاسباً اياه مجنوناً »

وكان سامي بخيلاً مع اولاد العرب في صداقته اذ ان هؤلاء سموه فيما بينهم « الفيلسوف » وراحوا يهزأون به . لذلك كانت يتدرج معي في افصاحه عن عواطفه . وبدأ يحدّثني بما سيؤلفه : « ما رأيك يا سليم في كتاب

موضوعه ...؟ رواية تبحث بـ ...؟» .

ما رأيي - انا سليم الصيداوي - بكتاب ؟ ! انا الذي لم يقرأ من الكتب الا « مدارج القراءة » . وكان يدعوني الى دار السينما فلا اراه يقهقه مع الجمهور ولا يطرب الا نادراً . فان اظهرت له استغرابي يجيب « هذه نكتة ؟! سمعتها من سنين ! هذا مشهد ؟! مسروق عن الرواية الفلانية » فاحمد الله اني لم اتثقف ، بل اطرب لكل مشهد واقهقه لكل نكتة فلم تحرمي المدارس لذة الافراح العادية ، والطرب لتوافه الامور . وتأتينا جرائد بيروت فيجبل نظره بها بضع دقائق « تعال يا سليم انظر الى هذا ال ... سرق عني التعبير الفلاني » . ويهوي الى كتبه فينبش قصاصة جريده قديمة ، فاذا فيها تلك اللفظة التي اليها اشار . وفي ذيل المقال توقعه .

وقد تصدر الصحف وفيها انباء قرب وقوع الحرب ، واعلان النفير العام في اوربا ، فيطويها سامي ويسخر : « مجانين !! الحرب لن تقع هذه السنة ، ولا السنة القادمة ! » ثم ينهال علي بسيل من حجج وبراهين ، ثم يأتي بمجلات لها شهرة عالمية يرجع تاريخ صدورها الى سنوات خلت « انظر ماذا قالت هذه المجلة عن موسوليني عام ١٩٢٩ ، المجلات تطبع للسوقة . مراسلو المجلات والصحف مأجورون او معتموهون . لا تحف يا سليم . لا حرب هذه السنة » .

وتجيء الايام مصداقاً لنبوءته . وكان شغفي به يزداد ، وكذلك استفاقي عليه فكلما زاد اعجابي وابقاني بنبوغه ، كلما زاد تحمّقي على ضعة حاله .

وفي ذات صباح دخل سامي حميدان الى دكاني وكانه قد شهد الليل

فهو حائق ، منرفز ، ناثر فناداني « سليم . ان لي ما اقوله لك » ، فتقدمت اليه مستغرباً . ترى هل افسد تمام ما بيننا ؟ وصاح بي سامي « سليم ! انت نكبتني ! » :

قلت « وكيف ، يا الشيخ سامي ؟ » . قال لا تدعني « شيخ » بعد اليوم . بل لا تكلمني ، فانت سبب فشلي ، اذ انك لو لم تسعفني باقراضي المال وكفالة حساباتي لانكسرت ، وحطمت هذا القفص - وأشار الى دكانه - ان عظيم النجاح يعقب عظيم الفشل . وما تشيخ القصور حتى تشاد على الانقاض . أما في أدبي فلم تكن انت نكبة علي بل كارثة . كنت جمهوري ، ونظارتي ومشبع جوعي العاطفي . لو لم تستمع لي وتعجب بي ، لكانت الدنيا لي ملعباً ، ونظارة وجمهوراً . لقد انصرفت ، عن ملايين القراء ، وجماهير المستمعين ، وقنعت بسليم الصيداوي . ولا تقل « شيخ » . إن هذا القلب الفارغ خدر أنانيتي وصرفني عن طلب التفوق الحقيقي . أنا عنوان ضخم لكتاب صفحاته بيضاء غير مخطوطة .

وأردت مقاطعته فاستوقفني ، بل ارعبني نظره ولو لم اكن على يقين من سمو مداركه لقلت إنه مجنون ، وأردف قائلاً ، اني والنجاح على موعد . وسنرى . لا تكلمني بعد اليوم . أفهمت ؟ .

قلت « الامر لك . لا كلام بعد اليوم » . قال هذا خطأ . فيجب أن نتبادل « صباح الخير » مرة واحدة في النهار . فصباح النهار ، كطفولة العمر ، يجب أن يكون جميلاً . ومررت الايام والشهور ، ونحن لا نتكالم إلا حينما نفتح حانوتينا . - صباح الخير يا سليم الصيداوي .

— صباح الخير يا سامي حميدان .

ولم أعد أعرف بعد ذلك من أموره إلا التوافه ، اذ يمر اجيره بباني في طريقه الى الرستوران فيغمز اجيري ويضحكان « قهوة . قهوة » . وقد جاءني صاحب الرستوران ذات يوم وقال « الظاهر أن جارك كثير الزوار . فما من يوم إلا ويطلب ما يزيد عن عشرين فنجان قهوة .

وإن اتفق أن مررت ببابه فلا أملك أن أراه والقلم في يده يكتب او يفكر . ولعل حديثه مع نفسه زاد ، وغلا صوته فكنت أسمع أقوالا بعضها عربي ، ولكن اكثرها افرنجي :

« آكل التوم لا تفوح منه رائحة الكولونيا ...

« ما أقدر أن أشتريه ، لا أستطيعه ...

« خفيّ كوجع الضرس ...

« ارخص من موال عتابا في بعلبك ...

« الدهر دولاب تديره يداك ...

« من جدّ وجد . وجد ماذا ??

« ووقع مجهوداً جهد جدل ، كبعير خارج » من خدر ناقة .

وبأني يوم السبت ، وترغرد التلفونات في اذن الجار . « ادفع لك متى صار معي . اخرج من هنا ... قلت لك لا تكثر الكلام » .

والمديونون تنعم احاديثهم ، وتلين كلماتهم ، الاسامي حميدان ، فكلما غاص في الدين ، واختنق ، كلما غلا صوته ودنا من الشراسة في حديثه .

وذات يوم اقبل علي خادمه وقال « انا في طريقي الى البوسطة لأرسل

هذه الصرة ، وقد امرني السنيور حميدان ان اريكها قبل ان اودعها

البريد . قلت اقرأها لي اذ ان معرفتي بالافرنجية ... فقرأ الخادم .

صموئيل جولدوين

هوليوود

كاليفورنيا « الولايات المتحدة »

وانصرف الغلام الى البريد، وانصرفت انا الى احلامي - بلى انا العديم
الخيال الذي لا احلم حتى في الليل - انصرفت الى احلام النهار . بلى
ستشتري هوليوود كتاب سامي و ... تطلعت الى الحائط الذي يحبني عن
سامي وابستمت ابتسامة خيّل الى انها نفذت من الحائط . وذرفت دمعين
ظننت ان الحائط لم يحجبهما عن عيني سامي . ولبثت ثلاثة اشهر يتأكلني
الشوق الى محادثة جاري ، ولكن هذا لم يتجاوز :

- صباح الخير يا سليم الصيداوي .

فأجيبه : صباح الخير يا سامي حميدان .

*

كنت في بناية البوسطة بعد ظهر ١١ اكتوبر سنة ١٩٣٧ . وكان الحشد
كبيراً في اروقة البناية . اذ ان اليوم التالي كان عيداً - عيد الجمهورية
الفيليبينية - والمدينة ، حكومة ، وبريداً ، ومصارف ، ومدارس مقفلة . والناس
على عجل في تسليم بريدهم فلا تبقى الرسائل في البوسطة الى اليوم الذي يلي
يوم العيد . وجال نظري في الجمع فاذا بسامي امام نافذة بريد اميركا
المسجل وعيناه تلمعان - تلك اللمعة التي اعتدت رؤيتها كلما نطق بعبارة
فذة يحسب نفسه مبتدعها . فثارت حشريتي وحاولت الدنو منه لولا ان
اصطدمت بنظرة منه دفعت بي الى خارج بناية البوسطة اركض نحو
حانوتي . فدخلت تواء الى المطبخ فاشعلت النار وطفقت اهيء العشاء . وفيما
انا انفخ النار واتطلع باللحم فابلع بريقي ، اذا بصوت فرح كزغرودة

الاعراس ينادي : سليم !! فتطلعت نحو الباب فزأيت سامي حميدان يشع
وجهه ، وقد عاوده رواء الصبى ، وانتصبت قامته كالرمح استقامة ، بيتسم
ابتسامة مسيحي ورع ظهرت له العذراء البتول . « سليم » !! صاح بي ،
تعال اليّ يا جمهوري ونظاري ، ان الدنيا دفعت لي ما عليها من دين .
سيمر الناس بجانبك بعد اليوم ويشيرون « هنا ألف سامي حميدان
الكتاب العظيم »

وتدافعت العبارات الوفاً الى شفتي اريد ان انطق بها دفعة واحدة ،
في صيحة : هاه !. فقهقه سامي وقال : هاه والف هاه !. كيف ترفض
هوليوود روايتي ؟ . انهم قبلوها وارسلوا لي مئة الف دولار ، وهم يعرضون
عليّ مئة الف ثانية ان انا قدمت لهم رواية ثانية خلال ستة اشهر ، على ان
يكون موضوعها ... يا لحقك يا هوليوود !! ويا لتبذلك !. أيحسبون الفنان
صانع احذية . اريد حذاء كذا لونه ، وكذا قياسه ، قبل يوم الاحد ..
هاه ، هاه !.

واقفل سامي جانوته ، واقفلني حانوتي . وفرّق مبيع النهار على اجرائه
ورحنا نذرع اسواق المدينة . « لعلك غاضب عليّ يا سليم ؟! ان اخوتك
من اجمل الامور التي مرت بي في هذه الحياة . على اني لو اجمت لنفسي ان
اقصر جهودها على الاطمئنان الى مؤاخاتك لما كان لي هذا الفتح . انظر
اليّ ألا ترى قامتي استطالت وصارت اكثافي اطول من اكثاف الناس ؟
ترى أيدري هؤلاء اذ تمس اثوابي اثوابهم ، بأي فنان يحتكون !. تعال نقم
الافراح لهذا الفوز . لن نشترى سيارة ولا ثياباً . تعال نشاطر الناس
قطاف بستاننا » وحمل دفتر الشكاك ، واخذنا نطوف على المواطنين .
فندخل بيت الواحد منهم فيفاجئهم سامي بنكتة ، او سلام مبتدع ،

ويجاده دقيقة ثم يترك بين يديه تشكراً بالف دولار او ما يزيد . ويفعل ذلك بلباقة من غير ان يشعر المواطن ان سامي يحسن اليه . فلما انتهى تطواًفا قال سامي ، كان المواطنون يسموني « الفيلسوف » اما بعد هذه العطايا فيسطلقون عليّ لقب « المجنون » وضحك بل قهقهه فقهقهه كانت صدى تصفيق جوانحه ، وقد اعيش مئات السنين فلا اسمع موسيقى اطرب من تلك القهقهة .

ولا انكر ان الاثرة في نفسي استفافت ، وصرت احدث نفسي ترى متى يأتي دوري باستلام التشاك ؟ ولعل سامي شعر بما يجول في خاطري فصاح بي « لا ياسليم ، لن اعطيك فلساً . اني قليل الذوق ان انا طمست معروفك بحفنة من المال . لا اريد ان احرمك من لذة تذكر مروءة بذلتها لي . لن اشوه بالمال جمال افعالك نحوي ... »

فقاطعته « اني لا انتظر منك مالا ... »
قال « الاحسن ان لا تنتظر » .

وكنا قد اعيانا التجوال فمشى سامي بي الى رستوران وطلب مبروداً ، فجاء الخادم بقدحي « بوظه » واعطى ورقة الحساب لسامي . فدفعها هذا نحوي وقال ، ادفعها انت ، ان من التبذل ان يجتال المرء بماله ، فنقدت الخادم ثمن البوظة ونهضت فاستوقفني سامي وقال « تعال نحسن الى جراند المدينة . فينتشر الخبر في « مانيللا » ، غداً تعال ندعو بخبري الجراند فمن العار ان تنقل « مانيللا » مثل هذا الخبر عن اميركا ، وتلفن الى صحف المدينة التسع ان يرسلوا خبرهم الى الرستوران الفلاني لاستماع خبر هام .
واقبل خبرو الجراند علينا كغزاة البدو ، فقص عليهم سامي الخبر ، بلباقة وتواضع طبيعي ، وراح يقرأ عليهم بعض مقاطع من روايته .

وانكشيت انا في مجلس استمع لكلام سامي ونكاته وعيناى تسبحان في
الدموع . لقد اصدرت الايام حكماً عادلاً .

مثل سامي حديدان ، خلق لمثل هذا الميدان . حاضِر النكته ، ذرب
اللسان ، يتراشق والصحافيين الكلام المزدوج المعاني ، المضمّن الغمزات .
ويضحكون ويشربون .

واني احاول ان اعيد احاديث تلك الجلسة ، فلا اقدر ان اردد منها
اكثر مما يقوى أن يردد من الحان « الاوبرا » رجل بسيط سمع موسيقاها
الساحرة . على أنى اذكر انهم سألوه :

— صف لنا فرحك بهذا الفوز . فاجاب فوراً :

— فرح البخل يستوفي مبلغاً من مديون ماطله ، وسوّفه ، فهو فرح
بالمال ناقد على المديون — لماذا لم يدفع قبل اليوم ؟ .

وانصرف مخبرو الجرائد نصف سكارى ، وبقينا في شوارع المدينة
وحاناتها حتى بشرت بالفجر أصوات باعة الجرائد . فاختطفنا من ايديهم
اعداداً فاذا بصورة سامي ، ومقالات عنه في أعمدة كثيرة ، فابتسم سامي
وابتسمت وانصرف كل الى فراشه ، وما استيقظت حتى بعد الظهر اذ دق
سامي باب حانوتي . وطاف بي من جديد ينثر التشتات ، ويجود
بالفكاهات ، والناس تشير اليه حيث سار . بل سمعنا هتافات « يحيى
الناطقة » وصارت النساء تبتسم له ، بل هجمت عليه امرأة اميركية
واغتصبت منه قبلة . وامسكت رفيقتها برأسه فقصت خصلة من شعره .
وبقينا حتى مطلع الفجر ، ثانية ، نتحدث ، ونجول ، حتى اوصلته الى
منزل صغير يسكنه في حي الاغنياء ، ورحت الى فراشي في حانوتي .
وكان سهو ليلتين متابعيتين انهكني ، فغطست في نومي ولم استيقظ

في اليوم الثاني إلا حوالي الساعة العاشرة صباحاً على صوت قرع شديد ،
وصوت أمر بصيح « افتح » فنهضت احسب أن زبوناً ملجأً أيقظني ،
ففتحت الباب فإذا ببوليس يأخذ بذراعي ويقول « امش » فذهبت معه
حتى وصلنا الى منزل سامي حميدان فاذا حوله طوق من الجنود وجماهير
غفيرة . فحرت في امري ولم يجيني البوليس على اسئلي حتى دخلت البيت
ففتح البوليس لي غرفة النوم فاذا بسامي حميدان ، متمدد على سريره ،
يبتسم ، والدم يصبغ صدره وفراشه .
« ما الامر ؟ ! » صحت مذعوراً .

« انتحر » اجابني الطبيب .
وتلطف مدير البوليس فخطبني « لقد نادينا عليك لان رسالة
الانتحار ، وأشار الى ورقة في كفه ، تعينك وصباحاً على شؤونه . ثم نحن
نريد اليك أن تترجم لنا هذه الورقة فقد وجدناها معلقة على مكتبه » .
فتناولت الورقة وقرأت في العربية :
(الى اخي وجاري سليم الصيداوي .

اما اجمل للنجم ان يطفأ من ان ينطفئ ؟ !
فتش في المكتبة ، تجدد في القعر (الكتاب العظيم) .
سلي .
ورجعت ابحت في المكتبة حتى القعر ، فاذا هناك ورقة مطوية
فتحتها وقرأت :

(سليم ، لقد عشت حلمي يوماً وها انا استفيق .
لقد كان آخر هزئي بالناس هذه الضحكة على ذقنك يا سليم .
فقد ما شئت ، فليس في هذه المكتبة كتاب عظيم ، ولا كتاب

حقيرو (• سامي
وتطلعت الى الغرفة حيث تمسدد سامي ، فاذا هو لا يزال يبتسم ،
فابتسمت ثم قهقهت . انا موقن ان سليا سمع قهقهتي وسر بها . فلقد اراد
اضحاكي بتلك الوضعية .

(لماذا تضحك ؟) صاح بي مدير البوليس .
اجبت : ان الناس في بلادنا متى غلب عليهم الحزن ضحكوا . وهذا
الرجل كان صديقي الحميم . قال : وما في هذه الاوراق ؟ قلت : ان بلادنا
كثيرة اللغات . ولقد كتب صديقي هذه الصفحات بلغة لا افهمها . قال :
ان بلادكم بلاد الغرائب .

ودخل علينا بوليس فالقى التحية العسكرية على رئيسه ، ودفع اليه
بصرة مخطومة كتب عليها :

(انا كلارك شروود ، كاتب العدل ، اشهد بان مكتب صموئيل
جلدون في هليوود اعاد هذه الصرة لمرسلها بالبريد المسجل من غير ان
يفتحها) .

قال البوليس ان مدير البوسطة اذ علم بانتحار هذا الرجل تلقن نجبونا
ان هذه الصرة وصلت في بريد اول امس ، وقد جاء سامي حميدان الى
البريد ، فلما قرأ ما على الصرة ابى ان يستلمها .
وتسلمت الصرة في جملة ما تسلمت من اوراق سامي حميدان .

اليوم في « مانيتا » تجد محل سامي حميدان (برسم الاجار) ولكن
ليس في مانيتا من يستأجره . بل ان الناس يرسمون علامة الصليب اذ
يمرون به . اما انا فالتفت كل صباح نحو جاري وابتسم واقول : صباح

الخير يا سامي حميدان .

ليت ابويّ ارسلاني الى مدرسة عالية ، فافهم قيمة الكتاب اذ تصفح الكتاب .

ليت ابويّ ارسلاني الى مدرسة عالية فاقوى على الحكم .
من يدري ان سامي حميدان حين اراد الهزء بالناس لم يهزأ بنفسه ،
وان ذلك الكتاب العظيم ، لم يكن كتاباً عظيماً ؟

الملك فرنشيس

البحر الصيني في ١ اذار سنة ١٩٢٦ .

ضاق بوجهه الدنيا منذ وسعت بوجه الانكليز فقد كان قبل ان فتح
البريطانيون جزيرة سيلان موفقاً في عمله لا يحمد الله على الغنى ولكنه لا
يكفر بالله من اجل الفقر .

استفاق ذات يوم فاذا في المدينة - كولومبو - عاصمة سيلان ، اناس
اغراب يشبهون النساء بانهم لا ينبت الشعر في وجوههم ، متشابهون
بالهيئات والملابس ، في ايديهم اخشاب طويلة كالعصي ، ولكنها ليست
عصياً ، قيل له ان اسمها « بنادق » ترسل الموت لمن يجسر ان يناوىء
حاملها ، وان هؤلاء الاغراب اسمهم « انكليز » وانهم جاؤوا على اثر
صداقة وهدايا تبودلت بينهم وبين جلالة السلطان ليتكرم فيأذن لهم
بانزال كتبة ترابط في المدينة لتحمي بواخرهم اذا اجبرتها امواج الاوقيانوس
الهندي الى الالتجاء لميناء كولومبو الهادئة الفسيحة .

دهش لرؤية اولئك النازلين ولكنه لم يتألم . غير انه لم تمض برهة حتى
كثر « الرجال - النساء » اي الرجال الحليقون ، وبعضهم ابنتى بيوناً ،
وآخرون فتحوا مخازن . ومرة كان « ياشاوا » - بطل قصتنا - سائراً في

السوق الى يمينه بدلا من اليسار فصرخ من ضربة سوط اصابته وجهه
وكان مرسل الضربة احد اولئك الاغراب الذين يقفون في وسط الشوارع
ويأمرون الناس بالمسير الى اليمين او اليسار او الوقوف لاسباب لم يفقه
« ياشاوا » معناها .

وامست المدينة كأنها بنيت من جديد . لم تعد القذارة تملأ اسواقها
ولا الحيوانات تقلق المارة بصواتها . بل اصبح كل شيء هادئا ونظيفا .
وشيدت البنايات الهائلة ، وفتحت المخازن وفيها من كل فن خبر . واغرب
من هذا ان اولئك الافرنج حبسوا بعض الحيوانات في اقفاص فصار
السواح يقصدون الى ما يسمونه « جنينة الحيوانات » .

ورتبوا الاعشاب في ضاحية كولومبو ، وزرعوا الاشجار وجاءوا
بالمياه فاصطنعوا بركة كبيرة طفت على وجهها الزهور فكان الافرنج
يأتون بعد ظهر كل يوم معروف ليتفرجوا على « جنينة النبات » وليسمعوا
اصوات زمامير وطبول .

هذه الامور دقت عن فهم صاحبنا . ولكن الذي فهمه انه كان له نول
(منوال بالقاموس) ينسج عليه في الاسبوع عشرة اذرع من الكتان
فبيعه ويعيش مع عائلته بخير . اما اليوم فمنذ جاء اولئك الرجال المرء
اخذوا يبيعون الكتان باسعار رخيصة فسكتت طقطقة نول ياشاوا
وضاقت الدنيا بوجهه منذ وسعت بوجه الانكليز .

ما عساه ان يفعل وقد تعلق برفقه زوجته واولاده؟. خطر له رأي .
في المدينة كثيرون من الرجال يجرون عربات خفيفة يركب بها شخص
واحد وكثيرون من السواح الافرنج يحبون ان يركبوا في عربة يجرها
رجل اسود . جاره يجر عربة وظاهر حاله يدل على انه « يعيش » .

ياشأوا بلغ الخامسة والاربعين ولكن في عضلاته بقية من الشباب ،
فأخذ يجر العربة وفارقه العسر .

ومرة جاءه سائح وابنه ، وكان كلاهما ضخم الجثة ، ركب الاثنان في
عربة فجرهما نحواً من ساعة . طلبا اليه بعد ذلك - بل امراه ان يصعد
بهما الى قمة الجبل لكي يطلاً على منظر غياب الشمس . فاطاع ، وراحت
نفسه تتطاير مع انفاسه اذ يذرع ذاك الصعد الحاد .

واخيراً وصل بهما الى اعلى القمة فنزل الاثنان واكلا في المطعم
الفخم على رأس الجبل . وشربا شراباً اصفر ، فاحمر وجههما وياشأوا يتطلع
اليهما وقد داخ من الجوع ومن التعب .
واخيراً رجعا اليه وكان الفتى مرحاً بطراً .

نادى الفتى « ياشأوا » لكي يقبل فافترب منهما ولمح في يد الاب آلة
عرف انها تلك الجثة التي تطيع الانسان على ورقة فتسمي (صورة) كأنها
الانسان .

امراه ان يقف فوقف ودنا الشاب يريد ان يقبض على لحيته لكي
يتصور قابضاً على لحية رجل هندي اسود يجر عربة . ولعله اراد ان يرسل
تلك الصورة لحبيبته او حبيبته او خليلته .

اللحية عند الهندي كالشارب عند السوري ، كلاهما رمز الرجولة وكلاهما
مقدس . وهذا الانسان الذي يجر العربة هو « انسان » وعنده عواطف ،
انف ان يشد لحيته غلام ، وخاف من سوط الافرنجي اذا قاتل او قاوم .
فامسك بخشبتي عربته وراح يتدهور خبيلاً من قمة الجبل .

ولكنه قبل ان يبلغ المدينة قبض عليه البوليس اذ كان السائح خاطب
الحكومة بالتلفون فامسكوا ياشأوا وجبسوه وغرموه بقليل من المال ،

« والقليل القليل منه كثير » لانه اساء المعاملة مع سائح اوروبي وفي هذا ما يسيء بسمعة المدينة .

باع عربته وعاف تلك المهنة ، وانتظر فرج الله . فالهندي شاعر بطبعه تقي بغريزته ، لا يخاف مايجيء به الغد لانه يعتمد على قوة عظيمة غير منظورة تبعث بنفسه الرجاء والآمال .

ولكن الزوجة لا يقيتها الرجاء . وفلذات الالكباد لا تشبعهم الآمال . حار بنفسه ولكنه لم ييأس .

وذات يوم كان يتمشى قرب المرفأ حيث ترسو البواخر كأنها الجزائر فوقف امام بابور كبير يعجب من ضخامته بسداجة وجهل . فبصر ببعض الناس يخرجون تابوتاً حقيراً ثم رأى بعد قليل بعض الاغراب المرد يشيرون نحوه ويتهايمسون . واخيراً نزل واحد منهم وسأله ان كان يقبل ان يخدم في الباخرة كجرسون يأخذ ليرة بالشهر .

فقد كان التابوت يضم رفات خادم ميت ، ما يدرينا ان كان التعب قد اماته .

جرسون لم يفهم معناها . واما ليرة ! جنيه ! عشرون شلن بالشهر ! فهذا ما اسكره . خصوصاً وانه لا يغيب عن بيته كثيراً اذ ان الباخرة تمر على كولومبو مرة كل اربعين يوماً فيرى زوجته واولاده ويعطيهم كراءه الشهري .

كل ما عند الفقراء قليل وبسيط . افراحهم واحزانهم . وكذلك وداعهم . فبأقل من دقائق عشر ودع ياشاوا عائلته وجمع عفشه المؤلف من قميص - وقميص فقط وراح الى الباخرة بعد ان اوصاه « غشتانا » صغير اولاده ان يأتيه ببرنيطة وبوط متى رجع .

بهر « الجنيه » عينيه ودفعه حب خياله الى ترك عياله
ولكن الذي استهواه اكثر من هذين هو روح استطلاع المجهول والتعرف
الى الجديد - تلك الروح التي تكون على اشدها في الفتيان وتضعف في
الكهول وتكاد تتلاشى في الشيوخ .

- اسمك يا شاوا ؟ !

وقلب الانكليزي - رئيس الخدم - شفتيه متأففاً منقرزاً .
- انه لاسم وسخ هندي . اسمع . ان الجرسون الذي فطس البارحة
وشغلت محله كان اسمه فرنندس فليكن كذلك اسمك فهو اهون علينا
لفظاً لمرونه الاوربية ثم نحن لا نحتاج الى تغيير الاسم في دفاترنا . وما
تقصد بمحمل هذه اللجة المستطيلة ؟ او كذلك اني لن اسمح للجرسون ان
يستعمل غير المكنسة لتنظيف الغرف . هيا احلقها .
اصر يا شاوا - او فرنندس على استبقائها واصر رئيسه على استطارتها .
يا لعنة الله صبي ! هي كانت بليته يوم كان يجير العربات وهي الآن علة لبلاء
جديد . غير انه ما حرص عليها الا لان قبيلته شديدة المحافظة على ما في
الوجوه من ماء وشعر فان هو اذعن الان للموس عيروا اولاده من
بعده . وهو اسفق على اولاده منه على نفسه . انه اب .

- اقطع عنقي قبل ان تفعل بي ما تقول .

ذلك كان جواب فرنندس .

واخيراً فكّر رئيس الخدم واذن باستبقاء المباركة لكي يزيد في أبهة
الخدمة اذ انهم يستخدمون الهنود السمر ليعثوا في المسافرين لذّة السيادة
فان سمرة الوجوه وسوادها او اصفرارها في الخدم تذكر صاحب الوجه

الابيض بسيادته وتفوقه .

يا فرنندس تنهض الساعة الرابعة فتصلح من شأنك وترتدي هذا الثوب الذي ارتداه سميك من قبلك فاذا مضى عليك في ذلك نصف ساعة تجمع الاحذية من امام غرف المسافرين فتمسحها قبل ان تدق الساعة السادسة واذا ذاك تذهب الى المطبخ فتأتي بالاثمار والقهوة لاسيادك . تصبّحهم لا فرق ان ردوا الصباح ام لا . وتكون في خدمتهم حتى ساعة الترويقة واذا ذاك تكون على المائدة . وتقضي سائر النهار بالتنظيف وقضاء حاجات المسافرين كلما امروك والظهر تقدم الغداء وفي المساء العشاء وتسهر منصتاً الى الجرس نهرع الى الغرفة كلما رنّ وعندما تصير الساعة الثانية عشرة في الليل تنام ثم تنهض الساعة الرابعة . وفي آخر الشهر تقبض الليرة اذا احسنت الخدمة اما اذا كان في سلوكك ما يشتكى منه فامامك خصم المعاش . اُسمعت ؟ هيا الى عملك .

« يا جرسون » - عبارة نهتف بها كلما دخلنا مطعماً او مقهى من غير ان نفكر فيما تحمل طياتها من معاني الحقارة والزراية . ويا « جرسون » سمعها فرنندس مئة مرة في اليوم من غير ان يشفعها المسافرون بكلمة تحجب او بابتسامة عطف .

مرّت الشهور فانحل التعب جسم فرنندس وضخم السهر اجفانه وكان كلما زاد في اتقان خدمة المسافرين كلما نفر من عجز قوتهم وارتستقراطيتهم . الى ان ركب معه من بورسعيد فتى في شرح الشباب شديد احمرار الوجنتين اشقر الشعر ازرق العينين يتكلم الانكليزية ببلغّة ويظهر من مجل امره انه روسي . وقد ادهش هذا الفتى فرنندس اذ ناداه « يا اخي » وسأله باطف ان يحذف في مخاطبة كلمة « سيدي » اذ ان الناس اخوان

وان حقت السيادة لفريق فلا ولئك الذين يخدمون لا للذين يُخدمون .
ان صحّ ان يتجاوز حب الرجل للرجل العاطفة الهادئة الى الغرام فقد
عشق فرنندس مباديء هذا الروسي وكلامه وديموقراطيته وتلك الابتسامة
التي تحمل معاني الثأر لحق مغتصب والتي كانت لا تفارق ثغر الروسي فقد
كان يتسم ابتسامة الوعيد حتى وهو نائم .

وليلة عيد الميلاد احتفل المسافرون الانكليزيين فاولموا المأدبة الفخيمة
وفي نهايتها شربوا نخب الملك وهم وقوف فتحمس الفتى الروسي ووقف على
الكرسي وصاح « اني اشرب نخب الذين عصروا هذه الحمرة - نخب العمال »
وفي تلك الليلة نزل القبطان ومعه اربعة من ضباط الباخرة ففتشوا
حقائب الروسي فوجدوا معه اربعين باسبورت فغلّوا يديه وسجنوه على
عجل بحيث لم يستطع ان يودع صديقه فرنندس بغير ان دسّ في جيبه
ورقة فيها شيء ثقيل .

ملك الاسي قلب فرنندس لجه لذلك الفتى ، وغمض عليه السبب الذي
من اجله سجنوه . فلما عاد الى روعه من نشوة الدهشة والاستغراب تناول
الورقة التي دسّها الروسي في جيبه ففتحها فاذا هي تحوي ليرة ذهبية واذا
في الورقة كتابة لم يفهما لاول مرة ولكنه عاد فراجع تلاوتها حتى
استظهرها واذا ذاك وضع معناها اما الليرة فلم يتصرف بها ولم يعطها
لعياله بل انه ثقبها وعلقها في رقبة محتفظاً بها كتذكّار من صديقه المسجون
واما الورقة فكان فيها هذه العبارات النارية :

« تعيش انت لتشقى ، ويعيش سواك لينعم . لولا شقاؤك يا فقير ما
تنعم الغني بالحياة . يا صعاليك العالم اتحدوا وانفضوا الى حقوقكم بالسيف
وبسفك الدماء . »

« تعيش انت لتشقى » - هذا صحيح فقد كانت ايامه ولياليه سلسلة
اتعاب ومشقات ولماذا؟ « ليعيش » فقط .

« ويعيش سواك لينعم » - قول حق . كيف لا وهو يرى الآكسين
انواع الطعام ، الشاربين ملون الشراب ، المستريحين نهارهم ، اللاعبين
في لياليهم .

« لولا شقاؤك يا فقير ما تنعم الغني بالحياة » - تلك هي الحقيقة المؤلمة
فلولا نهوض فرنندس الباكر ومسحه للاحذية وتقديمه الفاكهة والقهوة
وطاعته العبياء لكل ما يؤمر به ، ما توفر الرخاء لاسياده .

اما التحريض على سفك الدماء فهذا ما اقلقه وجعله مشرد الفكر
مشدوهاً .

اخذت هذه الافكار تختمر في رأسه وكان يطارحها رفاقه الخدامين
والعملة حتى حفظها الجميع وكانوا يتحدثون بها وبمعناها كلما سنحت لهم
لحظة من راحة بل انها صادفت هوى في نفوسهم التي كادت تمحقها الاتعاب ،
واصبح شغلهم الشاغل واحلامهم تلك القنبلة التي القاها فرنندس بينهم .

وكانت الباخرة قد غادرت عدن في طريقها الى الهند . فاتفق ان
شغل احد الغرف التي يتعهدا فرنندس بخدمته فتى ماجن اتى من عدن
مع امرأة قال انها زوجته . وكان هذا الفتى كثير الضحك مولعاً بالهزء
حتى من نفسه . وقد اعجبه فرنندس بهيئته الهندية ولحيته المستطيلة فلقبه
« بالملك فرنندس » لزمه انه يشبه احد ملوك اسبانيا الاقدمين .

وسار هذا اللقب بين المسافرين فصار « الملك فرنندس » اضحوية
المسافرين من كبيرهم الى صغيرهم لا فرق بين الشيخ الطيب ذي الصلعة
الواسعة وطفلهم الذي يتمم العبارات ويلتغ بالحروف .

فزاد هذا اللقب في آلام صاحبه ومرارة عيشه . اذ ان الهزء آلم
انواع الاهانات .

أقبلت ليلة العيد . عيد رأس السنة فنصبت موائد القمار وتطايرت
الزجاجات الفارغة فوق الرؤوس التي الهبتها . وحفلت القاعة الصكبرى
بالرافضين والراقصات وكلهم متزي بالبسة المساخر فهذا لبس رداء قاطع
طريق وتلك تنكرت بزي بدوية وراحوا يرقصون ويعربدون حتى اذا
دقت الواحدة بعد منتصف الليل هنا بعضهم بعضاً بالعام الجديد بارك الله
في سنة تستقبل بالسكر والقمار والعريضة ، وبما يتبع ذلك من فحش
وفساد .

وكان بهجة المتنكرين بالبسة المساخر صاحبنا الماجن الهزآل فانه تقلد
« الملك فرنندس » بلبسه ولونه وحركاته وسكناته . وقد اجاد في التقليد
اجادة حملت المحكمين ان يهبوه الجائزة الاولى . اما فرنندس الحقيقي
ورفاقه « الصعاليك » فقد لبثوا يخلقون بهذا المشهد الموهوس من خصاص
الابواب التي تطل على القاعة وكانوا يتحرقون اذ يبصرون اولئك الافرنج
متزئجين من السكر عابثين بالتقاليد الهندية متقلدين كهنتهم وبراهمتهم
وساخرين بكل ما في تاريخهم من مقدس . وكانت الضحكات في القاعة
تتعالى كلما اقترب « الملك فرنندس » التقليدي مع رفيقه البدوية
المزيفة وهزآ حيته وصاح انا « الملك فرنندس » ثم امسك بحصر رفيقه
وطفق يرقص بجنون بين قهقهة الجمهور وهتافهم .

أرأيت النهر يتخاذل امام السد الهائل برهة حتى اذا استكمل النهر
قوته طغى على السد فهدمه ، أرأيت النار تضطرم في جوف الثرى مضغوطة
بثقل ما فوقها فاذا طال الامد شقت الارض واندلعت منها ارباح محرقة —

هكذا تواب الملك فرنندس « وبلاشقة الهنود » على اسيادهم السكارى
الراقصين . وكانوا مسلحين بآلات عملهم التي استعبدتهم . فرنندس حمل
سكين المطبخ واقترب من الفتى الهزال الذي قلده ثم امسك بلحيته
وقال « تعال يا سميجي العزيز لقد فزت بالجائزة من اجل هذه اللحية فاسمح
لي ان احلقها لك بهذه السكين ولكني لن احلقها من اعلى بل من اسفل .
لا تخف سابدأ بالحلاقة من هنا . قرب حنجرتك !.. واذا ذاك حز رقبة
الفتى الضحّاك وحزها وظل ممسكاً بلحيته حتى افرغ الوريد آخر نقطة
من دم الماغن الفكه فوقع الى الارض وطرق رأسه بالحشب فصاح
الهندي « على بركات الله » .

« وانت يا بدوي الحساء ! تفرين ؟! ما رأيتك تفرين قط من
يتغي تقبيلك أفتبرين من هذا السكين فهو يطلب قبلة من عنقك العاجي .
قبلة وانتهى الامر . لا تخافي . لقد قلدت البدويات في كل شيء الا في
العفاف . جوذي بتلك القبلة يا حبيبة هذه السكين » - وذبحها .

هكذا استمر هول تلك المجزرة البشرية بين نحر وتكسير رؤوس
وكان افطع السفاكين لحام الباخرة « هنين » فقد حمل سكينه وكان
يطعن الصدور في اليسار طعن الجزار الماهر اللبق فاذا استخرج القلب
صاح « اصنع هذا مع الرز يا طبابخ » وهنالك الطبابخ ذو الجثة الهائلة فقد
كان يحمل على النساء فيطوق العنق باليدين . كبسة واحدة فتخرج العيون
من المآقي فيرمي بالجثة وتبقى العينان محمقتين بالسقف .
راحت السكره وجاءت الفكرة . اصبح عمال الباخرة في اليوم الثاني
وامرهم فوضى لا نظام ولا قانون . الكل متساوون . لا نهى ولا امر
ولا طاعة . على ان ذلك لم يهمهم في البداية اذ كانت الارزاق كثيرة

موفورة من اللحم والقطا وانواع الفواكه . اما الملابس فقد اصبح في
 وسع الواحد منهم ان يرتدي بدلة في كل لحظة .
 هذه النعم المستجدة بهرت عيونهم واذهلتهم في اليومين الاولين عما
 يحيق بهم من خطر . غير انهم اكتشفوا في اليوم الثالث ان الباخرة بلغت
 بهم البحر الصاحب حيث تتعالى الامواج وترجف الارض والعياذ بالله .
 حاروا بامرهم فيما يفعلون فالتقطان محتفٍ . البعض يقول انه ذبح
 وآخرون يؤكدون انه شتى وقد رأوه معلقاً في الساري . وضباط
 الواور مرتمون جثثاً متكدة في قاعة الرقص . والباخرة في عرض البحر
 وقد خمدت النيران في الموقد فسكتت المكنة . والظلام غطى الدنيا فلا
 يبصرون الا بعض النجوم تتلصص من خلال الغيوم ولا منارة بعيدة
 تلمع لحظة وتختفي لحظة وهم قد افاقوا من سكرة النهب والتقتيل الى
 صحوحة الخطر الذي يهددهم . فماذا يفعلون ؟
 قر رأيهم ان ينتخبوا « الملك فرنندس » ملكاً حقيقياً . اذ ان
 الزعامة في الناس امر طبيعي ناتج عن تفاوت القوى بينهم فيمسي في آخر
 الامر قائدهم من هو اقوامهم - عقلاً او جسداً او اخلاقاً -
 الزعامة غريزة تتناول المخلوقات الحية من ناطقة وصامتة . تيس الماعز
 يقود القطيع وخطيب الحزب يرأس الحزب والملك فرنندس حرّض العمال
 على العصيان . فلما احرق الخطر انتدبوه لينقذهم من الخطر . ولكن ما
 في وسع ذلك العريف المستجد والملك المنتخب - فرنندس الاول - ان
 يقود باخرة للمرافة الامين بين جبال الامواج في بحر هائج ، وهو لم يختبر
 الا جرّ عربية في كولومبو والا تقديم الفواكه ومسح الاحذية .
 كانت اول اوامر الملك فرنندس انه انعم على الطباخ بوظيفة ادارة

التلغراف اللاسلكي فلما دخل الموظف الجديد الى غرفة الادارة مدّ يده
لمولد الكهرباء فصعق واسود وارتمى جثة هامدة .

تأهت الباخرة منذ استلم العمال امرها .

وكانت ليلة لبلاء والباخرة ترتفع فيخيل للتائهين انهم لامسوا الغيوم
ثم تنحط فتكاد ترتطم بقاع البحر والعمال البلاشفة مكتوفو الايدي امام
الالات لا يعرفون اسرارها .

واذ ذاك حدث الدوي المخيف . فقد دفعت الامواج الباخرة التائهة
الى جزيرة مهجورة فحطمتها على الصخور .

بعد اسبوع حملت الانباء اللاسلكية الى انحاء الارض ان مدرعة
وجدت في تطوافها في الاوقيانوس الهندي باخرة محطمة وبجارتها وركابها
قتلى وعليها اعلام بولشفيكة حمراء وبقي امر الملك فرنندس وتفسيره ،
سراً من الاسرار .

كلمة من الناشر

عندما انتهى المؤلف من وضع « نخب العدو » التفت الى مستقبل السينما العربية ، وهي بعد في طور الطفولة ، والى مستقبل مسرحيته وقد برزت الى حيز الوجود فرأى في هذه موضوعاً يليق بتلك . وكأنه خاف على سيناريو الفيلم العربي « نخب العدو » من عبث العابثين فراح في « ذنب الطاووس » يرشد مخرج الفيلم الى كيفية نقل فكرته الى الشاشة البيضاء دون ان يخونها او ان يحوّر فيها . واما « عزم » التي بها يختم هذا الكتاب فعهد قطعه المؤلف على نفسه امام نفسه وجاء هذا الكتاب يبرّ به امام الناس .

نخب العدو

لم يَقم بعد في هَلِوُود مَنْ علمه بالسينما يَضاهاى جَهلي به . انا فقير يرى بين يدي طفلته طابَة من خِرَق ، ويلمح في قصر جاره الغني غرقة طفلة تموج باثمن الدمى فلا يَملك ان يسأل نفسه لماذا لا تملك ابنتي مثلها . ويلتجىء من الم الحقيقة الى نشوة الحُلَّة طَبة فيقنع نفسه انه سينفح صغيرته بمثل دمي جارتها وأثمن . هكذا أتطلع الى الفلم السينائي وله السنون يرقص في مرابعها والسهول والجبال والغابات والبواخر وغرف النوم ، وطرق الشوارع والدنيا ، ملعب ، فاقول لماذا تتعجب « نخب العدو » بستار ، وتنحصر في مسرح كأرجوحة البرغوث ، وتسجن ، فلا بحر ، ولا شلال ، ولا مروج ، ولا ميدان ، ولا ساحة مدينة ، ثم أخدّر نفسي بامل فاقول لئن صَغُر اليوم مسرح « نخب العدو » ، فغداً ترهّو صناعة السينما ، وينطلق الكشافون في طلب عروس يتوجونها ملكة السينما ، فتسفر « نخب العدو » وتبتسم ، فيكبرون ، الله ! الله ! ما اقوى حادثتها... واروع مشاهدتها... والبق حوارها... والوَح بعصاي وقبل ان

(١) فعل مشتق من « احلام اليقظة » .

تنكسر جرّة السمن امرّ بيدي على لحيتي واقول ما عساي ان اوصي
المخرج السينائي الذي سيتولى امرها . بل سيحتاج الى نصائحي انا العليم
بالسينما ، الخبير بفنه . فاشير بعصاي واصيح اسمع يا غلام ، فاني اريدك
ان تثبت المشاهد التالية في هذه الرواية :

١ - بعد ان يهرب وسيم ويتسرب الحلل الى دماغ امه والفقر الى
بيتها ، يفاجئها زمرة من الشبان المتفرنجين ، المائعين ، المخنثين ، جباة
الضرائب فيدخلون « العليّة » متبادلين الكلمات السبحة زائنين^١
العربية بالافرنجية ، وفي يد احدهم كتاب ضخّم هو جدول الضرائب ،
« الفالكوار » تدفع ٢٠ غرشاً على المتر المكعب ، وللسجادة ٢٥ غرشاً
على المتر المربع ، والطنجرة ٧ غروش وزيادة ٢٠ بالمئة اذا كانت ذات
غطاء ، والهرة نصف غرش على كل سنتمتر من ذيلها ، وبعد ان يأخذوا
علماً ، ويضعوا رسماً على كل ما في البيت ، يسألون اذا كان في البيت
هرة ، فينكر من في البيت ، ولكن مواء يفضحهم ، فيتبعون الهرة
فتقاتلهم الى ان يظفروا بها ، ويحلقون - فالهرة قطيعة الذيل ، فيحكم
عريفهم ان قطع ذيل الهرة هو حيلة على غشّ الحكومة للتخلص من
ضريبة عادلة فيضاعفون مجموع الضرائب .

ويستوسل احدهم في الغلاظة محاولاً مباسطة ام وسيم - ابنك في
اميركا؟؟ في اي بلد من غير شر؟ في النيرك (مقلداً اللهجة الجبلية) -
نيرك ضيعة كبيرة؟ بل هو يحاول ان يجلس على الكرسي المقدسة التي
احتفظت بها لوسيم ، ويجرب ان يقلده ، فتصفعه ام وسيم . هذه الصفقة ،
اريدها ان تعاد في آخر فصل اذ يرجع وسيم فتحسبه امه انه الجاني السمج .

(١) من الزوايا . يقال حنطة مزوونة اي مفشوشة بزوان .

وينزل الليل فاذا القرويون يتسامرون على سطح اقدمهم ويتنمرون ، واذا في ظاهـر القرية نزل فخم ترقص انواره ، واذا بالشبه العاريات يخاصرن الخليعين ، فالزمان صيف ، ووادي الارز قرية اصطياف واذا بالجباة يتكلفون الظرف للمتهرجات ويشكون ما يقاسون من مر العيش في التعامل مع « هؤلاء الفلاحين » ويدخل اقدمهم الى قاعة الرقص ، مورم العين ازرقها فيسأله اقدمهم ما بال عينك فيجيبه « لقد غمزت بها قروية حسناء » . وفيما يشرح كولونيل لاحدى السيدات عن مغامراته ، وكيف هجم بحصانه الازرق على جماعة من البدو مسلحة ، يسمع دوي ، ويسود الذعر ، ويغمى على بعض السيدات ، واكثر السادة ، ويعلو صياح « بُمبًا . بمبًا » اي قذيفة يدوية ، وما ان يسترجع الجمهور رشده حتى يعلموا ان تلك القذيفة اليدوية لم تكن الا حجاراً من مقلع ظمام . ويخرج الكولونيل الذي هزم البدو راجعاً من بيت الحلاء ، ويسرع اليه مدير النزل بماء وصابونة .

٢ - فيما يسطو الضف على وسيم بعد ان يغرق مركبه ، يحتاج الى عملية نقل دم . فيسألون الدكتور نجيب اذا كان وسيم وراجي من دم واحد فيجيب « كل اولاد العرب من دم واحد » واذا ينقل الدم من راجي الى وسيم ، يرتسم شبح ام وسيم امام ولدها وقولها « ليس من دينك ، يستحيل ان يخلص لك » فيلتفت وسيم الى راجي من خلال دموعه ويبتسم ، فيفهم راجي ويبتسم ايضاً ، ثم يضحك .

٣ - وحينما تغرق باخرة وسيم يشطط في جزيرة فقراء فتحوم عليه الغربان ، ناهشة جثة رفيق له ، فيدفعها وسيم عنه بالعصا ، تلك العصا التي لا يستطيع ان يخط حرفاً ان لم تكن يمينه ، يلوح بها ، والتي خلصها

حين غرق الباخرة لانها في نظره اداة فنه .

٤ - واريـد ان اري مهاجراً في غرابلا وليس عليه الا قميص وكسـون وشاربان كعصا بوليس السير ، مضطجعا على الارض ورأسه في حـضن الزنجية - زبـونته ، أو زوجته ، أو وريثه ، أو « هذه التي عندي » ، كما يسميها بعض مهاجريننا ، وحوله ١٤ ولداً كقطيع من المعزى انتشر حول راعٍ كسول ، وفي يد المهاجر جورنال قديم ، بل نسخة من مجلة (الضياء) وهو يقرأ ويتغنى بابيات حافظ ابراهيم بالمهاجرين السوريين . « يمضي ولا حلية إلا عزمته وينثني ... » وحينما يصل الى « ينثني » ينفخ خدين كألتي الفيل ويقول « مش رح ينثني » متطلعا بأولاده ، « وتلك التي عنده » . طبعاً عربيته الفصحى اشد تكسيرواً من حجارة داستها بحدلة الطريق . لون اولاده اكفهوة امتزجت بحليب .

٥ - واريـد ان احمـل شـمـدص دائماً وابدأ صورته كمكاري ، وفي يده رسن بعله الذي يسميه الابجر وهو ينتشلها من صدره ويتطلع اليها متنهداً ويقول مثلاً « آخ . هل اموت قبل ان اقضي معك ليلة في خان ؟ ! »

٦ - وحرام ان يموت الدكتور نجيب مكبوح الطموح مفجوعاً بآمال كبار يرى قدميه تقتربان من لحده ، وليس بعده وريث من ولده ، يتقدم بعلمه ، ويرث عنه رسالته ، وبودعه آماله ، وينهي الشوط الذي سراه الدكتور نجيب . اذاً فمن الطبيعي ان يتبنى علماً تلميذ طـب من بني قومه السوريين . ومن الطبيعي ان يكون الفتى ذكياً ، نشيطاً ، قلقاً ، لم يتزن بعد . اسمه العربي « رفيق » فهو بالاسبينولية « رمون » - الدكتور رمون ، يرسله الدكتور نجيب الى مداواة وسيم فيهرع الى البيت ، فيرى « شمـدص » فيحسبه وسياً . فيطبق على شمـدص صائحاً به :

اريد ان اسقّك » اي اسق عليك ، يعني ازورك . وينصبّ على شمدص
بسيل من الاسئلة ، وطوفان من التعابير الطبية اللاتينية « فاحصاً رثتيه ،
واضعاً السماعه على قلبه ، مرغماً شمدص على فتح فمه ، وشمدص مذهول ،
وأخوذ ، لا يملك روعه حتى يشرح للدكتور رمون انه ليس بالمرضى وان
المرضى هو وسيم في الغرفة الثانية .

٧ - وهل رأيت على الشاشة البيضاء افجع من مشهد قروي وزوجته
واولاده باسماهم البالية . يمشون نحو البيدر بوجوه بطئن الفرح بشرتها .
يتضحكون فرحين . حاملين بالماكل ، والملابس ، التي يشترونها ، اذ
يقتسمون الغلال على البيدر مع « بيكهم » ويمضون نحو البيدر متواثين ،
ليروا البيدر ، نارا ، ودخاناً اشعله ، اخصامهم من « الجماعة » ؟

٨ - وتساؤل نفسك في آخر مشهد لما اذا يتصافح بنو الحمصي وبنو
الحموي باليمين ، وما بال كل واحد اخفى يساره ، فهذا دفنها في زناره ،
وذا خباها خلف ظهره . حدّق قليلاً ترى ان في الزنار مسدساً ، وان
عصاً يتوجها الحديد خلف الظهر ، وان افواه البنادق من نوافذ الجيران
تحملق بالمجتمعين ، وان مشهد الصلح الذي تلعب به اوركستوا المجاملة
الكاذبة ، قد ينقلب الى مجزرة ، في اي ثانية - اذا نفخ احد الموسيقين
نعمة لا تروق لسامع .

٩ - وفي بيروت مكتب محاماة لشريكين ينيان حليب الرضيع ،
ويخطفان تنكة التسوّل من يد الأعمى . يقصدهما الحموي ، والحمصي . في
الحكمة ينسى المحاميان الشريكان ، مَنْ هو وكيل مَنْ . ذلك هي
لكثرة موكلهم . فيدافع كل منهما بكلام مموّه . ويتسرب الشك الى رئيس
الحكمة ، فيسألها مَنْ هو وكيل مَنْ . فيتغامزان ، ويتراشقان بقارص

الكلام ، وينسحب كل منها محتجاً على سفه « الزميل المحترم » ، متظاهراً باقامة الدعوى امام نقابة المحامين ، فاذا انصرفا من الجلسة اشتبك ذراعاهما واستقلا الارتمو وييل الى مكتبهما .

١٠ - وكما اشتبهى ان اظفر بموزع بريد قزم ، رفيع الشاربين ، ويكون اسمر ، عداءً ، يحمل كيس البريد ، كما تحمل النملة حبة القمح . نراه في احدى عربات تلك الدمية التي يسمونها سكة حديد بيروت - دمشق . ويستبطىء الموزع - ولعل اسمه فرحان - سير التران ، فيقفز منه بكيسه ويعدو نحو الضيقة يفرق على بيوتها مكاتيب « الغياب » المهاجرين . وكلما سلم مكتوباً لشخص ، ارتسمت على الشاشة البيضاء صورة مرسله . فهذه رسالة من رجل يعتذر عن ارسال المال لأمه ، وتلمع صورته فهو يولع سيكارتة بورقة الخمين ريال . وهذا يطلب يد ابنة عمه ، وهو غارق في سرير فاجرة في المكسيك . وذاك يخبر عن اتساع اشغاله ، وعظمة تجارته ، وفي يده مكنسة ينظف بها الشوارع . ويتناول من فرحان رسالة ، شاب يتصدر سيارة ، ذو نظرات فاسقة . مائعة - وابوه في المهجر يحمل كيس البضاعة في قرى جبال المكسيك .

١١ - وربما انكشف الستار في اول الرواية عن دكان حلاق اعرج ، كثير الكلام ، نزق الحديث ، يخلق لرجل ضخمة الجثة ، تهدل خدها وكأنها خرفان - وكادا يختفيان تحت مناشف يتطاير بخارها ، كأنما هي بركان هائج ، والرجل متبرم بحديث الحلاق المهذار ، متألم من تلك الجراح التي حرثتها بوجهه موسى الكليمة . والحلاق يبحث في حرب الصين واليابان ، وهو متحمس للصين ، يرفع بموساه في الفضاء كمن هم بطعنة ويصبح بزبونه « اليس الحق معي ؟ » فيجيبه الزبون ، مذعور البصر ،

مفتوح الفم « الحق معك » . ويقص الخلاق كم يتعذب جرحى الصين ،
ويبتهل الى الله « ان شفى الله جرحى بلاد الصين » فيمسح الزبون جراح
ذقنه بيمينه ، ويشترك مع الخلاق بالابتهاال « وسقى الله كل جزع » .
ويرتفع الصباح في الضيعة ، فيترك الخلاق زبونه ويكدهج الى ساحة
العراك ، فيصلها بعد انصراف المتقاتلين ، وحين وصول الضابط وجنوده .
ويرى هؤلاء موسى بيمين الخلاق الملطخة بالدم ، فيقبضون عليه
« بالجرم المشهود » .

١٢ - ويلذلي ان ارى مشهد مهاجرة الجبلين في بور بيروت . يلتقي
بهم رجلاان من المدينة يبيعان « سلة الحظ » يقنعان الجبلي المهاجر ان
لا غنى له عن تلك السلة ليضع فيها الدولارات التي ستندفق عليه في بلاد
المهجر ، وانه ان لم يفعل فلا أوبة له ولا ثروة ، ويستشهد على صحة قوله ،
برفيقه في المؤامرة . ويسأله جبلي كم دولار تسع؟ -- « خمسين الف دولار » .
- اعطني اثنتين « يحببه الجبلي حتى اجمع مئة الف مرة واحدة » . فيحذره
الصاحبان ، ان لا يؤمن باحد في بلاد الغرب . ويلتقي بائعا السلال بجبلي
مهاجر ولكنه انيق الثياب فيحاولان بيعه « سلة الحظ » .
الجبلي -- (مشيراً الى خاتم الماس) اتعرفان كم ثمن هذا ؟
الصاحبان - لا .

الجبلي - خمسة آلاف دولار . وهذه ؟ (مشيراً الى ساعته) الف
دولار . وهذه كم فيها ؟ (فاتحاً محفظته) عشرة آلاف دولار . اتعرفان
كيف جمعت هذه الثروة ؟ كنت في اميركا ابيع سلالاً . بخاطركم .
١٣ - ولا استغرب ان يلتقي ابو مرعي في تجواله بفتى لبق يسلم عليه
سلام الاحباب ، ويحاول ان يؤجر ابا مرعي بيتاً - بل قصرأ عظيماً -

لقاء مبلغ من الليرات قليل . ويقود الشاب ابا مرعي الى ذلك « القصر »
 فاذا هو احدى دور الحكومة . ويشرح الشاب ان اجار الغرفة في الشهر
 يوازي كل ما يطلبه من ابي مرعي . ويهم ابو مرعي بنقد اجار القصر الى
 الشاب ولكنه يلهج في نوافذ القصر بعض وجوه الموظفين فيقول للشاب :
 « قصر كبير ورخيص ، ولكني لا احب شراؤه لان هؤلاء المستأجرين
 (ويشير الى الموظفين) وجههم وجه قبض مش وجه دفع ! » ثم يذهب
 الشاب بأبي مرعي الى جسر في خارج المدينة ، ويريه كيف ان المستأجر
 الكوخ في الجانب الغربي من الجسر يجمع ثروة يومية ، بأن يفرض على
 الداخل خمسة قروش ، فيضمن ابو مرعي الجانب الشرقي ويبسداً بقبض
 الدخولية من بعض سدج القرويين الى ان يطل او توموبيل عظيم فيوقفه
 ابو مرعي ، وينزل منه رجل فخم - هو مدير البوليس .

١٤ - والدرامائي كيهود المانيا ، يصرخ ابداً « النجدة . النجدة »
 وها انا استغيث الآن بموسيقى يلحن « نشيد بحارة بيروت » اثبتة هنا
 عارياً على ان يتاح له من يتبرع بتنغيمه . ولعل ملحنه يضع البحارة
 في ثلاثة قوارب ، وفي كل قارب اوركسترا ، وفي كل اوركسترا لحناً ،
 انما بعرضك يا موسيقي ، قلنا فلا يأتي موحداً ، كأنما هو في مطرد
 متوجه ، سنم جمل سائر في سهل . هذا اللحن يتغنى به البحارة اذ يهربون
 « راجي ورفيقه الجلي » فقد فاتني ان اذكر لك ان وسيم حين فر مع
 صديقه من « وادي الارز » نولا بيروت ، وكان من الطبيعي ان يلتجئ
 راجي بصاحبه الى اصفياء ابيه - البحارة ، وكان من الطبيعي ان يلتجئ
 بهما البحارة تلك الجزيرة الصغرى في رأس بيروت التي يسمونها « الروشة »
 ١٥ - وكيف لي ان ازج بين مشاهدا تحذير البحارة لراجي « ان

انتبه لوسيم فهو ليس منا - يستحيل ان يخلص لك» ، واخلق للقرية مجنونها بل حكيمها ، في مصره (محفظته) أربع ليرات ذهبية ، وثاني ليرات ورق ، يستشير كل من يلتقيه في امر الزواج ، ثم ينفرد بنفسه يدرس ميزانية الزواج ، فيفتح مصره : « ليرتان للجهاز ، ليرة للحفلة ، ثمان لأم العروس - ارجعوا ، يصبح بفلوسه ، اذ يعيدها الى محفظته » . ومن لي بأن اجمع في خارج القرية - قرب شلال - شاباً يتوهم نفسه شاعراً ، فهو يتمشى مترنحاً ، محاولاً نظم قصيدة ، وفقى يحسب نفسه صياداً ، « يدك » بارودته يخرق من ثيابه . يصبح الشاعر « انا في اثر قصيدة » ، فيجيبه الصياد « انا في اثر طريدة » . وكلما صوب الصياد بارودته الى عصفور سعد من الشاعر ترنيح بيت مثل : « لبنان يامهد الاسد هذا عرينك والوتد » ، فيفر العصفور ، وكلما كادت القافية ان تنزل على الشاعر انطلقت بارودة الصياد ، فتفر القافية . وفي آخر مشهد نرى الصياد راجعاً شبه عار وليس في يده طريدة ، ونسمع الشاعر يردد بيته غير راضٍ عن نفسه . ولماذا لا يركب السادة ، جباة الضرائب او توموبيلاً براقاً يفرقون منه غلاظاتهم على القرويين المشاة فيصيحون بمكارٍ نفر حماره من الاوتوموبيل « شد فرام حمارك يا عم . انفخت دولاب حمارك يا عم » « فيجيبهم » « الله يفخت دولاب لسانك » . وتدخل الزمرة خيمة الناطور فلا يجدونه فيولعها - بطراً - احدهم بسيكارتة . اما الناطور ، فيبصرهم من بعيد ويفهم تلك المداعبة ، فيفكك دولاب اوتوموبيلهم ويطمره . فعندما ترجع الزمرة يقول له احدهم « ان ابناء هذه الضيعة اشرار . انظر لقد حرقوا خيمتك . الناطور -- اشرار هي الكلمة الصحيحة - انظر لقد سرقوا دولاب اوتوموبيلك . وهل للمخرج السينائي ان يضيف

الى مصائب وسيم مضية فيجعل خادمته الزنجية في غرابلا توقد النار
بنسخة من رواية كتبها بدم قلبه .

وهذه الاناشيد بل الهازيج التي نكب بها صديقنا الملحن ينشدها
البحارة ليلة يفرّون براجي ووسيم الى الباخرة التي تنتظرهم في عرض
البحر .

نشيد بحارة بيروت

تهدر ودحرج جبالك يا بحر ، نحن ارجالك
من يوم خلقت يا ازرق عالشاطي خلق خيالك

*

يصفق للريح شراعنا ويغلب الموج ذراعنا
ومهما توسع ما تساعنا يا بحر نحن ارجالك

*

تجمد ويجن جنونك يا ويل من يركن لسكونك
ان كان الغير يخافونك نحن يا ازرق فرسانك

*

كم كان لك جار «أخو شمة» نزل يصطاد اللقمة
كان يحسب جيتك نعمه صار لقمة بجوف حيتانك

مُجْذِفُنَا سَيْفٌ يَتَأَلَّقُ بِحَارِهِ مِنْ يَوْمٍ مَا نَخْلُقُ
لَا تَتَجَبَّرُ وَتَتَخَلَّقُ أَنْتَ نَقْطَةُ بَيْحَرِ بَارِينَا

*

اللَّهُ بَارِكْ قَوَارِينَا وَفُولُذْ شَبَانَا وَشَيْبِنَا
وَبِسَاعَةِ السَّوْمِ مَا يَسِيلُنَا وَلَا يَرْضَى تَعْوِصَ سَوَارِينَا

*

يَوْمَ هُزِ « الْقُدْسُ » مَدْفَعُهُمْ وَافْتَوُوا بِالْمَوْتِ لِمَقْتَبِهَا
لَا خَوْفَ اللَّهِ يَرُدُّهُمْ وَلَا الْأَقْصَى يَحْمِي حَامِيَهَا

*

مِنْ غَيْرِ فِتْيَانٍ « الشَّخْتُورَه » صَانُوا لِلْعَرَبَاتِ نُورَا
وَمَا بَيْنَ أَهْوَالٍ « النَّاقُورَه » أَفْدُوا بِالرُّوحِ فَادِيَهَا

*

يَا حَيْفَ نَطُوفٍ بِالْأَخْشَابِ أَضْحُوكَ اسْطُولِ الْأَغْرَابِ
أَحْتَلُوا الشَّعْرَ وَالْمَرْفَأَ سَابِ مِنْ يَدْفَعُ عَنْكَ مِنْ غَالِكَ

*

اصْغُوا لِلصَّوْتِ الْيَنَادِينَا الدَّاءُ الدَّاءُ هُوَ فِينَا
لَكَانَ اسْطُولُنَا يَحْمِينَا لَوْ فِي مَنْ يَجْمَعُ رَجَالَكَ

*

بِجَلْفٍ بِالْفَضْضِ أَمْوَاجِهِ بِالتَّوَجِّجِ « حَنِينٍ » بَعَاجِهِ
بِاللَّيْلِ وَالنُّورِ سَرَاجِهِ وَبِالْيَعْلِيِّ وَيَخْفِضُ جِبَالِكَ

*

مَا كَانَتْ الرِّيحُ تَشِيلُنَا وَلَا الْقَارِبُ كَانَ يَعِيلُنَا

لو ما تكون خلقت إلثنا ولو ما نكون خلقنا لك

*

جذّف يا بحري جذّف

لا تتشكّى ولا تجذّف

مهما تشبع مهما تجوع

مهما تطوف وتشدّ قلوب

آخر سفرة بالتابوت

ليش منخلق ليش منموت

نخنا والبحر سيمان

لا منفهم ولا هو فهمان

*

الحقيقة كالأوهام

والانوار شعلة ظلام

زهر العرس ، وزهر الرمس

مقطوف من فرد بستان

كله لغز ما بينحل

ما حدا منا دريان

المفتوح كالأنعمى

والصاحي اخو السكران

*

يكنز بالقعر اللولو ويبصق عالشط الاصداف

يسلم من يهزا بهوله ويهلك من هو وخاف

يُغدر بأوفى خلائيه ويبلغ نخبة سكانيه
ويهدم مسكن جيرانه الظاهر كان جدو انسان
ما اشبهك يا انسان

*

نزوي ونسرد اخبارا بس مين يفهم اسرارها
دنيا خلقت غداره برها والبحر سيارها

*

جذف يا مجري جذف

لا تتشكى ولا تجذف

اسأل النبع كيف يفور

اسأل الدنيا كيف تدور

لش منكذ ولش منجد

ولش منبني ولش منهد

ولش في مهد ولش في لحد

ولش في قبل ولش في بعد

عاشق

أيها الساهي على مضجع الآمال كسولا ، التمل بخمرة الرؤى ، المائي
برجك العاجي بدخان أفيون أحلامك ، هلم انزل الى دنيا الناس ، فان في
بني الانسان من هم لحم ودم وحقيقة ، يفوقون في واقعية عظيمة أعمالهم
كل ما بناه خيالك من عظمة نفسك الموهومة !
أيها الجبان المخدر عزمك بالاحاديث الخفية الصامتة ، هيا حدث الناس
بما تحدث به نفسك .
قل لهم انك ما قرأت كتاباً إلا وقلت في نفسك إن في صدرك كتباً
أعظم منه .

أخبرهم انك ما انصرفت من دار سينما إلا وابتمت هازئاً ، بملقاً
نفسك أن في مواد دوائك روايات ابداع . لا تذكرهم بما تدعيه .
لا تقل لهم : اني أول من ألف « درامة » عربية .
حذار ان تشير الى مقالاتك الصيبانية ، وتجبرهم انها هي بدأت « الادب
الشخصي » الذي تبدل اليوم الى « ادب التوافه » . اياك أن تعسفس في
مقبرة اوراقك وتستشهد بتواريخ وتزدهي : انا أول من كتب « قصة »

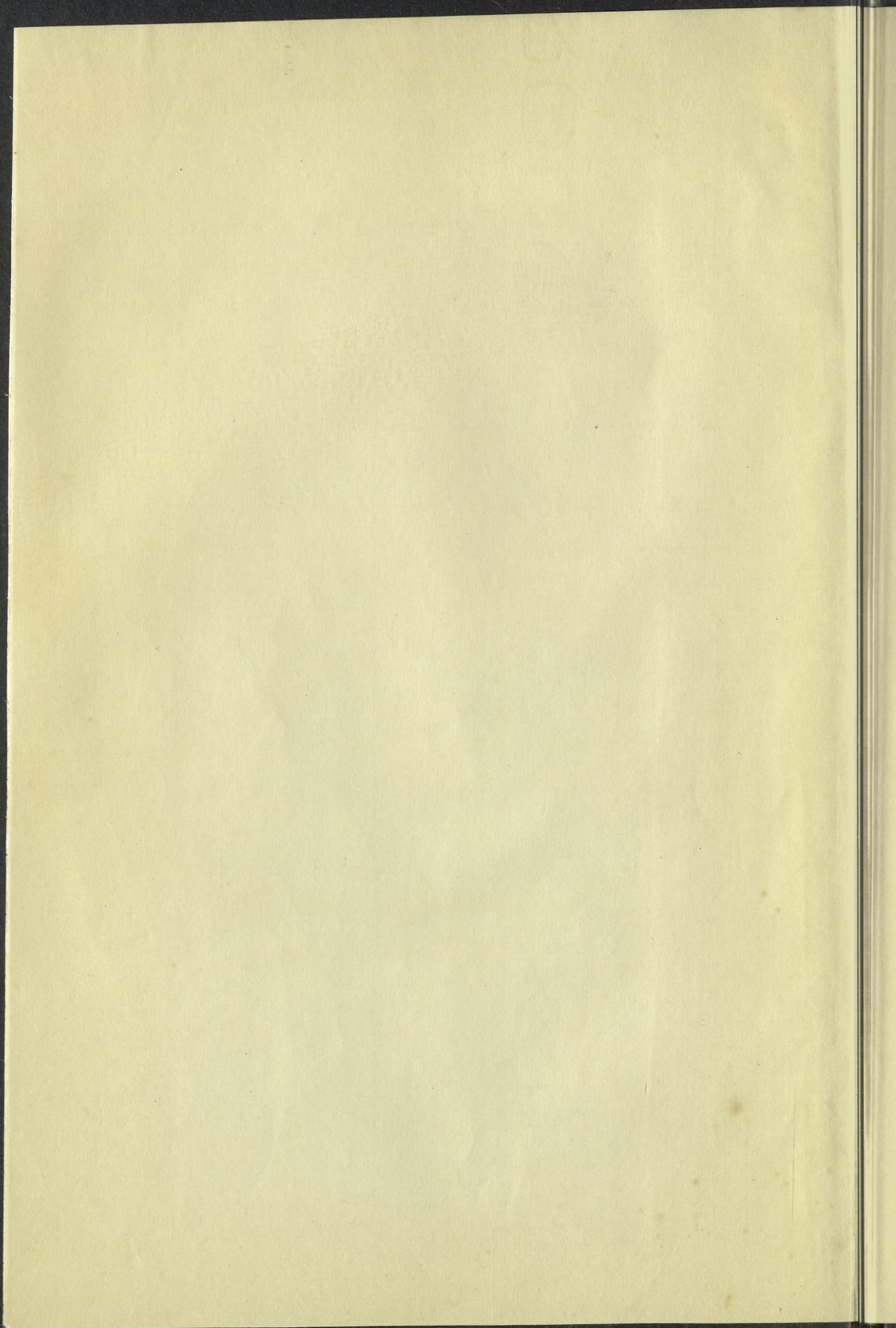
دع الزمن يحكم إن كنت في نخب العدو قد خلقت مدرسة ادبية ، وإن
كنت انت البادئ بفبركة الكلمات فلا تستبقن الحوادث وتنبأ أن
فبارك الكلمات ستغني العربية بالمفردات ، وأن ستشيع موضة التشابه
المعكوسة ، وتشيع بعدها عن « نخب العدو » الف موضة .

ليتهمك الناس بالقحة ، ولتنزل على رأسك لعنة القروذ .
انتفض من غلائل التقاليد ، وقل لهم من ستصير . ولتكن هذه
الكلمات عهداً عليك وميثاقاً ، ولترتد في وجهك ناراً ان انت حنثت .
اقرأها على نفسك صباحاً وعشية . ولتكن في اذنك صدى يمي
فهيقة هازئة ساخرة ان انت نكثت . احلف بكل جميل في الحياة وشريف
انك ستغزو قوماً ليسوا هم قومك ، ولغة ليست هي بلغتك ، وانك
ستقهر وتنتصر .

لا تهيم المعاذير ، فقل الرصاص يستيم ، والاوراق كذلك رخيصة ،
وان استمر اضطهاد الناس لك فعريت إلا من قميص ممزقة ، فسل من
عروقك جبرك واكتب به رسالتك على قميصك الممزقة .
اما وقد مللت من رجولة نفسك الجراءة ، او القحة ، ان تذيع هذا
العهد على الناس .

فلتكن هذه الكلمات طيفاً يتأثر فيهمزك الى مرمك .
ولا تطلب من الحياة شيئاً يعينك - لا هدية ولا ثروة ، ولا قصرأ ،
ولا كتباً ، ولا رخاء . لا تطلب من الحياة شيئاً الا ان تستبقيك -
عشرة اعوام .

والى الملثقى - بعد عشرة اعوام .
انتهى



1054

1054

DATE DUE

تقوى الدين، سعيد
نخب العدو : مسرحية في ثلاثة فصول
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

01039042

A.U.B. LIBRARY



